

السِّيَرَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ



فُورِيَّ السَّيْفِ

السِّيَرَةُ الْيَدِيَّةُ

وَنِسَاءُ الْقَضِيَّةِ الْحُسَيْنِيَّةِ

وَلَا تُحِجُّ الْيَضَاءُ

السيدة زينب (عليها السلام) ونساء النهضة الحسينية

السيدة زينب (عليها السلام)
ونساء النهضة الحسينية

فوزي آل سيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة



بين يدي القراء الأعزاء هذا الكتاب، والذي يتناول جوانب من سيرة نساء مؤمنات شهدن واقعة كربلاء في الصف الحسيني والمعسكر الإيماني، ومع الأدوار الكبيرة التي قمن بها، بدءاً من تحريض أزواجهن أو أولادهن على الجهاد والفداء بين يدي إمامهن الحسين (عليه السلام)، وإلى التخفيف على ذويهن من وقع المصائب، بل وإلى قتل بعض الأعداء كما حصل لاحداهن، مع أنه لم يكن ذلك واجبا عليهن!

إن نفس الخروج في هذا الركب مع ما يكتنفه من أخطار بحسب المقاييس العادية التي يمكن لكل أحد إدراكها هو شجاعة، وموقف إيماني فضلاً عما يتعقبه من عمل وكلام وغير ذلك.

وقد أشرنا إلى أنه ربما قد تم الحديث كثيراً عن أصحاب الحسين وأنصاره من الرجال، وهم يستحقون ذلك بلا ريب بل ما تم الحديث عنه هو قليل في حقهم، كيف؟ وقد وصفهم بأنه لم ير أصحاباً خيراً منهم؟ وقد أشرنا في كتابنا السابق «أصفياء الله؛ أنصار الحسين» إلى بعض حقائق هذا الوصف.

لكن لم يتم الحديث عن «نصيرات» الحسين إلا من باب الاستطراد

والإشارة، مع أن دورهن كان لا يستهان به. وهذه الصفحات التي بين يديك مساهمة في هذا المجال، قد لا تكون وافية أو كافية، ولكنها مساهمة على أي حال. بدأنا فيها بحديث مختصر عن ذكر القرآن الكريم للنساء من أمهات الأنبياء وزوجاتهن والمؤمنات بهن، وبيان دورهن إشارة إلى كونهن قدوات.

ثم مررنا مروراً عابراً على ما قيل من أعداد النساء اللاتي حضرن في كربلاء، وأرجأنا الحديث التفصيلي عن أسمائهن إلى آخر الكتاب، وفي نساء الطالبين تم الحديث بشكل مفصل عن السيدة زينب عفيفة الطالبين لمكانتها وموقعها من النهضة الحسينية، وبشكل أقل عن أخواتها اللاتي كنّ معها، وبنفس الطريقة كذلك تم الحديث عن السيدة سكينة بنت الحسين (عليها السلام).

أعود إلى القول مرة أخرى، هذا إسهامٌ من الإسهامات في توضيح صورة النهضة الحسينية أسأل الله أن يحشرنا والقراء الأعزاء في شفاعة قائدها سيد الشهداء. قد لا يكون مستوعباً للموضوع كله، ولا يغني عن غيره من الأبحاث. لكنه لو بعث الهمّة في آخرين للكتابة حول هذا الموضوع فقد حقق جزءاً كبيراً من هدفه.

لا أنسى أن أذكر أن هذا الكتاب هو أحد كتب «المجموعة الحسينية، أو قضايا كربلاء» والتي أسأل الله أن يوفق لإكمالها وهي تحتوي كما يفترض على كتاب قضايا النهضة الحسينية، وكتاب أصفياء الله، وكتاب زيارة الناحية المقدسة، وعصبة الإثم قتلة الحسين، وربما كتاب عن قضايا المنبر الحسيني. وقد يتم التوفيق لطباعتها في مجموعة واحدة.

في الأخير، يهمني أن أشكر كل من ساعد في ظهور هذا الكتاب

بصورته الحالية، وأسأل الله سبحانه لهم ولهن التوفيق في الدنيا والأجر في الآخرة، كما أذكر بدور أفراد عائلتي الحبيبة شاكرًا لهم، فهم يتفضلون عليّ بوقت كبير كان يمكن أن يكون لهم جزاهم الله وإياكم خير الجزاء.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

في ٢٧ / ٣ / ١٤٤٦ هـ.

تاروت القطيف

النساء في القرآن الكريم



لم يكتف القرآن الكريم بالحديث عن الأنبياء والمرسلين والأوصياء فقط، وإنَّما سرد شيئاً من سيرة المؤمنين اللّاتي كنَّ مع الأنبياء وكان لهنَّ دورٌ ومتميِّز، فقد ذكر جانباً من قصة هاجر مع نبي الله إبراهيم وابنها إسماعيل، وتسليمها لله (ﷻ) بعدما أخرجها من فلسطين من بلاد الشّام حيث الخضرة والماء والجوّ المناسب إلى «واد غير ذي زرع» وفي الرواية أنه عندما سأله كيف سيعيشون قال لها: إنّ الله أمرني بأن أسكنكم في هذا المكان، فقالت: إن كان الله قد أمرك بهذا فلا يُضَيِّعنا. (١)

كما ذكر القرآن الكريم قصة مريم ابنة عمران في سورة كاملة، وتعرض لها في سور آخر، وعن أم موسى واخته وابنة شعيب في قصص النبي موسى (ﷺ).

وإذا كان من الطبيعي أن يتحدث الله عن نساء الأنبياء وأسرهن، فقد

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح ١٤٢/٤ «.. ثم قفى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آله الذي أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت.»

ذكر في كتابه الكريم نساء من غيرهن، وضرب في ذلك مثلاً للذين آمنوا، وبظاهر الآية فإن هذا المثل مضروب للذين آمنوا بما يشمل الرجال إضافة إلى النساء.

نعم إنها آسية بنت مزاحم ضربت مثلاً فيما يرتبط بقضية الإيمان بالله والتمسك به وحماية رسوله بالرغم من البيئة السيئة التي كانت تعيش فيها، وأن طلبها من الله ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ولا تنتهي القائمة فكذاك يتكلم عن نساء أهل البيت اللاتي أذهب الله عنهن الرجز وطهرهن الله وعلى رأسهن فاطمة الزهراء (عليها السلام).

✽ وحدة التكليف بين الرجال والنساء

وقبل أن نَقْد إلى الحديث التفصيلي عن تلکم النساء، لا بد أن نشير إلى أن الدين الإسلامي ينظر إلى المرأة والرجل بنظرة متساوية في مرحلتی التكليف والجزاء، بمعنى أن أصول التكليف هي واحدة مع ملاحظة خصوصيات كل قسم من هذين الجنسين، كما أن الجزاء واحد. فلا يصح أن يتصور أحد أن الرجل بما هو رجل، أفضل من المرأة أو العكس!

ولذا يقرّر علماء الإمامية بل عامّة علماء المسلمين قاعدة الاشتراك في التكليف بمعنى أنّ الخطاب الإلهي إذا جاء في القرآن أو على لسان رسول الله (ﷺ) مخاطباً المؤمنين، فالقاعدة الأولية فيه أنّ الرجل والمرأة

مشارك في هذا التكليف، فحين يقول القرآن: ﴿أَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ يشترك في هذا التكليف الرجل والمرأة، بل حتَّى لو قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو خطابٌ مشتركٌ بينهما، مع أنَّ (الَّذِينَ) اسمٌ موصولٌ للذكور، إلا أنَّ قاعدة الاشتراك هنا تقضي بأنَّ الخطاب كما هو موجّه للرجال هو للنساء أيضًا إلا ما خرج ويحتاج إلى مُخرجٍ ودليلٍ.

وكذلك الأمر في مرحلة العطاء والجزاء بعد الإتيان بالعمل فالقاعدة هي أن كلاً منهما يحصل على نفس الجزاء والعطاء وهو ما نصّت عليه آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً * وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

ولعله لأجل ذلك وجدنا في الرسائل السماوية أنه كما برز فيها رجال صالحون، تميزت فيها نساء مؤمنات ضربن أروع الأمثلة في الالتزام بأوامر ربهم.

وبهذا فقد «كمل من النساء مريم ابنة عمران، وأسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» (٢)، «وأفضلهن فاطمة» (٣)، كما برزت في ما بعد زينب ابنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وغيرهن مما سيأتي الحديث عنهن.

(١) النحل: ٩٧.

(٢) الطبري؛ محمد بن جرير: جامع البيان = تفسير الطبري ٦/ ٣٩٨.

(٣) المازندراني؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/ ٣٢٢.

✽ قدوات في كل الأزمنة؟

قد يقول قائل بأن زماننا مختلف عن تلك الأزمنة، فهل يتوقع منا أن نعطي بناتنا اللاتي يعشن أجواء الانترنت وعالم الذكاء الاصطناعي، وهذا الحجم العظيم من المعلومات الذي يغمر وسائل التواصل، نعطيهن نموذجًا كان يعيش في أجواء التنقل على الدواب ولا يمتلك إلا ضروريات الحياة بالكاد؟

والجواب على ذلك: أولاً بأن هذا الكلام إذا تمَّ فإنه يلغي أي نوع من أنواع الاقتداء بأي كائن، سواء أكان نبيًا مقربًا أو رسولًا منذرًا، إلا لمن يعيش في زمانه! لأنه يأتي نفس الكلام أن هذا النبي قد عاش في زمن غير زماننا وعاصر أمورًا لم نعاصرها، وصرنا نعيش في أجواء لم تكن في زمانه! وهذا باطلٌ بالضرورة فإن الأنبياء إنما بعثوا ليطاعوا بأمر الله وليقتدي بهم مَنْ بعدهم! والقرآن لا يقول هم قدوات فقط، بل قدوات حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

وكذلك لا يمكن أن تستقيم التربية التي يقوم بها الآباء تجاه الأبناء لنفس الحجة والسبب.

وثانيًا: فإن هناك فرقًا بين القيم الأخلاقية والآداب الاجتماعية، فالأولى لا تتغير مهما تقادم الزمان وبُعد، فالأمانة مثلاً لا يمكن أن تكون حسنةً في السابق، وقيحةً في هذا الزمان أو في المستقبل! والإحسان إلى الغير لا يمكن أن يكون سيئًا في السابق وحسنًا في اللاحق أو بالعكس، وهكذا.

(١) الأحزاب: ٢١.

نعم تفاصيل الحياة تختلف وأساليب الاستفادة من الإمكانيات تتغير، و(الآداب) بتبعها قد تتمايز، وليس مطلوباً من الإنسان أن يعيش تفاصيل حياته المعاصرة بأساليب القرون السابقة، وهذا لا كلام فيه.

إن المرأة التي تلبس ابنها لامة الحرب وتدفعه باتجاه مواقف الرجولة والبطولة في الدفاع عن الدين والقيم الإلهية، يبقى موقفها هذا ساطعاً متجاوزاً للزمان وممتداً على عمود الخلود. فلا ينحصر في زمانه التاريخي ولا في جغرافيته المكانية!

وثالثاً: فإننا نجد أن القرآن الكريم قد احتوى على قسم كبير من آياته على قصص المجتمعات، وفئاتها الصالحة والطالحة، وحرّض النبي على أن ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) ولو كان لا يراد من تلك القصص دروسها وعبرها لكانت أشبه بالتسلية غير الهادفة، تعالى كلام الله عنها!

هذ مع أن تلك القصص والأحداث وأبطالها من الصالحين وغيرهم، ومن النساء والرجال قد وقعت في ظرف زمني خاص وأجواء قد لا تتكرر، ومع ذلك طُلب من الناس التأمل فيها والتفكير في مداولها، والعمل بما تتطلب تلك المواقف.

ولولا هذا لكان ثلث القرآن أو رבעه (وهو ما تشكله القصص في ه) غير ذي هدف! وهذا محال.

بعد هذا التقديم سوف نشرع في الحديث عن النساء في كربلاء. وأول ما نبحت فيه:

✦ عدد النساء في كربلاء

تختلف تقديرات المؤرخين والباحثين لعدد النساء اللاتي كنّ في كربلاء؛ ويمكن أن نرصد أقوالاً هي التالية:

الأول: إنهن خمس نساء:

وقد ذكر هذا القول ابن سعد في الطبقات،^(١) ونقله عنه الذهبي ومن نقل مقتل الحسين عن الطبقات.

الثاني: إنهن عشرون امرأة:

وتجد هذا القول عن الطبري في الكامل البهائي^(٢) وقد نقله الشيخ عباس القمي^(٣) وبقرينة قوله «نسوة» نحتمل أنّه يقصد النساء الكيبرات دون الصغيرات.

الثالث: اثنتان وأربعون امرأة:

(١) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة - الطبقة الخامسة (١/ ٤٧٩): في الحديث عن علي بن الحسين وأنه نجا من القتل «فقدم بهم ونساء الحسين بن علي وهن: زينب وفاطمة ابنتا علي بن أبي طالب وفاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي والرباب بنت أنيف الكلبيّة امرأة الحسين بن علي وهي أم سكينة وعبد الله المقتول ابني الحسين بن علي وأم محمد بنت حسن بن علي امرأة علي بن حسين وموالي لهم. ومماليك عبيد وإماء». إلا أن يقال أن ابن سعد كان في صدد الحديث عن بقي من أهل بيت الحسين فقط لقوله قبل ذلك «ولم يفلت من أهل بيت الحسين بن علي الذين معه إلا فلان وفلان.. وعلي بن الحسين إلى آخر النص المتقدم».

(٢) مؤلفه الحسن بن علي الطبري ألفه لبهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني وسماه باسمه.

(٣) القمي؛ الشيخ عباس: نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ص ٣٥١ «وبنات أمير المؤمنين وسائر النساء وكن جميعهن عشرين نسوة» ناقلاً عن (الكامل البهائي)

وهذا ما ذهب إليه الشيخ المازندراني^(١).

الرابع: اثنتان وثمانون امرأة:

أمّا الشيخ الكرباسي فقد اختار: أنّهن اثنتان وثمانون امرأة ما بين كبيرة السن وصغيرته، هاشميّة وغير هاشميّة، وسرد أسماءهنّ وشيئاً من أحوالهنّ^(٢).

ومما سبق يتبين أن الاختلاف في العدد واسع وكبير، ولا ريب أنّ بعض الأعداد المذكورة مثل خمس نساء أو ست هي خاطئة وبالبدية غير صحيحة مهما كانت طريقة الحساب والتقدير، والقول بها قد يدل على عدم التتبع للوقائع الحاصلة في مسير الحسين وما حدث في كربلاء من حوادث، إذ أن الذي ورد ذكرهن بالاسم في وقائع وقصص أكثر من هذا بكثير. إن لم نقل إنّهُ قد يدل على محاولة البعض «تصغير» ما حدث ونزع جانب الشناعة منه لتبرئة الجانب الأموي قدر الإمكان،^(٣) وذلك أن القول بأن هناك خمس نساء أخف في شناعته من القول بأن هناك سبعين امرأة تم سبيهن!

(١) المازندراني؛ محمد مهدي الحائري: معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين ٢٣٦/٢.

(٢) الكرباسي؛ محمد صادق محمد: معجم أنصار الحسين «النساء» بأجزائه الثلاثة ضمن موسوعته القيّمة (دائرة المعارف الحسينيّة) حيث كانت آخر ترجمة كتبها في الجزء الثالث تحمل هذا الرقم.

(٣) ذكرنا في كتابنا أنا الحسين بن علي أن من جملة خطط الاتجاه الأموي لتغيب قضية الحسين (عليه السلام) عن الأمة نزع الشناعة منها والتفاصيل الصادمة للقارئ لها والسامع عنها!

نساء الطالبين



سنبدأ الحديث عن نساء الطالبين^(١) وسنبداً بقائدة الركب، ورئيسة الموكب بعد الحسين (عليه السلام)، أخته العقيلة زينب وسيكون بها البداية في الحديث عن بنات أمير المؤمنين (عليه السلام) اللاتي كنّ في كربلاء.

١ / بنات الإمام عليّ (عليه السلام) في كربلاء

✦ عدد بنات الإمام عليّ في كربلاء

حين يتحدث المؤرخون عن بنات أمير المؤمنين (عليه السلام) يذكرون رقمًا كبيرًا يتراوح بين ست عشرة وبين ثمانى عشرة بنتًا ومن الطبيعي ألا يكنّ قد حضرن كربلاء بجملتهن، فإن قسما منهن قد توفين قبل حادثة كربلاء، وارتبط قسم آخر منهن بأزواجهن الذين لم يحضروا إلى كربلاء،

(١) قد بينّا في كتاب أصفىاء الله؛ أنصار الحسين وجه عدولنا عن التقسيم المشهور فيهم إلى هاشميين وغير هاشميين وقلنا إن الصحيح أن يتم التقسيم على أساس الانتساب إلى أبي طالب (عليه السلام) فيقال: طالبون وغير طالبين لأننا لا نجد من الهاشميين أحدًا غير أحفاد أبي طالب.

ولكن بحسب التبع في وقائع كربلاء ما قبلها وفيها وما بعدها يمكن
لنا أن نرصد الأسماء التالية:

✽ الأولى: زَيْنَبُ الْكُبْرَى بنت علي بن أبي طالب:

من الميلاد إلى الوفاة:

١ / ولادتها المباركة:

يظهر أن ولادتها (عليها السلام) في المدينة المنورة كانت في السنة الخامسة^(١) من
هجرة رسول الله (ﷺ)، وإن كان هناك من ذهب إلى أنها ولدت في
السنة السادسة^(٢)، إلا أن الظاهر أن أمها فاطمة الزهراء (عليها السلام) لم يتخلل
إنجابها لأmir المؤمنين (عليه السلام) فاصلة سنة كاملة، فإذا كانت ولادة أخيها
الحسن في سنة ٣ هـ، وولادة الحسين سنة ٤ هـ، ومع عدم وجود فاصلة
سنة يتعين أن تكون ولادتها في سنة ٥ هـ.^(٣)

وقد ذكر العلامة النقدي في كتابه أن تسميتها كانت من الله (عز وجل)
فقال: «لما ولدت زينب (عليها السلام) جاءت بها أمها الزهراء الى أبيها أمير
المؤمنين (عليه السلام) وقالت: سَمِّ هذه المولودة! فقال: ما كنت لأسبق رسول

(١) وهو الذي اختاره العلامة النقدي في كتابه ص ١٨

(٢) الكرباسي: معجم أنصار الحسين (النساء) ١ / ٣٣٤، وبنت الشاطئ سيدات بيت النبوة
الالكتروني ٦٦٠.

(٣) وأما ما ذكره ناسخ التواريخ في الجزء الخاص بالسيدة زينب (فارسي) ١ / ٤٥ من أن
ولادتها كانت في السنة التاسعة بعد العودة من غزوة تبوك معتمدا على رواية أن النبي
لم يكن موجودا في المدينة لكي يسميها فهو غير صحيح، ويخالف كل الحسابات،
والقرائن التاريخية، فإن معنى ذلك أنهما سمعت ونقلت خطبة أمها الزهراء وعمرها
ستتان مثلاً؟ وكان ينبغي أن يثبت سنة الولادة ثم يقيس عليها باقي الروايات.

اللَّهُ (ﷺ) وكان في سفر له - ولما جاء النبي وسأله عليٌّ عن اسمها فقال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل وقال له: سمَّ هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم!، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب فبكى النبي (ﷺ) وقال من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين^(١).

وأما ما ذكرته بنت الشاطي^(٢) من أن النبي (ﷺ) هو الذي اختار الاسم على اسم خالتها (زينب بنت خديجة) التي توفيت قبل ولادتها فلا نعتقد بصحته لأن زينب بنت النبي توفيت كما في المشهور سنة ٨ هـ، فلا معنى للتسمية باسمها لتذكرها مثلاً! فإن ولادة زينب بنت أمير المؤمنين كانت قبل وفاة زينب بنت الرسول.

وقد ذكروا في معنى اسمها: أنه شجر حسن المنظر طيب الرائحة^(٣)، والتعبير عنها بالكبرى مع أنه على الظاهر متأخر، هو لأجل التمييز بينها وبين أختها زينب الصغرى التي اشتهرت باسم: أم كلثوم. وقد يأتي الحديث عنها في موضوع لاحق.

٢ / في أيام جدها النبي وأمها الزهراء:

من الطبيعي أن تكون زينب قد حظيت بعناية وحنان جدها النبي

(١) النقيدي؛ الشيخ جعفر: زينب الكبرى ١/١٦. ولم يذكر العلامة النقيدي مصدر الرواية المذكورة، ولكن صاحب الخصائص الزينية قد قرَّب الأمر بأن تسمية الله سبحانه لبعض عباده قد أخبر عنها القرآن في قوله تعالى (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ) وقوله (نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (وَيُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) .. وهكذا.

(٢) بنت الشاطي؛ عائشة عبد الرحمن: سيدات بيت النبوة ٦٥١.

(٣) الافريقي؛ ابن منظور: لسان العرب ١/٤٥٣.

المصطفى (عليه السلام)، لكونها البنت الأنثى الوحيدة حتى ذلك الوقت في بيت الزهراء وعلي (عليهما السلام)، وما كان عليه الرسول من الرفق بالإناث، ويضاف إليه ما كان لديه من العلم بما سيجري عليها في المستقبل من مآسٍ ومصائب، ستحملها من أجل رسالة الله وشريعة جدها، وقد يكون ما نقل عنه (عليه السلام) من أن « من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين »^(١) هو في هذا الإطار، مع فارق أنهما إمامان معصومان وسيدا شباب أهل الجنة!

ولم يمتعها الزمان مع جدها المصطفى بأكثر من خمس سنين، حيث ارتحل للقاء الله في شهر صفر السنة الحادية عشر من هجرته.

وهجمت الأحداث على بيت الزهراء (عليها السلام)، ولا ريب أن زينب ذات الخمس سنوات، وهي تلحظ تلك العواصف العاتية بدءاً من وفاة رسول الله (عليه السلام) حيث « بات آل محمد (عليهم السلام) بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلمهم ولا أرض تقلهم لأن رسول الله (عليه السلام) وتر الأقربين والأبعدين في الله »^(٢) وزاد الجرح ألمًا تنحية رجال قريش أباه أمير المؤمنين (عليه السلام) عن قيادة أمة النبي، ومخالفتهم وصيته، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل تم الهجوم على بيت علي أبيها وفاطمة أمها! ولا شك أن كل تلك المشاهد قد انطبعت في وجدانها، وهي بالنسبة لـ (طفلة) من حيث العمر، وناضجة من حيث العقل والذاكرة، ستكون أكثر إيلاماً.

سوف تحتفظ في ذاكرتها بكل هذه الصور كما ستحتفظ بخطبة أمها الزهراء في مسجد رسول الله (عليه السلام) بكاملها حيث ستنقل بواسطتها إلى

(١) نقل في أكثر الكتب التي تعرضت لولادتها، ولم أعثر على مصدر له.

(٢) الكليني: محمد بن يعقوب: الكافي ١/ ٤٤٥.

من يرويها عنها، كما سيأتي عند الحديث عن بعض ما يرتبط بعلمها. وستحتفظ كذلك بصورة أمها الزهرة الزهراء وهي تدبل تدريجياً على أثر إسقاطهم جنينها، ورض ضلعها، والألم النفسي الذي عانت به فقد النبي وظلم الوصي، فما لبثت أكثر من خمسة وسبعين يوماً حتى فارقت الدنيا. ولا ألم أعظم من ألم فقد الأم بالنسبة لابنتها إذ هي كل حياتها!

٣ / زينب بعد شهادة أمها الزهراء:

ها هي تخطو نحو السادسة من العمر، وقد باكرتها المسؤوليات، فإنّ في دار علي (عليه السلام) بالإضافة إلى أبيها، أخويها الحسنين واختها أم كلثوم (زينب الصغرى). ومن الطبيعي أن أمور البيت في غالبها ستقع على عاتقها، هذا مع أن علياً (عليه السلام) وبوصية من أمها الزهراء قد بادر للاقتران بابنة خالتها زينب بنت رسول الله،^(١) وهي أمانة بنت أبي العاص بن الربيع، والتي وصفها الزهراء بأنها ستكون لولدها مثلها.^(٢) سوف يتزوج أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك بعد مدة بخولة الحنفية والدة أخيها محمد، وهكذا بأسماء بنت عميس والدة عبد الله بن جعفر الطيار الذي سيكون زوجها في المستقبل.

وهذه ثلاث نساء بالفعل قد دخلن حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأسرته،^(٣)

(١) قد ذكرنا في كتابنا أعلام الأسرة النبوية أن زينب ورقية هن بنات رسول الله من خديجة بنت خويلد، وليستا رباب وأوردنا الأدلة على ذلك وهذا من الشواهد أيضاً فإن الزهراء في وصيتها قالت «وأن تتزوج بأمانة ابنة أختي زينب» فراجع.

(٢) الزنجاني الخوئي؛ اسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء ٢٣٣ / ١٤.

(٣) قد تحدثنا عن الحياة الأسرية؛ زوجات وأولاد الإمام علي (عليه السلام) في كتابنا: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ من سلسلة النبي والعترة.

في وقت مبكر، وخلافًا لما يحصل في بعض الأسر حين تكون الزوجة الثانية مصدر إزعاج لأسرة الزوج، أو تكون بنات الزوج بشكل خاص، مصدر إزعاج للزوجة أو الزوجات الجديدة انطلاقًا من شعور البنات بالغيرة على أمهن، من «الوافدات الجديديات»، لم نرَ أي شيء من ذلك في أسرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي هذا درس جيد تقدمه لنا العقيلة زينب (عليها السلام) في هذا الموضوع الأسري الذي يعد في هذه الأزمنة من أعقد الأمور الاجتماعية.

٤ / بنونا لبناتنا:

سنشهد دخول عبد الله بن جعفر الطيار في أسرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وإخوته، بعدما تزوج الإمام والدته أسماء بنت عميس التي استشهد عنها جعفر بن أبي طالب أخو الإمام في معركة مؤتة (سنة ٨ هـ) بعد أن أنجب منها أولاده، وخلف عليها أبو بكر بن أبي قحافة، ثم مات عنها سنة (١٣ هـ) فتزوجها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان عمر ابنها عبد الله حينذاك حوالي ثلاثة عشر عامًا. وهي فترة التلقي والتربية المناسبة، فهذا الشاب الذي حظي بدعوة مباركة من رسول الله (ﷺ)، وجد أثرها في حياته عندما دعا له النبي أن يبارك في صفقة يمينه، وأن يخلف الله على جعفر الشهيد الطيار، والذي كان رحيماً بالمساكين، في بنيه. لقد حصلت له البركة في جهاتها المختلفة فمن جهة كان مبارك الصفقة، ورابح التجارة، ومن جهة أخرى فقد صار قريباً بل لصيقاً بأمير المؤمنين وهو في بيته! فأخذ من معارف الإمام وأخلاقه ما وسع إناءه! وكان قريب السن من الحسنين (يكبرهما بعدة سنوات).

وستنتج تلك التربية والاهتمام العلوي بعبد الله، وصداقته للحسينين،

وما أخذ عبد الله من كل ذلك أن يكون مناسباً للاقتران بعقيلة البيت العلوي وخليفة أمها الزهراء، زينب التي ستعرف بالصديقة الصغرى.

ولا ريب أنها كانت محط اهتمام آخرين، لكنهم لم يكونوا في كفاءة للاقتران بها، فقد نقل أن الأشعث بن قيس الكندي^(١) قد تقدم لخطبتها، وكانت عاداته أن يشتري ويبيع في المواقف والدين، وكل شيء عنده قابل للبيع، من خلال الزواج! وقصته مع أبي بكر بعد ارتداده وأسرره معروفة.

فجاء يخطب^(٢) العقيلة زينب^(٣) فردده الإمام بقوله: «اعزب، بفيك الكثكث»،^(٤) ولك الإثلب! أغرّك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة؟

وربما في مثل تلك المناسبة قال أمير المؤمنين: بناتنا لبنينا! ولم نعثر على تاريخ دقيق لزواج عبد الله بن جعفر من زينب بنت علي (عليه السلام). كما لم أعثر على مصدر معتبر يوثق ما هو الشائع من أنه تم الاشتراط على عبد الله بن جعفر في العقد أن يسمح لها بالذهاب إلى كربلاء مع أخيها الحسين إذا أرادت ذلك، بل نعتقد أنه لم يكن هناك حاجة لمثل هذا الشرط مع كون ابن جعفر لصيقاً بأمر المؤمنين وبالحسين (عليه السلام).

وقد أثبت ابن جعفر ذلك عملياً من خلال اندماجه في برنامج أمير

(١) تحدثنا عن تاريخه وأولاده في كتابنا: عصابة الإثم: من قتل الإمام الحسين (عليه السلام).

(٢) الاندلسي: ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٤٨/٧، وكذلك طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ص ١٠٩.

(٣) مع أننا قد ناقش في الخبر المذكور بأن النص فيه يشير إلى لقب أمير المؤمنين؛ وحينها لا بد أن يكون الإمام في أيام خلافته الظاهرية، أي من سنة ٣٥ هـ، وحينها لا يمكن أن تكون هذه هي زينب العقيلة لأنها قد تزوجت بابن جعفر منذ مدة طويلة. فإما أن تكون غير زينب الكبرى أو أن يكون لقب أمير المؤمنين هو من زيادة المؤلف أو الناسخ.

(٤) الأفريقي؛ ابن منظور: لسان العرب ١٧٩/٢: الكثكث؛ التراب والحجر. ومثله الإثلب.

المؤمنين وصحبته الحسنين، وقد ذكرنا في موضع آخر^(١) أنه مع محاولات معاوية والسلطة الأموية «ترميزه وتسييده» على بني هاشم في مقابل الحسنين، كان يرفض ذلك ويصب كل قوته في تدعيم سيادتهما، ولا يرى لنفسه رأياً معهما، حتى في مثل تزويجه ابنته أم كلثوم كما سيأتي.

٥ / أسرة عبد الله بن جعفر وزينب:

سوف تضرب لنا زينب العقيلة مثلاً أعلى في التعايش، مع الزوجات الأخريات لعبد الله بن جعفر، فإن عبد الله قد تزوج عدة زوجات إلى جانب العقيلة زينب، وهي «سبطة» رسول الله وبنت الزهراء وعلي أمير المؤمنين، ولها المكانة الشخصية العالية علماً وحلمًا، لكن كل ذلك لم يكن ليجعلها تأنف من أن يتزوج زوجها عبد الله بن جعفر عليها، وفي أوائل حياتهما الزوجية المشتركة.

إن بعض النساء سوف يجدن هذا «كبيرة من كبائر الذنوب» بل ويصفنه «بالخيانة» أن يتزوج الزوج عليهن امرأة أخرى! لا سيما وكل امرأة ترى نفسها لا نظير لها فضلاً عن أن يوجد أحسن منها! فكيف لو كانت بصفات العقيلة زينب؟

لقد تزوج عبد الله بن جعفر عدة نساء، ومنهن من كانت^(٢) زوجة أمير المؤمنين بعد شهادة الإمام (عليه السلام). وتزوج نساء أخريات. وما وجدنا من زينب (عليها السلام) إلا التسليم والرضا باعتبار أنه يمارس حقه الشرعي الذي كفله له الدين. فلتعتبر النساء من هذا الموقف!

(١) راجع كتابنا: من أعلام الأسرة النبوية؛ الفصل الخاص بسيرة عبد الله بن جعفر الطيار.

(٢) العسقلاني؛ أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري بشرح البخاري ٩ / ١٥٥: «جمع عبد الله بن جعفر بين زينب بنت علي وامرأة علي ليلى بنت مسعود».

(٣) المشهدى؛ محمد بن جعفر: المزار ٤٩١.

وأم كلثوم هي ابنتها التي حاول معاوية أن يخطبها ليزيد ابنه، وأرسل مروان بن الحكم إلى عبد الله بن جعفر، ليخطبها لابنه ويمهرها ما شاءوا، ويؤدي بذلك ديونهم! فأخبره عبد الله بأن أمرها إلى الحسين (عليه السلام)، وكان الحسن قد استشهد حينها، ومع إصرار مروان على أن يعطيهم عبد الله بن جعفر إجابة وأن يتم العقد، خصوصاً وأن الحسين في ينبع وقد لا يأتي إلا بعد أيام، إلا أن ابن جعفر أصر على أن أمرها بيد الحسين لا غير، وعندما جاء الإمام الحسين (عليه السلام) رفض تلك الخطبة وزوجها من ابن عمها، وأمهرها أحد بساتينه. والقضية مفصلة يمكن الرجوع إليها في مصادرها.

ولم نحصل على معلومات موثقة عن ابنه الآخرين منها؛ عباس بن عبد الله، وهكذا عن محمد.

٦ / العقيلة زينب في خلافة أبيها الظاهرية:

مع وصول الخلافة إلى أمير المؤمنين بعد مقتل الخليفة الثالث، وإعلان أهل الجمل تمردهم عليه، ثم الحرب التي انتصر فيها أمير المؤمنين وعند رجوعه من البصرة، فقد نزل الكوفة واستقر فيها سنة ٣٦هـ. ومنها استدعى أسرته وأهل بيته الذين كانوا في المدينة المنورة كما استدعى أصحابه وأهل بيته عوائلهم وأسراهم إلى الكوفة.

وكان من الطبيعي أن يستدعي عائلته عبد الله بن جعفر الذي صار في حرب الجمل وفي أيام السلم، ركنًا من أركان أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولسنا الآن في صدد ترجمة عبد الله بن جعفر الطيار وأعماله، فقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في كتابنا أعلام الاسرة النبوية، وإنما بمناسبة ذلك للحديث عن السيدة زينب (عليها السلام).

قدمت زينب إلى الكوفة، ويقرر كتاب وباحثون أنها قامت بدور في موضوع التعليم والتثقيف النسائي الديني، وهذا أمر من المهمات فإن تأثير الزوجة والأسرة على الأزواج مما لا يخفى، ويبد الزوجات والأمهات تتقرر في كثير من الأحيان حتى التوجهات الدينية! ونجد هذا مرويًا كما نجده معاشًا في أيامنا. ولذلك قال النبي (ﷺ): «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(١).

ذكر هؤلاء الكتاب والباحثون أنه كان لزينب (عليها السلام) درس تفسير للقرآن، وكانت نساء الكوفة تجتمع لتستمع ما تفرغه عليهن عقيلة الطالبين التي يذكرها ابن عباس وهو حَبْرُ الأمة وسيد التفسير كما هو في نظر مدرسة الخلفاء، والتلميذ النبىء للإمام علي عند الإمامية، يذكرها بإكبار بقوله: حدثني عقيلتنا^(٢) زينب!^(٣)

ودرس تفسير القرآن وتعليمه، يقتضي أن يكون المدرس محيطًا بمختلف الجوانب القرآنية، سواء من حيث التلاوة والتجويد، أو من حيث المعاني اللغوية، أو من حيث الأحكام الشرعية، وقصص الأنبياء، والعقائد.. إلى غير ذلك. ولهذا كانت مرتبة معلم القرآن ومفسره من هذه الجهة مرتبة عالية!

ولا ريب أنها أخذت صلوات الله عليها علوم ذلك من أبيها باب مدينة علم النبي، ويشير إليه ما ورد من قول علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)

(١) حنبل؛ أحمد بن: مسند أحمد ٣١٩/١٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ٤٦٣/١١ العقيلة: في الأصل المرأة الكريمة النفس ثم استعمل في الكريم من كل شيء من الدّوات والمَعاني.

(٣) الاصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٩٥.

لها «وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة»^(١).

وقد ذكر في بعض المصادر نحو من ذلك التعليم العلوي الذي يتجاوز حدود اللفظ الظاهر والتفسير إلى آفاق الباطن والتأويل، عندما شرح لها (عليها السلام) ما ورد في أول سورة مريم؛ فإن التفسير خصوصاً في دائرة اللفظ مما يستطيعه الكثير غير أن التأويل والباطن لا يقتدر عليه إلا البعض، ولا سيما من كان لهم ارتباط بالعلم الإلهي الخاص.

الغريب أن بعض المخالفين بدلاً من أن يستفيدوا من علمها وعلم آبائها في الاهتداء إلى الطريق الواضح والدرب اللاحب، استفادوا من اسمها في الكذب عليها، لما يعلمون من قربها لرسول الله وأمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام، فترى هذا الحديث الباطل الذي ينقلونه عن لسانها ولسان أمها الزهراء (عليها السلام)، وترى هذا الحديث الذي نص بعض المنصفين منهم على كونه باطلاً يصول ويجول في مؤلفاتهم! فانظر إلى ما قالوه: «حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن إدريس، عن أبي الجحاف داود بن أبي عوف، عن محمد بن عمرو الهاشمي، عن زينب بنت علي، عن فاطمة بنت محمد، قالت: نظر النبي (ﷺ) إلى علي فقال: «هذا في الجنة، وإن من شيعته قومًا يعلمون الإسلام، ثم يرفضونه، لهم نبي يسمون الرافضة من لقيهم فليقتلهم فإنهم مشركون»^(٢). وهو تماماً في مقابل ما قاله النبي (ﷺ) لعلي بأنه وشيعته على منابر من نور.^(٣)

(١) الطبرسي؛ أحمد بن علي: الاحتجاج ٣١/٢.

(٢) التميمي، الموصلي؛ أبو يعلى أحمد بن علي: مسند أبي يعلى ١١٦/١٢.

(٣) ابن المغازلي؛ علي بن محمد الواسطي المالكي: مناقب علي ص ٣٠٦. «وإن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم، حولي أشفع لهم ويكونون في الجنة جيرانى،»

وأيضاً في مقابل ما نقل من أن زينب (عليها السلام) هي قامت بفضح بعض النساء اللاتي كن يتشمتن بأمير المؤمنين، (وفي رواية أنها نقلت ذلك إلى أم سلمة أم المؤمنين وهي التي قامت بالفضح) وذلك أن بعض نساء النبي لما وصل الإمام إلى ذي قار، في طريقه لقتال أهل الجمل كتب إحدى نساء النبي للأخري «فإني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا، فهو بمنزلة الأشقر؛ إن تقدم عقر، وإن تأخر نحر.

فدعت تلك جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر ما الخبر. علي في السفر. كالفرس الأشقر. إن تقدم عقر. وإن تأخر نحر. وجعلت بنات الطلقاء يدخلن، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء.

فبلغ أم كلثوم بنت علي^(١) (عليها السلام) فلبست جلابيها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات، ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها خجلت واسترجعت.

فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل.^(٢)

= وإن حربك حربي، وسلمك سلمي.

(١) المقصود هنا زينب، وأم كلثوم: كنية لها.

(٢) الريشهري؛ محمد: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ١٨٨/٥، وقولها (عليها السلام) إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم في سورة التحريم: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

٨ / ويرصد الباحثون في منزلتها العلمية:

العالية ما ذكره العلامة النقدي بقوله: «عن الصدوق محمد بن بابويه طاب ثراه كانت زينب (عليها السلام) لها نيابة خاصة عن الحسين (عليه السلام) وكان الناس يرجعون اليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين (عليه السلام) من مرضه (وقال الطبرسي) ان زينب (عليها السلام) روت أخباراً كثيرة عن أمها الزهراء (عليها السلام) (وعن عماد المحدثين) ان زينب الكبرى كانت تروي عن أمها وأبيها وأخويها وعن أم سلمة وأم هاني وغيرهما من النساء، وممن روى عنها ابن عباس وعلي بن الحسين وعبد الله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين الصغرى وغيرهم (و قال ابو الفرج) زينب العقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة صلى الله عليها في فدك فقال حدثني عقيلتنا زينب بنت علي (عليها السلام)»^(١).

فقد روت عن أسماء بنت عميس عن النبي أن فاطمة حورية في صورة إنسية، وذلك ما نقله ابن المغازلي في مناقب علي، بسنده إلى زيد بن علي عن أبيه عن زينب بنت علي قالت: حدثني أسماء بنت عميس قالت: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كنت شهدت فاطمة قد ولدت بعض ولدها، فلم ير لها دم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا أسماء إن فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية»^(٢).

وروت عن أمها عن جدها أن الحسين إمام أبو أئمة تسعة، كما ذكر ذلك الخزاز القمي بسند عن زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت علي (عليها السلام) عن فاطمة (عليها السلام) قالت: كان دخل إلي

(١) النقدي؛ الشيخ جعفر: زينب الكبرى ٣٥.

(٢) ابن المغازلي: مناقب علي ص ٤٣٢.

رسول الله (ﷺ) عند ولادتي الحسين (عليه السلام)، فناولته إياه في خرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء ولفّه فيها ثم قال: خُذْه يا فاطمة فإنه إمام ابن إمام أبو الأئمة التسعة، من صلبه أئمة أبرار والتاسع قائمهم^(١).

وما ذكره النقدي عن الصدوق، هو ما جاء أيضاً في كمال الدين من استشهاد حكيمة بنت الإمام الجواد (عليه السلام) في أن الرجوع مؤقتاً يكون لأُم الإمام العسكري جدة المهدي في أوائل غياب الإمام المهدي! ولما اعترض السائل على ذلك بأنه كيف يكون الرجوع لامرأة، أخبرته حكيمة أنه قد تقتضي بعض الظروف ذلك حمايةً لإمام الأصل وحفاظاً عليه واستشهدت بأن ذلك حصل أيام الإمام الحسين (عليه السلام) عندما قربت شهادته فإنه أوصى إلى العقيلة زينب سترًا على زين العابدين^(٢).

وأما روايتها للخطبة الفدكية فهو الأمر العجيب، وذلك أنها كانت ذلك الوقت في عمر الخامسة أو الرابعة، فكيف لها بأن تحفظ هذه الخطبة الطويلة ذات المعاني العلمية المركزة، والاحتجاجات القوية؟^(٣)

والأعجب أن أسانيد الخطبة على اختلافها تنتهي في الغالب إلى عدة مصادر أهمها هو العقيلة زينب التي يقول عنها ابن عباس «عقيلتنا

(١) الخزاز القمي؛ علي بن محمد: كفاية الأثر ص ١٩٤.

(٢) الصدوق؛ ابن بابويه محمد بن علي: كمال الدين وتمام النعمة ٥٠١ «.. فإلى من تفزع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدة أم أبي محمد (عليه السلام) فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى المرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إن الحسين بن علي (عليه السلام) أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب بنت علي تسترًا على علي بن الحسين» وكذلك نقله المسعودي في اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص ٢٧٢

(٣) لمعرفة جانب مما جاء في تلك الخطبة يراجع كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد. من سلسلة النبي والعتره.

زينب». ومع أن الحسين وعبد الله بن جعفر وابن عباس نفسه والكثير من أصحاب رسول الله وأولياء أمير المؤمنين (عليه السلام)، وغيرهم كانوا حضوراً في المسجد، ولكن لم تنقل عنهم، ونقلت عنها، مما يفيد ذكاءً متميزاً وحافضة قوية وفوق كل ذلك اهتماماً برواية الخطبة ونشرها.

وسياتي بعض التحليل والملاحظة لخطبها في الكوفة والشام، وهو ما يعلن بوضوح عن منزلتها العلمية العالية، فإن المرء مخبوء تحت لسانه. ويعرف من خلال كلامه.

٩/ العودة إلى المدينة بعد شهادة الوالد:

لله قلب زينب العقيلة، فكم يتحمل هذا القلب؟ في أوليات عمرها سجلت ذاكرتها وفاة جدها رسول الله (ﷺ)، ولم تكّد تفيق من تلك الصدمة، حتى جاءتها الصدمة الكبرى برؤيتها أمها الزهراء طريحة على بابها قد فقدت جينها المحسن الذي أسقط بعنف! وتذكر بلا شك أيامها الأخيرة حين صارت وهي الشابة من الضعف كالخيال! وإلى أن جاءت ذات يوم إلى غرفتها فشدهتها وقد توجهت إلى القبلة وفارقت الدنيا! فاسودت في عينيها الدنيا!

الوالد الرؤوف والعطوف، أيضاً هو في بيتها ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، يترقب لقاء ربه، ومرافقة ابن عمه رسول الله، والسابقين كحمزة وجعفر ونظرائهم، هو على عَجَل وهي على وَجَلٍ، وكلاهما ينتظران نتيجة هذه الليلة مع الفجر.. لقد تحقق ما تخوفت منه عندما سمعت نداء المنادي بين السماء والأرض: تهدمت والله أركان الهدى وانفصمت العروة الوثقى!

ومع أنه جيء به إلى منزلها، واهتمت به غاية الاهتمام، وجاء إخوتها

له بالجراح الأول في الكوفة هاني بن أثير السكوني إلا أن قضاء الله تعالى كان أمضى من ذلك، فغادر علي أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى دار خير له من هذه الدار، وأصحاب خير من أولئك الأصحاب.

ماذا بقي لها في الكوفة غير ذكريات سنوات خمسٍ مما ملأه أمير المؤمنين (عليه السلام) بوجوده؟ منبره ومسجده وصوت أذانه، وبلاغة خطبه، وحضوره في ساحات الأمر بالمعروف، ونصائحه لأهل السوق، وتحريكه الجموع لقتال الناكثين والقاسطين والمارقين! هي تبقى ذكريات، وصورًا.

وزاد الطين بلةً ما حصل بعد شهادته من الخذلة التي عاشها الحسنان وأنصار أمير المؤمنين، فانتهى المشوار إلى أن صار أبناء الطلقاء هم أرباب المنبر! سيعود الحسنان وبنو هاشم، وخلص أصحاب الإمام المدنيون أصلاً، والذين جاؤوا إلى الكوفة بمجىء الإمام ولأجل تنفيذ برنامجه ومناصرة له، سيعود كل هؤلاء إلى المدينة المنورة بعدما استشهد حامل اللواء وصاحب الراية علي (عليه السلام).

فرجعت زينب مع زوجها عبد الله بن جعفر وأولادها إلى المدينة، ليبقى الجميع تحت توجيه ورعاية الحسين (عليه السلام)، بمن في ذلك زوجها الذي زاد ارتباطه بالحسين حتى صار لا يفارقهما، ولا تكاد تجد قصة من قصص الخير والتقوى فيها الحسنان إلا وكان عبد الله بن جعفر ثالثهما.^(١)

(١) وقد تعرض عبد الله بن جعفر إلى حملة تشويه خاصة من جهة الزبيريين، كما أشار إلى ذلك باحثون منهم العلامة النقدي وبينوا دور الزبيريين في تشويه ابن جعفر، ومنها اتهام عبد الله بن جعفر بالغناء وفرية طلاقه لزوجته زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) وأكثر الحكايات الطاعنة في بني هاشم بعد التتبع وجدناها من وضع الزبير بن بكار عدو أهل البيت وقد بلغت عداوته إلى حد أن العلويين طلبوا الخلاص منه بقتله.. ذكره العلامة النقدي في كتابه السيدة زينب ٧٩.

١٠ / رحلة النصرة من المدينة إلى مكة فالعراق:

حين الحسين نوى الصلاة وشدَّ أطراف العمامة
كان العراق هو الأذان وكانت الدنيا إقامة
والكون يسأل حائراً: أهَي الصلاة أم القيامة؟^(١)

قد ذكرنا في كتابنا «أنا الحسين بن علي» الظروف التي دعت الإمام الحسين (عليه السلام) لرفضبيعة يزيد، بعدما عهد بها إليه أبوه معاوية من غير استحقاق ولا مشورة! فكان أن خرج من المدينة المنورة، قاصدا مكة المكرمة ومنها إلى جهة العراق.

وقد خرج معه من المدينة خلص أهل بيته، والملازمون له، كما التحق به آخرون في مكة المكرمة وفي الطريق إلى كربلاء. وكان من الطبيعي أن تكون زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) معه، لشدة العلاقة التي تربطهما منذ الصغر، ووحدة الطريق والأهداف التي يتوخاها، كيف لا وهو إمامها؟ وهي التي روت عن أمها فاطمة كما نقلنا في الصفحات الماضية أنه إمام ابن إمام والد أئمة تسعة!

وألفتنا النظر إلى أننا لم نعثر على شيء يوثق اشتراط الإمام علي (عليه السلام) على عبد الله بن جعفر بأن يسمح لها بالذهاب إلى كربلاء مع أخيها، على أنه لم تكن هناك حاجة لهذا الاشتراط!

نعم مقتضى الأمور أنها (عليها السلام) لم تكن لتذهب في هذا المسير مع إمامها وأخيها، إلا بعد استشارة واستئذان زوجها، فإن هذا من الأمور البديهية في مثلها.

(١) من قصيدة للشاعر المتميز جاسم الصحيح الأحسائي.

سوف نتجاوز قضايا الطريق وما جرى فيه، لتتناول جانباً من الدور الذي قامت به منذ الوصول إلى كربلاء. فالناظر إلى مجريات الأحداث سوف يتوصل إلى أن زينب (عليها السلام) كانت بمثابة المديرية الداخلية للمخيم الحسيني.

أ/ فنحن نلاحظ أن دور السيدة زينب كان متقدماً على كل النساء بمن فيهن زوجات الحسين (عليه السلام) وكان بعضهن بلا ريب في المخيم، ومن العادة أن تكون الزوجة هي طريق النساء إلى زوجها، تقضي حوائجهن وتوصل رسائلهن، لكننا نرى أن ذلك الدور قامت به العقيلة زينب (عليها السلام)، وما نقل من أن الرباب زوجة الحسين عندما أضر العطش بطفلها عبد الله الرضيع، جاءت به إلى العقيلة زينب وهي التي جاءت به إلى الحسين (عليه السلام) لكي يطلب له الماء من الأعداء.

ب/ ينقل أرباب المقاتل أن حبيبا بن مظاهر الأسدي عندما وصل إلى كربلاء وسرت حالة من الفرح في أنصار الحسين (عليه السلام) لاحظتها السيدة زينب فاستخبرت من علي الأكبر، ولما أعلمها أن حبيبا هو القادم بعثته بسلامها، فكان أن جاء إليها رداً على تحيتها، وأوصته عندها بنصرة الحسين.. إن هذه المراقبة والتفاعل مع القادم وما جرى بعد ذلك ليشير بوضوح إلى موقع السيدة زينب في هذا المخيم، في فعل لم تقم أي من النساء بالتفاعل معه.

ج/ نقل السيد المكرم في المقتل أنه في ليلة العاشر وقد دخل الحسين إلى خيمة العقيلة زينب فسمعها تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة.

فقال لها: واللّه لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأفعس

يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه»^(١).

ج/ ونقل اليعقوبي في تاريخه، والمفيد في الإرشاد ما جرى بين الإمام الحسين وبين زينب كما رواه الإمام علي بن الحسين حيث قال: «إني لجالس في العشية التي قتل أبي الحسين بن علي في صبيحتها، وعمتي زينب تمرضني، إذ دخل أبي، وهو يقول

يا دهر أف لك من خليل كم لك في الإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك السبيل

ففهمت ما قال، وعرفت ما أراد، وخنقتني عبرتي، ورددت دمعي، وعرفت أن البلاء قد نزل بنا، فأما عمتي زينب، فإنها لما سمعت ما سمعت، والنساء من شأنهن الرقة والجزع، لم تملك أن وثبت تجر ثوبها حاسرة، وهي تقول: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة وعلي والحسن بن علي أخي، فنظر إليها فردد غصته، ثم قال: يا أختي اتقي الله، فإن الموت نازل لا محالة! فلطمت وجهها، وشقت جيبها، وخرت مغشياً عليها، وصاحت: وا ويلاه! وا ثكلاه! فتقدم إليها، فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أختاه، تعزي بعزاء الله، فإن لي ولكل مسلم أسوة برسول الله، ثم قال: اني أقسم عليك، فأبري قسمي، لا تشقي علي جيئاً ولا تخمشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي، فإني لمريض مدنف، وخرج إلى أصحابه»^(٢).

(١) المقم؛ عبد الرزاق: مقتل الحسين ص ٢٢٦.

(٢) اليعقوبي؛ أحمد بن واضح: تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤٣.

فنحن نلاحظ أن زينب عمتها هي التي تمرضه، مع أن زوجته فاطمة بنت الحسن كانت معه في كربلاء مع ابنها محمد الباقر (عليه السلام).

د/ وفي يوم العاشر عندما صرع الشهيد الطالب الأول علي الأكبر بن الحسين (عليه السلام)، وجاء الإمام الحسين إلى جثته المقطعة بالسيوف، وحيث خشيت العقيلة زينب على الحسين (عليه السلام)، فإنها خرجت من خيمتها لتنادي من باب المخيم يا أخياه! ويا بن أخياه! قال: فسألت عليها، فقيل: هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله «^(١)».

١١ / قائدة الركب بعد مصرع الحسين:

سيتجلى دورها الأكبر في القسم الثاني من نهضة الحسين، وما قامت به منذ مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) وإلى سبيلها للشام، وحيث أننا قد تعرضنا بشيء من التفصيل لهذه القضايا في كتابنا أنا الحسين بن علي، فنشير إشارات سريعة ومختصرة لما تم تفصيله هناك.

أولاً: سوف تركز جهودها على حفظ إمام الخلق علي بن الحسين (عليه السلام)، والاستمرار لنسل الحسين، فإنه (عليه السلام) كان مستهدفاً من الجيش الأموي والسلطة، بالإضافة إلى كونه عليلاً مدنياً فهناك إذن خطران يهددانه ولا بد من إحاطته بأقصى درجات العناية والحماية، وهو ما صنعتها العقيلة زينب في أكثر من موضع، ففي أول هجوم للجيش الأموي على مخيم الحسين بعد مقتله للسلب والنهب، رأى شمر بن ذي الجوشن الإمام علياً بن الحسين طريحاً في المخيم، فجاء مسرعاً لقتله لولا أن العقيلة زينب ألقته بنفسها عليه!

(١) الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ٤٤٦/٥.

وحين رآته (عليها السلام) يجود بنفسه من شدة الألم والأسى لما رأى الجثث الطاهرة والجثامين المقدسة على الرمضاء وهو على ظهر الناقة في يوم الحادي عشر من محرم، اتجهت إليه مع ما كان فيها من الألم وعليها من المسؤوليات ورعايتها للعائلة لتخاطبه بما سيقى شعارا يغذي الحسينيين بالأمل، ويضيئ لهم كما الشمس طريق العمل، ولنقرأ الرواية عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) نفسه، حيث يقول: «إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي (عليه السلام) وقتل من كان معه من ولده واخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي (عليها السلام)، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي، فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرجين بدمائهم، مرملين بالعرى مسلمين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت: لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (ﷺ) إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً»^(١).

(١) بن قولويه؛ جعفر بن محمد: كامل الزيارات ص ٤٤٤.

وفي موضع ثالث وهو أخطرها، كانت (عليه السلام) مستعدة لأن تُقتل ولا يُقتل إمامها زين العابدين، فأشبهت بذلك أمها الزهراء في تضحياتها بجنيها، بل بنفسها في حماية الإمامة، وذلك الموضع هو لما أُدخلوا أسارى في الكوفة على عبيد الله بن زياد، لعنه الله، وفي الرواية عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال: «فلما أدخلت على ابن زياد قال ما اسمك؟ قلت علي بن حسين! قال أو لم يقتل الله علياً؟ قلت: كان أخ أكبر مني يقال له عليُّ قتله الناس! قال: بل الله قتله! قلت: ﴿لِلَّهِ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ فأمر بقتله! فصاحت زينب بنت علي يا بن زياد حسبك من دمانا أسألك بالله إن قتله إلا قتلتي معه»^(١).

وثانياً: سوف تقرر النفوس بمطارق التوبيخ في الكوفة والشام، مذكرة الجميعَ بعظم المصيبة التي ارتكبت بحق النبي المصطفى (عليه السلام) وعثرته وأنصارهم. وأنه كيف يقر لهم قرار وقد فعلوا ذلك الفعل؟ والملاحظ أن خطابها في الكوفة بل خطبها تتمايز عن خطبتها في الشام لكونها تخاطب أشخاصاً مختلفين وتستهدف أهدافاً متعددة.

فهي في الكوفة تريد أن تشعل في النفوس جمرة الإحساس بالإثم وخطيئة الخذلان، لكي تخلق حركة باتجاه ثارات الحسين فيما بعد، فها هي تخاطبهم: «أما بعد يا أهل الكوفة. يا أهل الختل والخذل. فلا رقات العبرة ولا هدأت الرنة. إنما مثلكم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً. تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم. ألا وهل فيكم إلا الصلف والصدر الشنف. ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله. فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً. فلقد فرتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً. وأنى

(١) الطبري؛ محمد بن جرير: المنتخب من ذيل المذيّل ص ١١٩.

ترحضون قتل سليل خاتم الرسالة وسيد شبيبة أهل الجنة وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم. ألا ساء ما تزرون. تعسًا ونكسًا. فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة. ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد (ﷺ) فريتم؟ وأي دم سفكتكم؟ وأي حرمة له أضعتم؟ لقد جئتم شيئًا إداً. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الجبال وتخر الجبال هداً. ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض والسما. أفعجبتم أن قطرت السماء دمًا. فلعذاب الآخرة أخزى ولا تنصرون. فلا يستخفنكم المهمل، فإنه لا يخاف فوت الثأر. كلاً. إن ربك لبالمرصاد»^(١).

وثالثاً: فقد كسرت كبرياء الطاغية: فأمام ابن زياد الذي كان رؤساء القبائل يتبولون في ثيابهم خشية من نظراته، وقفت (عليها السلام) موقفاً خلده لها الدهر، وأكبره الزمان، فإنهم لما أدخلوا عليه الأسارى، كانت زينب متنكرة في وسط النساء، «فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه، فقال بعض إماءها: هذه زينب ابنة فاطمة، قال: فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد (ﷺ) وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك! قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده! قال: فغضب ابن زياد واستشاط، قال: فقال له

(١) ابن الفقيه؛ أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني: البلدان ص ٢٢٤. والأُمالي، للشيخ المفيد ص ٣٢٢، بلاغات النساء ص ٢٨. وسيأتي شيء من التحليل والتوضيح لهذه الخطبة في بحث قادم.

عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها! إنها لا تؤاخذ بقول، ولا تُلام على خطئ، فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك، قال: فبكت ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت^(١).

ورابعا: فقد ساهمت في قلب الأوضاع في الشام على يزيد بن معاوية حتى تنصل من جريمة قتل الإمام الحسين (عليه السلام) في خطاب هو من البلاغة يكاد يكون معجزا^(٢)، وكان هذا الخطاب وخطاب الإمام زين العابدين (عليه السلام) سببا تاما في تغيير بوصلة الاتجاه في الشام، بعدما كانت شامته وكان الجمهور يرى أن هؤلاء سبايا ترك أو ديلم وإذا به يستيقظ على حجم الفاجعة والكارثة التي حلت بالإسلام عندما سبيت نساء نبي الإسلام وذرية رسوله!

وقد ذكرنا في كتاب أنا الحسين آثار هذا التغير الذي بدأ من داخل البلاط الأموي وقصر الحكم، وأخذ يتمدد في الناس حتى لم يستطيع يزيد تحمل آثاره، فبدأ بالتنصل من الجريمة وإلقائها على ابن زياد، وأن يزيد لم يقتل الحسين ولم يأمر بذلك ولم يرض به أيضا.

١٢ / العودة إلى مدينة رسول الله:

بعدما تغير المزاج العام في الشام ورأى يزيد أنه لا بد أن يتخلص من هذا الملف المقلق والمزعج، سير الركب الحسيني من جديد من الشام

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٥ / ٤٥٧.

(٢) قد ذكرنا في كتابنا أنا الحسين بن علي شيئا مختصرا عنه وقد يأتي في قادم الصفحات ما يلقي أضواء عليه.

إلى جهة المدينة، وفي الطريق مروا على كربلاء وجددوا العهد بتلك القبور المقدسة. لينطلقوا بعدها إلى المدينة المنورة ولسان حالهم:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا رجعنا لا رجال ولا بنينا

لن يستقر بها المقام كثيرا، وذلك أن والي الأموي الشرس عمرو بن سعيد بن العاص، والذي كان يتوق لمناصب جديدة من أسياده، أراد أن يجعل من التنكيل بأسرة الحسين (عليه السلام) وذرية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سلماً لذلك، ولذلك استقبل القافلة المتعبة الحزينة بأسوأ ما يمكن استقبال عائد من سفره مثكول بأهله. وكشف عن طبيعته الأموية الحاقدة، عندما شمت بهم، وقد سمع ناعيتهم وصوت بكائهم، ضحك وتمثل بقول الشاعر:

عجّت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا بيوم الارنب
يوم بيوم عثمان! (١)

سيبقى هذا المجرم يحرض السلطة في دمشق على العقيلة زينب ويطالب بإخراجها من المدينة لا سيّما وأن وجودها فضلا عن خطبها وكلامها ووصفها لما جرى في كربلاء وما جرى على النساء في رحلة السبي، سوف يعطي الوعي للأمة بحقيقة بني أمية ومعاداتهم لدين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

١٣ / كيف ماتت العقيلة زينب وأين دُفنت؟

الواضح أن العقيلة زينب (عليها السلام) لم تبق مدة طويلة بعد الإمام الحسين،

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٤٦٦/٥. وابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٩١/٣. أقول قد جهل هذا الأحمق أن من دافع عن عثمان يوم هوجم، هو الحسن والحسين أرسلهما أبوهما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لذلك. بل إن نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون أثماً!» نهج البلاغة: ٢ / ٢٣٣.

والراجح أنها لحقت بخالقها بعد سنة من شهادة الإمام الحسين (عليه السلام).. وما ذهب إليه بعضهم من أنها توفيت سنة ٦٤ هـ لا يوجد دليل عليه. والقرائن التاريخية تخالفه.

غير أنهم اختلفوا في كيفية موتها، ومكان دفنها وظروف ذلك. وهناك ثلاث نظريات:

النظرية الأولى:

ما يوضحها كلام المحقق الكرباسي في دائرة المعارف الحسينية بالطبع ذهب إليها غيره، ولكنه استدل عليها ورتبها وأورد أخباراً في مسألة خروجها من المدينة المنورة أولها وأهمها ما نقله عن العبيدلي، مسنداً عن مصعب بن عبد الله الزيري، قال: كانت زينب بنت عليّ وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد بلغ ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر. فكتب إليه: أن فرق بينها وبينهم، فأمر أن ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء، فقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيرنا، وانسقنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله! لا خرجنا وإن أهرقت دماؤنا. فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوا منها حيث نشاء، فطبي نفسي وقرّي عيناً وسيجزي الله الظالمين أتريدن بعد هذا هواناً؟ ارحلي إلى بلد آمن. ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلفظن معها في الكلام وواسينها.^(١)

(١) معجم أنصار الحسين (النساء) ١/ ٣٦٤ عن أخبار الزينبات للعبيدلي. أقول: قد شكك =

ونقل بعد ذلك خمس روايات تنتهي إلى نفس النتيجة ما بين مختصرة، ومفصلة، ومشيرة إلى أنها رحلت من المدينة إلى مصر، وأنه استقبلها مسلمة بن مخلد الأنصاري والي الأمويين في مصر، وأنها بقيت في داره مدة أحد عشر شهراً ثم ماتت في شهر رجب سنة ٦٢ هـ.

وقال الكرباسي: ملخص هذه الروايات: إن السيدة زينب بعدما وصلت في ربيع الأول من عام ٦١ هـ، إلى المدينة أخذت تخاطب الناس وتؤلبهم ضد الأمويين، ما أثار حفيظتهم فكتب الوالي الأموي عمرو بن سعيد الأشدق الأموي، إلى يزيد بن معاوية مقترحاً عليه إبعاد السيدة زينب (عليها السلام) من المدينة، فأبدى يزيد موافقته إلا أنها رفضت واستعدت للمواجهة ولكن نساء بني هاشم، ولعله الإمام السجاد (عليه السلام) كذلك تدخل في الأمر ونصحوها بالمغادرة تلافياً للأخطار التي ستلحق بأهل المدينة. فخضعت لنصائحهم وخرجت مع كوكبة من نساء بني هاشم متوجهة نحو مصر حيث جرت الاستعدادات لذلك فوصلتها في حدود ٢٧ رجب عام ٦١ هـ. فاستقبلها أركان الدولة الأموية هناك إلى جانب عدد من الموالين ويبدو والله العالم لم تكن مختارة في اختيار المنفى ولربما كانت تختار اليمن مثلاً أو الكوفة، ثم إنها كانت منهكة ولا نستبعد أن تكون هناك عملية اغتيال بطريقة هادئة، فقضت نحبها في الخامس عشر من شهر رجب من عام ٦٢ هـ، ودفنت في بيت الوالي التي كانت تعيش فيه في ظل الإقامة الجبرية.^(١)

= الشيخ محمد تقي التستري في كتابه قاموس الرجال ٣٨/١١ في كتاب أخبار الزينبات وفي كونه ليحيى بن الحسين العلوي صاحب نسب آل أبي طالب، فقال: «أمّا كتاب أخبار الزينبيات - الذي طبع في مصر مرتين وجدّد طبعه في قم ناسباً للكتاب إلى يحيى هذا - فمن وضع المعاندين، وفيه أخبار مختلطة».

وبطبيعة الحال فإن هذه المقدمات التي تؤكد:

أن خروجها من المدينة كان تسفيراً وإبعاداً من جهة السلطة الأموية. وأن ذهابها إلى مصر ليس اختيارياً وإنما هو نفي إلى هناك. وأنها هناك ستكون تحت المراقبة في بيت الحاكم الأموي. وأنها آخر الأمر تم اغتيالها. ستؤكد أن مدفنها هو في مصر وأن قبرها هو المعروف بالمشهد الزينبي في القاهرة.

وقد ذكر المحقق النقدي في كتابه، ما يشير إلى قبوله هذه النظرية، وصفاً للمشهد الزينبي في القاهرة عن «لسان الرحالة محمد الكوهيني الفاسي الاندلسي وقد دخل القاهرة في ١٤ محرم سنة ٣٦٩ والخليفة يومئذ أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي فزار جملة من المشاهد من بينها هذا المشهد (قال) دخلنا مشهد زينب بنت علي فوجدناه داخل دار كبيرة..»^(١).

هذا ولكن قد شكك بعض المحققين في جملة أخبار خروجها من المدينة إلى مصر، بل شكك في صحة انتساب الكتاب الذي نقل تلك الأخبار إلى مؤلفه كما عن المحقق التستري.^(٢)

(١) النقدي: زينب الكبرى ١ / ١٢٤.

(٢) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال ١١ / ٤١ وقد علق المؤلف على خبر: «مصعب بن عبد الله (الزبير)، قال: كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة وحمل الناس يفعل مجنوناً ما تُسب إليها؟ ألم تدر تلك العقيلة أن ابن الزبير كان يسب أباه؟ ألم تدر أن حمل ابن الزبير على الأخذ بثأر الحسين (عليه السلام) كان غرضه وصوله إلى الخلافة؟.. فكيف تخطب تلك العقيلة لقيام الناس لتقوية أمر ابن الزبير؟ وهو الذي كان في خطبة جمعته لا يذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ذكر بني أمية له (عليه السلام)؟»
وعلق بعده على الخبر «عن محمد أبي القاسم بن علي - والظاهر أن المراد محمد بن =

النظرية الثانية:

وهي التي ذهب إليها آية الله السيد محسن الأمين العاملي، وذكرها باختصار مع دليلها المفترض في كتابه أعيان الشيعة فإنه قال: «يجب أن يكون قبرها في المدينة المنورة فإنه لم يثبت أنها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها وإن كان تاريخ وفاتها ومحل قبرها بالقيع مجهولين وكم من أهل البيت أمثالها من جهل محل قبره وتاريخ وفاته خصوصاً النساء»^(١).

وكلامه واضح في اختياره، ودليله: أنه ثبت وصولها للمدينة بعد السبي والأسر ولم يثبت بدليل معتبر خروجها من المدينة فيقتضي ذلك أن تكون وفاتها فيها وقبرها في بقيع المدينة.

وقد يورد عليه بأنه لو كان لبان؛ فإنه لم يذكر أحد ممن تحدث عن مقبرة البقيع والمدفونين فيها أن زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) مدفونة هناك. ولا ينفع اعتذار السيد الأمين بجهالة محل قبرها بأنه كم من أهل

= الحنفية -: لما قدمت زينب بنت عليٍّ من الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان مرّت فتنه بينها وبين عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب بذلك فجهّزها هي ومن أراد السفر معها من نساء بني هاشم، فقدمتها لأيام بقيت من رجب». علق عليه قائلًا: ويرد عليه - غير ما مرّ في سابقه - أنه لم يكتب التواريخ والمقاتل من العامة والخاصة مع كثرتها ذلك غيره، فلعلّه رأى ما كتبه في المنام! وعلق على خبر «عن الحسن بن الحسن أنّ عمته زينب لما خرجت من المدينة خرج معها من نساء بني هاشم فاطمة ابنة الحسين (عليها السلام) وأختها سكينه» وقال التستري: والأمر فيه كما في سابقه.

كما أورد الخبر الذي نقله كتاب أخبار الزينبات عن «روى عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري قال: رأيت زينب بنت عليٍّ بمصر بعد قدومها بأيام، فوالله! ما رأيت مثلاً وجهاً كأنه شقّة قمر» قال: وكفى خزيًا لصاحب الكتاب بتضمّنه مثل ما كتب!!

(١) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة ١٤٠/٧.

البيت من أمثالها من جهل قبره! للفرق الكبير بين منزلتها ومنزلة أولئك المجهولين، فقد أثبت المؤرخون دفن من هو أدنى شأنًا عند الناس من زينب، ممن دفن في البقيع كعمات النبي ونظيراتها.

ولم أعثر على رأي للسيد الأمين في كتاب أخبار الزينبات، فإن في هذا الكتاب عدة أخبار سبقت الإشارة إليها ضمن عرض النظرية الأولى تفيد بخروج زينب من غير اختيارها بواسطة السلطة الاموية، وأنها أُخرجت بعد وشاية عمرو بن سعيد الأشدق، وأمر يزيد بن معاوية على أثر ذلك بإخراجها إلى مصر.

فإن كان رأيهم كما نقلنا عن الشيخ التستري من التشكيك في صحة نسبة كتاب أخبار الزينبات إلى يحيى بن الحسين العلوي، أو الاعتقاد بأن فيه أخباراً مختلطة وقد تكون أخباراً ذهابها من تلك. فكلامه من عدم ثبوت خروجها عن المدينة هو على القاعدة.

النظرية الثالثة:

وهي التي تقول بأن وفاتها كانت في أطراف دمشق وأن قبرها هو في منطقة راوية المعروفة حالياً بالست زينب ويقول أتباع هذه النظرية أن السيدة زينب (عليها السلام) سافرت مع زوجها إلى الشام بسبب مجاعة حصلت في المدينة المنورة، فجاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر إلى مزرعة كان له في أطراف دمشق، وبعد وصولها إليها بمدة مَرَضَتْ وبعد موتها دُفِنَتْ في هذا المكان. وربما استند هؤلاء إلى ما ذكره الطبري في كتابه الكامل البهائي من قوله: «رُوي أنَّ أُمَّ كلثوم أختَ الحسين (عليه السلام) توفيت بدمشق».^(١)

(١) القمي؛ الشيخ عباس: نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ص ٤٢٨.

وقد يؤيد أصحاب هذه النظرية رأيهم بما ذكره ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) عند حديثه عن دمشق قال: «وبقرية تعرف بالمنيحة شرقي دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد ابن عبادة رضي الله عنه وعليه مسجد صغير حسن البناء وعلى رأسه حجر مكتوب عليه هذا قبر سعد بن عبادة رأس الخزرج صاحب رسول الله (ﷺ) تسليماً وبقرية قبلي البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة (عليها السلام). ويقال: إن اسمها زينب وكنّاها النبي (ﷺ) أم كلثوم لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله (ﷺ) وعليه مسجد كبير وحوله مساكن وله أوقاف. ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم»^(١).

وقبله ذكر النصّ نفسه ابن جبير (ت ٦١٤ هـ) ولكنه قيد اسم زينب بـ (الصغرى).

ويعترض بعضهم على هذه الفكرة، بأنه لم يعهد في السنة التالية أو التي بعدها مما يفترض أنه سنة وفاتها وجود مجاعة في المدينة كما لم يعهد وجود بستان أو بساتين لزوجها في أطراف دمشق. قال المحقق النقدي إنه «حديث لا أثر له في كتب التاريخ والسير والانساب والتراجم ولم يذكره المنقبون في الآثار ممن كتب في أهل البيت، كالكليني والصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي وابن شهر آشوب، والطبرسي، وابن الفثال، والعلامة الحلي، وابن طاووس، والوزير الأربلي، والمجلسي الذي جمع فأوعى.. وما أدري (و لا المنجم يدري) من أين جاء القائل بحديث المجاعة وقد خلت عنه زبر الأولين

(١) ابن بطوطة؛ محمد بن عبد الله: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ١/ ٣٢٣.

الذين هم أقرب عهداً بأمثال هذه الوقائع من هذا القائل وذويه»^(١).
هذه ثلاث نظريات في وفاتها (عليها السلام) ومكان دفنها باختصار مع شيء
من أدلتها وما قد يرد عليها من إشكالات.

❖ تأملات في خطابات العقيلة زينب (عليها السلام)

مع أننا قد كتبنا في هذا الجانب بعض الصفحات في كتاب أنا
الحسين بن علي، بعنوان: كيف خاطبوا المجتمع الكوفي، إلا أن المناسبة
هنا تقتضي الحديث الجديد عن تلك الخطب والكلمات.

يسجل التاريخ خطبتين رئيسيتين للسيدة زينب؛ إحداهما في الكوفة
والثانية في الشام. وسنشير إلى أهم نقاط هاتين الخطبتين في صورة
متسلسلة بالأرقام. مع أن كل واحدة منهما تحتاج إلى تفصيل في
الحديث عنها لكن حيث أننا بنينا على شيء من الاختصار، سنحاول
التركيز على أهم القضايا فيهما.

أولاً: إن كل الظروف المحيطة بالعقيلة زينب (عليها السلام) كانت تقتضي ألا
تكون تلك الخطبتان في القمة من حيث البلاغة والمضامين، بل كانت
ظروفها معاكسة تماماً، فمن جهة هي كانت امرأة «خفرة» ومستورة،
وخطبتها ستكون في محفل رجال وأجواء معادية، ومن الطبيعي ألا
تكون انطلاقة المرأة الخفرة والعفيفة في وسط الرجال بنفس انطلاقتها
حين تكون في محفل نسائي.

كما أن وضعها البدني والجسماني كان صعباً، فهي في الكوفة لتوها
قد وصلت من كربلاء مسيبةً على النياق الهزل، وبعد أيام من الجوع

(١) النقدي: زينب الكبرى / ١٢٠.

والعطش، فشاهدت ذلك الجمع اللاهني والمتفرج، فانبعثت تخطب فيهم. هذا ولا ننسى أنها كانت في سن الخامسة والخمسين تقريباً وهو يعتبر خريف العمر وما يترافق مع الضعف.

يضاف إلى ذلك أن وضعها النفسي كان متعباً لكونها قد فقدت إختوها بتلك الصورة المأساوية، وكذلك ابنها وأبناء إختوها وسيبها مع النساء والأطفال، ومثل هذه الحالات هي عوامل معاكسة لأن يتمكن المتكلم من إعداد خطاب مناسب. ولا سيما في بيئة معادية أو غير مناصرة على الأقل.

وبالخصوص في خطبتها الثانية في الشام حيث كانت تشاهد اللعين يزيد قد وضع رأس أخيها في طشت وهو ينكت ثناياه بعود الخيزران! إن شحنة الغم والأسى قد تحبس لسان المتكلم تماماً عن الحديث، فكيف جاءت بهذا الخطاب العظيم ومثله ما كان في الكوفة؟

وكون الخطاب مرتجلاً من غير سابق إعداد ولا تهئية أيضاً من شأنه أن يجعل الخطاب ضعيفاً؛ في معانيه ومضامينه أو في أسلوبه وأدائه، لكننا وجدنا خلافاً لذلك أن خطابي العقيلة زينب (عليها السلام) كانا في القمة، من الجهتين؛ المضمونية والبلاغية. إلى الحد الذي قال بعضهم فيها مع كل ما سبق من أمور معاكسة «لم أرَ خفرة والله أنطق منها كأنما تنطق وتفرغ على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)». ^(١) وبلغ من تأثير خطابها ما قاله أحدهم: «فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع، وهو يقول بأبي أنتم وأمي كهولكم خير

الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير النسل، لا يُخزى ولا يُزى». (١)

ثانيًا: إن كلا الخطابين كان مختصرًا ومع ذلك فقد احتوى كلُّ منهما على مواضيع كثيرة، وهذا من البلاغة بمكان، فإنه كلما ضاقت مساحة الكلام فإنها تضغط المتكلم وتحاصره عن ذكر مواضيع كثيرة، بخلاف ما إذا كان خطابه مفصلاً. ولكن أن يكون الخطاب قصيرًا ومع ذلك يحتوي على مواضيع كثيرة ومتنوعة، فهذا مما يحتاج إلى شخص » يفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) « كما كانت العقيلة زينب.

ففي الخطاب الأول في الكوفة:

شخصت حالة المخاطبين من أهل الكوفة بأنهم مجموعة من اتباع المظاهر الفارغة من المضمون، وأنهم مثل القبور جميلة الظاهر، وخبيثة الباطن، أو المراعي الخضراء التي تستمد جذورها من العذرات والنجاسات!

قرعتهم بتحميلهم المسؤولية في خذلان الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي مصيبة عظيمة لا يمكن أن يغسل عارها عنهم شيء، وكيف يُغسل عار قتل ابن بنت رسول الله، سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة؟ وأنهم في الحقيقة قد قطعوا كبد النبي، وأبرزوا نساءه وهتكوا حرمة.

أكدت ما سيثبته التاريخ فيما بعد من أن الكون تفاعل مع مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام)، فأمرت السماء دمًا! وهذا وإن كان عجيبيًا إلا أن ما ينتظر القتل والخاذلين هو أعجب وأخزى.

(١) الخوارزمي؛ موفق الدين: مقتل الحسين (ع) ٤٧/٢.

وفي الخطاب الثاني في الشام:

وهو الذي امتلأ بالمواضيع المتعددة، والقضايا المتنوعة:

فهي قد استشهدت واقتبست من القرآن الكريم، في ست آيات من القرآن الكريم، بعضها على سبيل الاستشهاد وبعضها الآخر على سبيل الاقتباس وفرق الثاني عن الأول أن المتكلم يضمن الكلام المقتبس في كلامه بحيث يصبح كأنه جزءا منه! ففي خطابها جاءت هذه العبارة «يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين» وهي هنا قد ضمنت نصف آية قرآنية في كلامها، وتلك الآية في سورة الأعراف ﴿... فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وفي قولها (عليها السلام) بعد أن حملته ما سفك من دماء ذرية رسول الله «وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم» فإنها عطفت على ذلك قول الله (عز وجل) مباشرة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا * بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢)، وكأن الخطاب القرآني موجه له مباشرة، ثم عطفت القول على معاوية بن أبي سفيان والده، لتقول «وسيعلم من سؤل لك وأمكنك من رقاب المسلمين» ماذا؟ ﴿بئس للظالمين بدلا﴾^(٣)، و﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾^(٤) وهكذا في نهاية ذلك الخطاب عند قولها «لئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك

(١) الأعراف: ٤٤.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) مريم: ٧٥.

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١﴾ وبلغ من جودة الاقتباس وسلاسة الانتقال أن القارئ لها والسامع يكاد لا يفرق بين الكلمات بل يعتبرها خطاباً واحداً.

وفي هذا الخطاب افتتحته بتحديد أن يزيد بن معاوية قد خرج من مرحلة فسق الجوارح التي عرفه الناس بها إلى التكذيب بالعقائد، وهي مرحلة أخطر بكثير من سابقتها، فإن من يكون هكذا يخرج من ملة الإسلام، وذلك عندما انتخبت من آيات القرآن الكريم قول الله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْءَىٰ ۖ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٢﴾ وثبتت على ذلك بتخطئة من يزعم أن النصر الظاهري يعني الكرامة الإلهية، كلا وإنما هو إملاء من الله للظالمين ليزدادوا إثماً ولهم عذاب أليم، بعد ذلك.

في هذا الخطاب ثبتت وإن أنكره بعض أنصار الأمويين من المتأخرين حصول السبي لنساء رسول الله وأهل بيته، بعد قتل حماتهم، وأن هذا السبي كان بحيث «تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل وينظر إليهن الشريف والوضيع والصغير والكبير». كما ثبتت حقيقة أن رأس الحسين قد حمل إلى يزيد وأنه نكت ثناياه بعود الخيزران.

وفي هذا نفياً لما زعمه متأخرو الاتجاه الأموي من زعمهم: «يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا حُملَ رأسه إلى بين يديه، ولا نكت بالقضيب على ثناياه، بل الذي جرى هذا منه هو عبيدُ الله بن زياد، كما ثبت ذلك في «صحيح البخاري»، ولا طيفَ برأسه في الدنيا، ولا سُبِي أحد من أهل الحسين». (٣)

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) ابن تيمية؛ أحمد: جامع المسائل ١٤٩/٥.

وقد رأت بعين البصيرة كيف يتحقق الانتصار للمؤمنين مهما تعاظم كيد الظلمة، بل إنها تقول ذلك بمنطق المتحدي وليس الواثق فقط، « فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيانا ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فنداً وياملك إلا عدداً، وجمعك إلا بدداً ».

ولكي يطلع القارئ العزيز بشكل مباشر على ما قلناه آنفاً، ننقل نص خطبتها في الكوفة والشام.

خطبتها في الكوفة:

عن حذلم (حذيم) بن كثير: قال قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين (عليه السلام) من كربلاء... ورأيت زينب بنت علي (عليها السلام) ولم أرَ خِفرةً أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) (قال) وقد أومأت الى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات فقالت: الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الخثر والغدر، أتبكون فلا رقات الدمعة، ولا هداآت الرنة، إنما مثلكم كمثّل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ﴾^(١)، ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف والكذب والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم^(٢) أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون

(١) النحل: ٩٢

(٢) في هذه الجملة والتي بعدها، استفادت من القرآن الكريم مع تعديل الخطاب بحيث يكون للمخاطبين بعدما كان في القرآن للغائبين في الأولى ﴿مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ=

وتتجنبون، إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدره سنتكم، ألا ساء ما تزررون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وبتت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم، وأيّ كريمة له أبرزتم، وأيّ دم له سفكتكم، وأيّ حرمة له انتهكتكم، ولقد جئتم بها صلعاء سوداء فقماء، خرقاء شوهاء، كطلاعالأرض، أو ملاء السماء، أفعجبتكم أن مطرت السماء دمًا، (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهمل، فانه لا يحفزها البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربكم لبالمرصاد^(١).

وأما خطبتها في الشام، فقد نقل غير واحد من المؤرخين أنه:

«أنه لما دخل علي بن الحسين (عليه السلام) وحرمه على يزيد وجيء برأس الحسين (عليه السلام) ووضع بين يديه في طشت وجعل يضرب ثناياه بمخضرة كانت في يده وهو يقول:

ليت أشياخي يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
إلى آخر الأبيات..

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وقالت الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا

= سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ وفي الثانية ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

(١) ابن طيفور: بلاغات النساء ص ٢٨.

السُّوَأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾ أَظُنْتِ يَا زَيْدٌ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَأَفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا نَسَاقُ كَمَا تَسَاقُ الْأَسْرَاءُ أَنْ بَنَا هَوَانًا عَلَى اللَّهِ وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ وَأَنْ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عَظْفِكَ تَضْرِبُ أَصْدْرِيكَفَرَحًا، وَتَنْفُضُ مَذُورِيكَ مَرَحًا، جَذَلَانِ مُسْرُورًا حِينَ رَأَيْتِ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ مُتَسِقَةً وَحِينَ صَفَا لَكَ مَلِكُنَا وَسُلْطَانُنَا، فَمَهْلًا مَهْلًا أَنْسَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ﴾ * إِنَّكُمْ تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا * وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرُكَ وَإِمَاءُكَ وَسَوْفُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا قَدْ هَتَكَتِ سِتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتِ وَجُوهَهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ وَالْمَنَاقِلِ، وَيَتَصَفَّحُ وَجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالِدُنْيَى وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رَجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حِمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، وَكَيْفَ يَرْتَجِي مِرَاقِبَةُ ابْنِ مِنْ لَفْظِ فَوَهْ أَكْبَادِ الْأَزْكَيَاءِ وَنَبْتِ لَحْمِهِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهَدَاءِ، وَكَيْفَ يَسْتَبْطِئُ فِي بَغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ نَظَرِ إِلَيْنَا بِالْشَنْفِ وَالشَّنْتَانِ، وَالْإِحْنِ وَالْأَضْغَانِ، ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظَمٍ.

لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا زَيْدُ لَا تُشَلِّ

مُنْحِنًا عَلَى ثَنِيَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُثُهَا بِمُخَصَّرَتِكَ وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَأَتِ الْقَرْحَةُ وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةُ بِإِرَاقَتِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَنَجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَتَهْتَفُ بِأَشْيَاخِكَ زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنَادِيهِمْ، فَلْتَرْدُنَّ وَشِيكًا مُورِدَهُمْ، وَلْتُودَنَّ أَنَّكَ شَلَلْتَ وَبَكُمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ، وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، اللَّهُمَّ خُذْ لَنَا بِحَقِّنَا، وَانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمْنَا، وَاحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا،

وقتل حماتنا، فو الله يا يزيد ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك،
ولتردن على رسول الله (ﷺ) بما تحملت من دماء ذريته وانتهكت من
حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم ويلم شعثهم
ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وحسبك بالله حاكمًا وبمحمد (ﷺ) خصيمًا
وبجبرائيل ظهيرًا، وسيعلم من سؤل لك وأمكنك من رقاب المسلمين
﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، وأيكم ﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ولئن جرت
عليّ الدواهي مخاطبتك، اني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك،
وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى ألا فالعجب كل
العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي
تنطف من دماننا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر
الزواكي تتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعيل، ولئن اتخذتنا مغنما
لتجدنا وشيكًا مغرمًا حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾، والى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك،
وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تमित وحيننا ولا تدرك أمدنا
ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك
إلا بدد، يوم ينادي المنادي ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فالحمد لله
رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة
والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد
ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود، و﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

فقال يزيد.

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح^(١)

(١) وقد أرودها ابن طيفور في بلاغات النساء ص ٢٧ بعبارات تختلف قليلا، وما أثبتناه هو =

❖ الثانية: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب أو زينب الصغرى:

في البداية لا بد من الجواب على سؤال هل لأمير المؤمنين من الزهراء بنت غير العقيلة زينب الكبرى؟ فمن المعلوم أنه إذا كانت الإجابة بالسلب فلا معنى للبحث عن تفاصيل حياتها.

وحيث لا بد من نسبة جميع التفاصيل الواردة في حياة أم كلثوم، أو زينب الصغرى إلى زينب العقيلة (الكبرى) وهو ما صنعه بعض الباحثين ومنهم العلامة المقرم رحمه الله، فإن هذا يظهر من كتابه «مقتل الحسين».

ونحن الآن لسنا في صدد تحقيق أنه هل كان للإمام علي (عليه السلام) بنت أو بنات باسم أم كلثوم أو زينب، فذلك قد يكون من اختصاص الباحثين في أولاد الإمام (عليه السلام)، وكتب الأنساب. وبالتالي قد لا يهمنا كثيراً أن يكون العدد (٤) بنات ثنتان منهما باسم زينب، وأخريان باسم أم كلثوم. أو أن عددهن ثلاث كما ذهب إلى القولين أشخاص.

وإنما ينحصر اهتمامنا في جهة حضور بنت علي (عليه السلام) (أم كلثوم أو زينب الصغرى) في كربلاء. أو عدمه. وقد يتصل هذا بنحو بأصل المسألة.

وعلى كل حال؛ فقد اختار بعض الباحثين بأنه لم يكن في كربلاء وما بعدها سوى بنت واحدة لأمير المؤمنين والزهراء (عليها السلام) وهي المعروفة بزينب الكبرى، والعقيلة، وهي زوجة عبد الله بن جعفر، وأن المؤرخين

= الصحيح، فإن ابن طيفور بعدما افتتح القول أن يزيد أنشد الأشعار المذكورة، وأنه في الأخير قال: يا صيحة تحمد.. الخ، فإنه قال في الوسط يا بن مرجانة.. ولا شك أن هذا خطأ. ولا يخفى أن تعليق يزيد بن معاوية بذلك البيت من الشعر لا معنى له ولا محل! وإنما ينم عن عجز في مواجهة ذلك التدفق البلاغي والمضمون العميق.

تارة يتحدثون عنها باسمها: زينب وأخرى يتحدثون عنها بكنيتها: أم كلثوم. وإلا فالشخصية الحاضرة هي واحدة.

وأوضح من ذكر ذلك وأكّده هو العلامة السيد عبد الرزاق المكرم رحمه الله، وذكره مراراً في كتابه «مقتل الحسين» فإنه قال فيه في موضع: «وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم كلثوم وهي زينب الكبرى: إن الصدقة علينا حرام ثم رمت به إلى الأرض»^(١) وقال في موضع آخر في هامش الصفحة «أشرنا في عدة مواضع من كتابنا هذا إلى أن زينب العقيلة هي أم كلثوم وهذه الفقرات جزء من كلامها السابق، ونذكر هذا الكلام هنا على عادة أهل المقاتل»^(٢) وفي موضع ثالث «فكان الحبل في عنق زين العابدين إلى زينب أم كلثوم وباقي بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»^(٣).

وشتان بين هذا القول وبين القول بأنهن كن ثلاث زينبات (ويكنين بأم كلثوم) كما يظهر ذلك من المحقق الشيخ الكرباسي في دائرة المعارف،^(٤) أو أنهن كن أربع كما نقل السيد محسن الأمين ذلك عن المسعودي في كتابه مروج الذهب من قوله في أولاد علي (عليه السلام): أم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى أمهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله ص وأم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى ولم يذكر من هي أمهما!^(٥)

وكيف كان؛ فالذي نعتقده أنه كان في كربلاء من بنات الزهراء (عليها السلام) بنتان

(١) المكرم؛ السيد عبد الرزاق: مقتل الحسين (عليه السلام) ص ٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

(٤) الكرباسي؛ محمد صادق: معجم أنصار الحسين (النساء) ١/ ١٩٣.

(٥) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة ٧ / ١٣٦.

هما: زينب العقيلة (الكبرى)، وأم كلثوم وربما تعرف بأنها زينب الصغرى. وقد تقدم الكلام حول العقيلة زينب الكبرى (عليها السلام).

وأما (أم كلثوم) وهي الصغرى، فقد يرد ذكرها في مصادر مدرسة الخلفاء، في موضوع زواج الخليفة الثاني بها (المفترض) وفي أنها توفيت مع ابنها منه حين سقط البيت عليهما كما قالوا! وفي كل ذلك يوجد كلام^(١). والذي أراه وفاقاً للمحقق السيد علي الشهرستاني في كتابه المذكور في الهامش، هو أن أم كلثوم (واشتهرت بكنيتها أكثر من اسمها)^(٢) وهي زينب الصغرى كانت في كربلاء، وأنها سُبِّيت كما سُبِّيت أختها العقيلة زينب الكبرى، وكان لها حضور في أحداث كربلاء وما بعدها من محاورات؛ ومواقف وخطابات.

١/ فإن المؤرخين حين نقلوا حوادث كربلاء وما قبلها وما بعدها، قد ذكروا في تفاصيلها اسمي زينب وأم كلثوم، ولا يناسب وهم في أثناء تعداد تلك الأسماء وتفاصيل الحدث أن يأتوا بذكر زينب وأم كلثوم، ثم يقال مثلاً أن المقصود هو أن زينب هي أم كلثوم!

وقد نقل المحقق الشهرستاني عن الدينوري في الأخبار الطوال «خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة ومعه أختاه: أم كلثوم وزينب» وهو صريح في المطلوب، وفي موضع آخر نقل عنه قوله: «قد أوصى الإمام الحسين عياله بالسجاد (عليه السلام) فقال: يا زينب، ويا أم كلثوم، ويا سكينه، ويا رقية..» ونقل عن «الفتوح» لابن أعثم، أن زينب وأم كلثوم لمّا سمعتا الإمام يقرأ الأبيات (يا دهر أف لك من خليل..)

(١) الشهرستاني؛ السيد علي: زواج أم كلثوم؛ الزواج الغزوي ١٢٠.

(٢) مثلما أن (أبا طالب) والد الإمام علي (عليه السلام) اشتهر بكنيته تلك أكثر من شهرته باسمه (عمران).

قالت زينب لأخيها الحسين: يا أخي، هذا كلام من أيقن بالقتل! فقال: نعم يا أختاه! فصاحت زينب: وا تُكلاه وبكت النسوة. وجعلت أمّ كلثوم تنادي: وا جدّاه، وا أبي عليّاه، وا حسناه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك وكذلك عن إرشاد المفيد. وأيضا عن مقتل الخوارزمي.

وانتهى إلى القول «إذن هناك أمّ كلثوم وهي زينب، وهناك أمّ كلثوم غير عقيلة بني هاشم، ولها مواقف بطوليّة وخطب حماسيّة»^(١)

٢/ كذلك فإن الباحث عندما يتأمل في مواقف الأختين؛ زينب العقيلة الكبرى، وأمّ كلثوم الصغرى، يجد الفرق واضحاً في المواقف وفي مستوى الخطابات والكلمات، بحيث لا يستطيع أن يقتنع أن قائلة هذا الخطاب هي نفسها قائلة الخطاب الآخر لما بينها من تباين مضموني وبلاغي أسلوبى.

ففي الكوفة ألقت زينب وأمّ كلثوم خطابين في الناس، ومع شيء من التأمل فيهما يظهر الفارق بين مضمون الخطابين واسلوبهما، بما يفيد تعدد الملقى والخطيب.

خطاب أمّ كلثوم في الكوفة:

وقد مرّ نقل خطاب العقيلة زينب الكبرى في الكوفة، وأما خطاب أمّ كلثوم فهو كما نقله السيد ابن طاووس في اللهوف، قال: وخطبت أمّ كلثوم بنت علي (عليه السلام) في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء، فقالت: يا أهل الكوفة سوءة لكم ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتُم نساءه ونكبتُموه، فتبّاً لكم

(١) الشهرستاني؛ السيد علي: زوج أمّ كلثوم الزواج اللغز ١١٨.

وسحقًا، ويلكم أتدرون أي دواه دعتكم وأي وزر على ظهوركم حملتم
وأيّ دماء سفكتموها وأيّ كريمة أصبتموها وأيّ صبية سلبتموها وأي
أموال انتهبتموها.

قتلتهم خير رجالات بعد النبي (ﷺ) ونزعت الرحمة من قلوبكم ألا
إن حزب الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون، ثم قالت:

قتلتهم أخي صبرا فويل لأمكم ستجزون نارًا حرها يتوقد
سفكتم دماء حرم الله سفكها وحرمها القرآن ثم محمد^(١)

وبشيء من التأمل في هذا الخطاب ومضامينه وأسلوبه ومقارنته
بخطاب العقيلة زينب الكبرى في نفس المكان ونفس اليوم، يتضح
الفارق الكبير بينهما. ولذلك يُتَعَجَّب من السيد المكرم رحمه الله،
مع فضله الكبير كيف قال إن هذا المقطع هو جزء من كلام العقيلة
زينب السابق!! مع أن الذين نقلوا الحادثة نقلوها على أساس خطابين
منفصلين تخللتهما خطبة لفاطمة بنت الحسين (عليها السلام)، بالإضافة إلى
اختلاف الأسلوب والمعنى!

٣/ الطريف في الأمر أن السيد الشهرستاني في كتابه المذكور آنفًا،
جعل وجود أم كلثوم في كربلاء مفروغًا منه وثابتًا، وبنى عليه ونعم ما
صنع أن ما نقل عن تزويج أم كلثوم هذه التي هي بنت علي وفاطمة
للخليفة الثاني غير صحيح، لأن ذلك الخبر يتضمن أنها أنجبت له ولدًا
قل إن اسمه زيد، وأنها وابنها ماتا بسقوط سقف الدار^(٢) عليهما بُعِدَ

(١) ابن طاووس؛ علي بن موسى: اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٩١.

(٢) قد يذكرنا هذا بما يفعله كتاب السيناريو القصصي عندما ينتهي دور أحد أبطال القصة،
وتنتفي الحاجة إليه، يتم إنهاء حياته بطريقة من الطرق، كادعاء مرض مفاجئ، =

موت الخليفة.. الخ. قال الشهرستاني: «وقد جئت به لكي أؤكد عدم إنكاري وجود بنت للإمام علي (عليه السلام) مسمّاة أو مكناة بأم كلثوم بنت فاطمة، لكن وجودها في واقعة الطفّ يضعف ما قالوه عن زوجة عمر «أم كلثوم» وأنها ماتت مع ابن لها في وقت واحد، والتي صلّى عليها ابن عمر أو سعيد بن العاص، بل الأمر يرتبط بزوجة أخرى لعمر لا هذه.^(١)

ولأن حديثنا ليس في محور زواج الخليفة منها وعدمه، فلا ننساق للأخذ والرد فيها، ومن أراد تفصيله فليرجع إلى الكتاب المذكور فقد أوفى فيه على الغاية، واستقصى الأمر إلى النهاية، وأورد الروايات والاحتمالات وناقشها نقاشاً علمياً جيداً.

٤/ نعم ينبغي نسجل هنا أنّ أعلام مدرسة الخلفاء لديهم اهتمام كبير، وجهد متواصل في إثبات موضوعين من الناحية التاريخية، للاستفادة من ذلك في الأمر العقائدي، والجدل المذهبي!

الأول: تسمية أهل البيت أولادهم بأسماء الخلفاء الثلاثة خصوصاً، ويقولون مثلاً بأن أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) قد سمى بعض أبنائه بأبي بكر، وبعمرو وبعثمان! والحسن سمى بعض أبنائه أبا بكر، والإمام زين العابدين (عليه السلام) كذلك، بل سمّوا كما يقولون بعض بناتهم باسم عائشة.. وهذا يدلّ كما قالوا على العلاقة بين أهل البيت (عليهم السلام) وبين الخلفاء كانت علاقة مودة ومحبة، وينتج عن ذلك أن أهل البيت كانوا يعتبرون خلافة الخلفاء شرعية ولا غبار عليها. وأنه لو حصل بينهم بعض

= أو اصطدامه بسيارة في هذه الأزمنة أو ما شابه! فربما يكون في تلك الرواية بعد أن انتهت الحاجة إلى الأم والابن وحقت أصل القصة من الزواج غرضها، تمت الاستعانة بالسقف ليهوي عليهما في وقت واحد.

(١) الشهرستاني: زواج أم كلثوم ١١٩.

الخلافات فهي كتلك التي تحدث بين الإخوة الأشقاء!

والثاني من المواضيع هو التزاوج، وأن أهل البيت تزوجوا من الخلفاء وبني أمية وزوجوهم، وهذا يدل على قضية عقدية وهي أنهم يرون كفاءة أولئك، ولا اعتراض لهم على ديانتهم فإن المسلم كفو المسلمة! ويوظفون ذلك في تصحيح تلك الخلافة وشرعيتها. ويأتي موضوع تزويج الإمام علي (المفترض) ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب الخليفة ضمن هذا السياق!

وقد أَلَفَ العلامة الشهرستاني لتحقيق الأمر الأول كتابًا سمّاه: التسميات بين التسامح العلوي والتوظيف الأموي، ناقش فيه صغرى الموضوع بمعنى، أنه ناقش الأخبار التي تفيد وقوع تلك التسميات بأسماء الخلفاء، وما هي حدودها وظروفها، ورأى أن قسما غير قليل منها لا يثبت، والثابت منه لا يشكل نسبة مهمة من الأسماء، وعلى كل التقادير لا ينفع في الجهة الكبرى أي تصحيح وجود علاقة ممتازة فضلا عن تصحيح الخلافة وإثبات شرعيتها لمجرد أن إمامًا ضمن ظروف معينة قد سمى أحد أولاده باسم مشابه لاسم أحد الخلفاء!

وفي هذا المعنى الثاني في موضوع التزويج فقد بحث بشكل مستوعب كما مر موضوع أم كلثوم وصحة تزويجها من الخليفة الثاني وحققه تحقيقًا جيدًا، والكتاب مطبوع وكذلك هو موجود على الانترنت.

بعض ما ذكر عن أم كلثوم في قضية الحسين (عليه السلام)

مع علمنا بأن مقداراً من الاشتباه والاختلاط قد حصل في نسبة بعض المواقف للأختين، فما هو موقف لزینب الكبرى ربما نسبة

بعض المؤرخين لأم كلثوم (زينب الصغرى) وبالعكس، إلا أنه لا ريب في وجود مواقف تختص بكل منهما ويصعب نسبتها إلى غيرها.

ومما ذكره المؤرخون من مواقف لأم كلثوم (الصغرى) يمكن لنا أن نرصد التالي:

أ/ ما قالته أم كلثوم ليلة العاشر بعدما أنشد الإمام الحسين أبيات الشعر:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل

«فسمعت زينب بنت فاطمة (عليها السلام) ذلك فقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل، فقال (عليه السلام): نعم يا أختاه! فقالت زينب: وا ثكلاه ينعى الحسين (عليه السلام) إليّ نفسه! قال: وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب وجعلت أم كلثوم تنادي: وا محمداه، وا عليها، وا أماء، وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله.

قيل فعزاها الحسين وقال لها: يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السماوات ينفون وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون ثم قال: يا أختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيئاً ولا تخمشن عليّ وجهاً ولا تقلن هجرًا»^(١).

ب/ وفي يوم العاشر بعدما تفانى أصحاب الحسين وأهل بيته عليه و(عليه السلام)، وصار ينادي: أما من ناصر ينصرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟

«فخرج علي بن الحسين وهو زين العابدين وهو أصغر من أخيه عليّ القتيل، وكان مريضاً، وهو الذي نسل آل محمد (عليه السلام) فكان لا يقدر

(١) ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٥٠.

على حمل سيفه، وأمّ كلثوم تنادي خلفه: يا بني ارجع! فقال: يا عمتاه! ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، فقال الحسين: يا أمّ كلثوم! خذيه ورديه، لا تبق الأرض خالية من نسل آل محمد». (١)

ب/ وقد ينسب إليها الشعر المعروف حين دخول ركب السبايا إلى المدينة المنورة، فإنهم يقولون إنها:

«قالت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب سلام الله عليه عندما رجعت إلى المدينة المنورة:

مدينة جدّنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا رجعنا لا رجال ولا بنيना

✽ الثالثة: رقية بنت علي بن أبي طالب

وزوجها الشهيد (مسلم بن عقيل) وهي زوجته الثانية بعد أختها رقية الكبرى كما عليه بعض المؤرخين، (٢) حيث إنّ مسلم بن عقيل تزوّج بتين للإمام عليّ (عليه السلام): رقية الكبرى وتوفيت سنة (٤٥هـ)، ثمّ تزوّج رقية الصغرى وهي التي أنجب منها حميدة.

وقد استشهد ابنها عبد الله بن مسلم بن عقيل في كربلاء بين يدي خاله الإمام الحسين (عليه السلام) كما نقله المؤرخون (٣) وقد أخطأ ابن سعد في

(١) الخوارزمي؛ موفق الدين: مقتل الحسين (عليه السلام) ٣٦ / ٢.

(٢) مكتب طباعة الكتب المساعدة التعليمية: موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) ٩٢ / ١٤ «مسلم بن عقيل بن أبي طالب، كانت عنده رقية بنت عليّ. وصاهره (مسلم) بن عقيل مرة أخرى، تزوّج رقية الصغرى...».

(٣) البستي؛ محمد بن حبان: الثقات ٣١١ / ٢. «وكانت أم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب رقية بنت عليّ بن أبي طالب» وتاريخ خليفة بن خياط (ص ٢٣٤): =

كتابه الطبقات عندما عنونه بعنوان (عبد الله بن عقيل وأمه رقية بنت علي بن أبي طالب) فإن هذا يقتضي أن يكون زوجها هو عمها عقيل، إلا أن يقال أنه حذف اسم الأب مسلم تصحيحاً.

و«قتله عمرو بن صبيح، فيما ذكرناه عن علي بن محمد المدائني، وعن حميد بن مسلم، وذكر أن السهم أصابه وهو واضع يده على جبينه فأثبته في راحته وجبهته»^(١) وورد التسليم عليه في زيارة الناحية.^(٢) وقد ذكرنا في كتابنا «عصبة الإثم» شيئاً عن قاتله الأثيم ومصيره.

وذكر بعض المؤلفين في الأنساب أن الشهداء من أبناء مسلم بن عقيل في كربلاء كانوا ثلاثة، وأنهم أبناء رقية بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد ذكر ذلك البيهقي في كتابه لباب الأنساب وقال: «قيل كانت رقية بنت علي (عليه السلام) عند مسلم بن عقيل، ولها منه عبد الله وعلي ومحمد قتلوا بكر بلاء».^(٣)

ويفترض أن ما جاء في كتب المقاتل من النداء بيا رقية، هو لها. كما قد ورد ذلك في أثناء توديع الإمام الحسين للنساء، وهكذا عندما أوصاهن بالإمام السجاد والمحافظة عليه كما نقله الدينوري في الأخبار الطوال، ومرّ في صفحات سابقة، قوله: «قد أوصى الإمام الحسين عياله بالسجاد (عليه السلام) فقال: يا زينب، يا أمّ كلثوم، يا سكينه، يا رقية..».

= «وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ عَقِيلٍ أُمُّهُ رُقِيَّةُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

(١) الاصفهاني؛ أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٩٨.

(٢) المشهدي؛ محمد بن جعفر: المزار، ص ٤٩١. «السلام على القتيل بن القتيل، عبد الله بن مسلم بن عقيل، ولعن الله راميته عمرو بن صبيح الصيداوي».

(٣) البيهقي؛ علي بن زيد: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ١ / ٣٣٥.

ولا ريب أن رقية هذه قد كانت في كربلاء مع أولادها وأن ابنها عبد الله (بالاتفاق) قد قضى شهيداً، ويحتمل أن يكون الآخران أو أحدهما كذلك، كما عن بعض المؤرخين. وأنها كانت في ركب السبايا إلى الشام.

وأما رجوعها فإنه وإن كان مقتضى القاعدة كذلك، إلا أن بعض الباحثين احتمل خلاف ذلك، فقد ذكر العلامة اليوسفي الغروي أنه يحتمل أن تكون توفيت في الشام، وأن القبر الموجود في دمشق هو لها، وهذا نص كلامه «والمرقد المنسوب إلى رقية بدمشق لعله لرقية أخت الحسين (عليه السلام) زوجة ابن عمّها مسلم بن عقيل، فإنّها كانت معهم، ولا ذكر لها بعد كربلاء، فلعلّها مرضت هناك من وعشاء السفر والقهر، بعد قتل ابنها الصغيرين، فماتت ودفنت هناك. كما كان على صخرة القبر حين اكتشف قبل قرن تقريباً: «هذا قبر رقية بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»^(١).

✽ الرابعة: خديجة بنت علي بن أبي طالب:

وزوجها الشهيد (عبد الرحمن بن عقيل)^(٢) أخ مسلم بن عقيل وهو من شهداء كربلاء، وقد ورد في زيارة الناحية السلام عليه ووصفه بأحسن الصفات، ففي نهاية تلك الزيارة وبعد أن بُدئ بذكر بعض الشهداء عُطف بالسلام عليه بهذا النص: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، صِنُو الْوَصِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١) اليوسفي الغروي؛ الشيخ محمد هادي: موسوعة التاريخ الإسلامي ٢٠٩/٦.

(٢) ليس كلّ تشابه بين اسمين يعني أنّهما ولداه بهذا الاسم كان ناظرًا لمن تسمّى به ومجباً له، فلا يعني ذلك أن كلّ تشابه اسمي ينتهي إلى تأييد كلّ من يحمل هذا الاسم، فهل يعقل أن عقيل بن أبي طالب سمّي ابنه عبد الرحمن لأنّه يحبّ عبد الرحمن بن ملجم مثلاً؟!.

وَالْهَ وَعَلَيْكَ وَعَلَى أَيْكَ مَا دَجَى لَيْلٌ وَأَضَاءَ نَهَارٌ، وَمَا طَلَعَ هَلَالٌ
وَمَا أَخْفَاهُ سِرَارٌ، وَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ وَالْإِسْلَامَ أَحْسَنَ مَا جَازَى
الْأَبْرَارَ الْأَخْيَارَ، الَّذِينَ نَابَذُوا الْفُجَّارَ، وَجَاهَدُوا الْكُفَّارَ. فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْكَ يَا خَيْرَ ابْنِ عَمٍّ لَخَيْرِ ابْنِ عَمٍّ، زَادَكَ اللَّهُ فِي مَا آتَاكَ، حَتَّى تَبْلُغَ
رِضَاكَ كَمَا بَلَغْتَ غَايَةَ رِضَاهُ، وَجَاوَزَ بِكَ أَفْضَلَ مَا كُنْتَ تَتَمَنَّاهُ. ^(١)

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه قد اجتمع عليه اثنان من أعداء الله فقتلاه
«وحمل عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن سوط الهمداني على
عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتلاه». ^(٢)

وقد احتمل الشيخ الكرباسي أن تكون ولادتها في حدود سنة ٣٩ هـ.
وأنها تزوجت من عبد الرحمن في حدود ٥٣ هـ. ^(٣)

ولم نجد ذكراً لها في ما بعد مصرع الحسين (عليه السلام)، ومسيرة السبي،
والوضع الطبيعي يقتضي أنها كانت في ضمن ذلك الركب الأسير إلى الكوفة
ثم الشام، وإلى حين العودة إلى المدينة. نعم قد ذكروا أنها قد تزوجها
فيما بعد شخص يقال له أبو السنابل عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر. ^(٤)

✽ الخامسة: فاطمة بنت علي بن أبي طالب:

وهي زوجة الشهيد محمد بن أبي سعيد بن عقيل، الذي قتله لقيط
بن ياسر الجهني في يوم العاشر، وقد ذكره الطبري في جملة من

(١) السيد ابن طاووس: مصباح الزائر ص ٢٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣ / ١٨٠.

(٣) الكرباسي: دائرة المعارف الحسينية / معجم أنصار الحسين (النساء) ٢٤٤/١.

(٤) البيهقي؛ ظهير الدين: لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص ١٩ بترقيم الشاملة آليا.

استشهد^(١) كما ذكر قاتله « لقيط » كما ذكره ابن حبيب في المحبر، وزاد عليه بأنه (وسائر الشهداء) قد حملت رؤوسهم إلى يزيد بن معاوية فنصبت بالشام.^(٢)

وقد روت عن أسماء بنت عميس « إِنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ لَعَلِّي أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى »^(٣) وقد ذكر بعضهم أنها لم تسمع من أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام).

لكن مع فرض أن ولادتها كانت في سنة ٣٠ هـ^(٤) فإنها يمكن أن تسمع من أبيها الذي استشهد سنة ٤٠ هـ، كما سمعت من أسماء بنت عميس زوجة والدها وهي التي توفيت سنة ٣٨ هـ.

ويكون عمرها في وقت شهادة أبيها نحو ١١ سنة، وفي وقت معركة كربلاء نحو ٣١ سنة.

كما أنها سمعت من أسماء بنت عميس حديث رد الشمس لأمر المؤمنين (عليهم السلام) فعن عروة بن عبد الله بن قشير أنه دخل عليها، ثم قال.. حدثني أن أسماء بنت عميس حدثتها أن علي بن أبي طالب دفع إلى نبي الله (ﷺ) وقد أوحى إليه فجلله بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت

(١) الطبري: تاريخ الطبري ٥/ ٤٦٩.

(٢) البغدادي؛ محمد بن حبيب: المحبر ص ٤٩١.

(٣) العجلي؛ أحمد بن عبد الله: الثقات ٢/ ٤٥٧.

(٤) ابن حبان: الثقات ٥/ ٣٠١: قال ابن حبان إنها «مَاتَتْ وَقَدْ قَارِبَتِ التَّسْعِينَ سَنَةً» فإذا علمنا أن سنة موتها كانت ١١٧ هـ كما ذكره المؤرخون، وفرضنا أن معنى قاربت التسعين يكون بحدود ٨٨ سنة، فتكون ولادتها بحدود سنة ٢٩ هـ. وتكون عندما نقلت عن أسماء بنت عميس التي توفيت سنة ٣٨ هـ، بعمر التاسعة. وحين استشهد أبوها بعمر الحادية عشر.

الشمس يقول غابت! قالت: فلما سُري عن النبي (ﷺ) رفع رأسه فقال: «صليت يا عليُّ العصر؟» قال: لا! فقال رسول الله (ﷺ): «اللهم ردها على عليٍّ قالت أسماء: فوالله لنظرت إليها بيضاء على هذا الجبل حتى صلى فرأيتهما طلعت حتى صارت في وسط المسجد»^(١).

وعلى كل حال فإن فاطمة بنت أمير المؤمنين هي زوجة الشهيد محمد بن أبي سعيد بن عقيل، وجاءت معه إلى كربلاء وسبيت فيمن سبي من النساء، ولها ذكر في مجلس يزيد أيضا فقد نقل الطبري عن أبي مخنف عن الحارث بن كعب عنها: «قالت: إن رجلا من أهل الشام أحمر قام إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه- يعنيني، وكنت جارية وضيئة- فأرعدتُ وفُرقت، وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بشاب أختي زينب، قالت: وكانت أختي زينب أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: كذبتَ والله ولؤمت! ما ذلك لك وله، فغضب يزيد، فقال: كذبتَ والله، إنَّ ذلك لي، ولو شئتُ أن أفعله لفعلتُ، قالت: كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا»،^(٢).

(١) ابن عساكر؛ علي بن الحسن: تاريخ دمشق ٣٦ / ٧٠: أقول: معجزة رد الشمس لأmir المؤمنين (عليه السلام) بدعاء رسول الله (ﷺ) قد أُلِفَ فيها الكثير من الكتب من قبل علماء الفريقين؛ وقد ذكر العلامة الأميني تسعة من علماء مدرسة الخلفاء ممن صنف رسائل خاصة بأسانيد هذه المنقبة، فليرجع من أراد التفصيل إلى الغدير ج ٣ ص ١٢٧، وقد حقق الشيخ المحمودي بعض تلك الرسائل ونشرها بعنوان «رسائل في حديث رد الشمس».

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ٥ / ٤٦١: والبعض يحتمل أن تكون المخاطبة هنا والمطلوبة للخدمة، هي فاطمة بنت الحسين لا بنت علي أمير المؤمنين، بقرينة القول: وكنت جارية وضيئة، حيث يطلق على الفتاة الصغيرة أكثر مما يطلق على امرأة في الثلاثين من العمر.

وكذلك نقل ابن الأثير موقفاً لها في وقت الرجوع من الشام إلى طريق المدينة، فإنه بعدما انتكث الأمر على يزيد وأصبح مبغوضاً من الناس على أثر جريمته بقتل الحسين وحاول التنصل من ذلك قدر إمكانه، فأمر بتسيير ركب السبايا إلى المدينة وعودتهم إليها، وأمر النعمان بن بشير الأنصاري أن يجهزهم بما يصلحهم في طريق العودة، وأن يسير معهم رجلاً أميناً وأوصى بهم هذا الرسول، فخرج بهم فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه، فكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حاجتهم ويلطف بهم حتى دخلوا المدينة.

فقالت فاطمة بنت علي لأختها زينب: لقد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن نصله بشيء؟ فقالت: والله ما معنا ما نصله به إلا حليتنا، فأخرجتا سوارين ودملجين لهما فبعثتا بها إليه واعتذرتا، فرد الجميع وقال: لو كان الذي صنعت للدنيا لكان في هذا ما يرضيني، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله (ﷺ).^(١)

وقد توفيت كما تقدم في سنة ١١٧ هـ.

ينبغي أن يُلاحظ القارئ العزيز، أن قسماً من الأحداث السابقة المذكورة ربما نسبت في مصادر أخر إلى فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) كلاً أو بعضاً.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣ / ١٩١.

✽ السادسة: ميمونة بنت علي بن أبي طالب:

وزوجها (عبد الله بن عقیل) أخ مسلم بن عقیل ويسمى بعبد الله الأكبر؛ وقد استشهد زوجها في كربلاء، وصارت مع السبايا طوال هذا المشوار إلى أن رجعت إلى المدينة المنورة.
ولم نعثر على معلومات آخر أكثر من هذا.

هذه بعض بنات أمير المؤمنين (عليه السلام) اللاتي نقل خبر حضورهن في كربلاء.

زوجات الإمام علي (عليه السلام) في كربلاء



من المناسب أن نذكر أموراً ربما يتضح بها بعض الأسئلة المرتبطة بزيجات المعصومين (عليهم السلام) .

✽ الأول: تعدّد زوجاتهم:

فالملاحظ أن أكثر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) قد تعدّدت زوجاتهم، فأمير المؤمنين (عليه السلام) قيل إنّه تزوّج ثمان حرائر وضيعف ذلك من غير الحرائر، والإمام الحسن (عليه السلام) تزوّج حوالي تسع إلى عشر حرائر، والإمام الحسين (عليه السلام) قيل إنّه تزوّج ستّاً إلى ثمان حرائر، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأئمة (عليهم السلام). بالطبع هذا من حيث العدد في طول حياتهم، لا أنهم يجمعون بين هذه الأعداد في وقت واحد! فإن ذلك غير جائز عند المسلمين غير رسول الله وأما باقي المسلمين فلا يحل لهم أن يجمعوا أكثر من أربع نساء حرائر في وقت واحد بالنكاح الدائم.

وقد يكون هذا أمراً مستغرباً في البيئة الاجتماعية المعاصرة في كثير من بلاد المسلمين فضلاً عن غيرهم، والتي ترى في التعدد الأول يعني زوجتين، تراه شيئاً نادراً وربما غريباً. وأما في البيئة المتأثرة بالثقافة

الغربية فإنها تعتبر ذلك « خيانة » للزوجة الأولى!

ونشير هنا إلى عدة جهات في الجواب على ما سبق:

منها: أن ذلك من الناحية الشرعية جائز وسائغ بما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ * فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، والمراد من العدل هنا هو العدل في النفقة لا العدل في الميل القلبي فإنه ليس بقدرة الرجل، ولا أن أسبابه من جهته. وليس جواز التعدد خاصاً بالمعصومين باعتبار أنهم لعصمتهم يحققون العدل في درجته العالية. وإنما هو حكم عام للمسلمين يشرع قضية الزواج المتعدد ويحدد شروطه.

ومنها: أن البيئة الاجتماعية التي عاشها المعصومون كان التعدد فيها هو الطبيعي إن لم يكن هو الأصل. فقد قال باحثون في تاريخ الحضارات إن الأصل في تاريخ البشر هو تعدد الزوجات، وسواء كان ذلك بتوجيه الأنبياء والديانات أو كان باعتبار أن ظروف الحياة وطبيعة كل من الرجل والمرأة تقتضي حماية الرجل للمرأة والإنفاق عليها وما شابه. فهو كظاهرة اجتماعية بشرية قديم قدم البشر.

وحيث أنه كان في الغالب بلا ضوابط وبلا قوانين والتزام بحقوق، فقد جاء الإسلام فحدّد الكمّ وشرع القوانين الضابطة لهذه القضية، وجعل حقوقاً لكل من الزوجة أو الزوجات، وبنى بناءه على أساس (عقد النكاح) ورتب عليه آثاراً مهمة في النفقة والاستمتاع والميراث ونسبة الأولاد والمحرمية وغير ذلك.

فالإسلام في هذا لم يتكر شيئاً جديداً أو يفعله ظاهرة حديثة وإنما

التعدد نظام تَفَاعَلَ معه البشر تاريخياً،^(١) لكنّه كان فيما سبق بلا ضوابط واضحة فجاء الإسلام وبيّن ضوابطه وحدوده.

نعم ربما حصل سوء في التطبيق من قبل الرجل أو المرأة، وأساء أحدهما العمل بعيداً عن الضوابط والقوانين الشرعية فهذا لا يرتبط بالموضوع الديني والتشريعي، فالمعصومون (عليهم السلام) كانوا يعيشون ضمن هذه البيئات ويطبقون قانون الإسلام في هذه القضية.

✽ الثاني: زواجهم نساء تنتمي لأسر غير موالية:

نجد أنّ بعض زوجات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ينتهي نسبها في أحد الفرعين إلى أسرة غير موالية بل ربما معادية، ومن ذلك زواج الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) بجعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، فإن أباه لم يكن على وفاق مع أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهكذا الحال في أسرة بني أميّة، فإن زوجة الإمام الحسين (عليه السلام) ليلى بنت أبي مرة بن مسعود الثقفية، ووالدة الشهيد علي الأكبر، كانت أمّها من آل أبي سفيان كما سيأتي في الحديث عنها.

ومثلها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة زوجة الإمام الحسن وبعده تزوجها الإمام الحسين (عليه السلام) فهي امرأة جليلة القدر عظيمة الشأن وقد كان أبوها طلحة بن عبيد الله صاحب الزبير بن العوام في حرب الجمل، وهما اللذان قاما في وجه أمير المؤمنين (عليه السلام).

(١) يتحدث بعض المفكرين الغربيين عن هذه الحقيقة بالقول: نحن الغربيون لم نستطع أن نفهم هذا النظام الموجود عند المسلمين بالرغم أنّه موجود عندنا ما هو أسوأ منه وهو التعدد السري.

وكذلك ما نقل من أن زين العابدين (عليه السلام) قد تزوج امرأة ثقفية، فلما رآها تبرأ من جده علي (عليه السلام) فارقها. وفيما بعد زواج الإمام الرضا وابنه الجواد (عليه السلام) من بنتي المأمون العباسي.. وغير هؤلاء من زوجات الأئمة (عليهم السلام)، وهذا يستوقف نظر الباحث والمتأمل.^(١)

ونقول في الجواب الإجمالي مع ملاحظة أن لكل حالة ظروفها الخاصة:

إنه من الناحية الشرعية لا يحرم تزواج المختلفين مذهبياً فمن هو على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) يستطيع الزواج من امرأة من خارج المذهب، والعكس في ذلك أيضاً صحيح فالمرأة الشيعية تستطيع الزواج من رجل على غير مذهبها لكن يشترط أن لا يؤدي ذلك إلى فقدانها لعقائدها وأن لا يُفسد عليها أبناءها فيما يرتبط بولاية أهل البيت (عليهم السلام). ولكن هذا أمر يختلف عن أصل جواز النكاح بينهما وصحته.

ومن الناحية الاجتماعية - كما حدث ذلك في بعض الحالات - كان ذلك الزواج طريقاً لإيجاد نوع من الانسجام الاجتماعي باعتبار أن التزاوج والتداخل والتصاهر يخفف حدة العداوة بين المتصاهرين. وقد رأينا المنحرفين من الحكام يستفيدون من هذه العلاقات الاجتماعية في تدعيم سلطانهم الديني، ويتصاهرون يميناً وشمالاً، ما استطاعوا لذلك سبيلاً، من أجل استمالة القبائل والعشائر إليهم، وضمان نصرتهم لهم. مضافاً إلى أنه ليس كل امرأة من قبيلة غير موالية تتخذ موقف

(١) قد بحثنا في سلسلة النبي والعترة، بمناسبة الحديث عن حياة المعصوم الأسرية هذا الموضوع، ففي كتاب سيد الجنة: الإمام الحسن بحثنا موضوع زواجه من جعدة، وهكذا في كتاب الإمام الحسين وسائر الكتب.

قبيلتها! فكم من النساء والرجال كانوا من عشائر مخالفة ولكنهم كانوا على درجة كبيرة من الولاء لأهل البيت (عليهم السلام).

ولا سيما في تلك الأزمنة حيث لم يحصل الانقسام والانفصال الاجتماعي على أسس مذهبية، كما ربما يوجد في هذه الأيام، فقد تجد أسرة عنوانها الموالاة ومع ذلك يكون في أفرادها شدة المعاداة لأهل البيت، وقد مر في كتابنا اصفياء الله، بل وفي كتاب عصبة الاثم كيف أن أسرة منقذ العبد كانت موالية ومع ذلك خرج فيها مرة ورضي اللذان شاركا في القتال ضد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه.

ورأينا أن الزبير بن قرظة بن كعب حاول قتل الحسين (عليه السلام) بالهجوم عليه بينما كان أخوه عمرو (أو علي) شهيداً بين يديه.

وقد يكون شخص من أسرة تصدت لحرب أهل البيت بينما يكون هو من خلّص أصحاب الأئمة، كما كان سعد (الخير) من أحفاد مروان بن الحكم وهو في جلاله شأنه من جملة أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) حتى نقل أنه دخل على الإمام ذات يوم وهو ينشج كما تنشج النساء،^(١) فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ما يبكيك يا سعد؟، قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن، فقال له: لست منهم أنت أمويٌّ منّا أهل البيت أما سمعت قول الله (عز وجل) يحكي عن إبراهيم^(٢): (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي).^(٣)

(١) نَشَجَ الباكي: غَصَّ بالبكاء من غير انتخاب.

(٢) إشارة إلى الآية (٣٩) في سورة إبراهيم.

(٣) يُنظر: الاختصاص للشيخ المفيد، ص ٨٥، بالرغم من أن هناك كلاماً في انتساب كتاب الاختصاص للشيخ المفيد، وقد وجدنا في كتاب الكافي للشيخ الكليني ج ٨ / ٥٢ رسالة من الإمام الباقر (عليه السلام) إليه. يوصيه فيها بوصايا ويخبره عن الاتجاهات في التعامل مع القرآن الكريم.

وبالتالي فإنه لا ينبغي أن يؤخذ شخص بجريرة عائلته، فيمتنع من تزويجه أو الزواج به، لأن عائلته أو بعضها على غير الهدى، فإن هذا لو تم كقانون، أو حتى كعرف وخصوصاً من المعصومين الذين عملهم وسيرته هي إحدى الحجج لكان الأمر خطيراً في المجتمع المسلم، ولك أن تتصور أن عوائل كاملة تقاطع في المصاهرة لأجل أن رئيسها أو بعض رؤسائها أو الاتجاه الغالب فيها هو من مذهب مخالف!

نعم قد يتخذ الشخص نفسه قراراً بعدم التصاهر إلا مع المتفق معه مذهبياً بل حتى مرجعياً وهذا لا غبار عليه، لكن أن يتحول هذا إلى سيرة متبعة وسنة جارية، ففيه من الأضرار على المجتمع المسلم ما لا يخفى.

وأخيراً: فإننا نسجل هذه النقطة وهي أننا مع اعتقادنا (بحكمة) المعصوم فضلاً عن (عصمته) سوف ننتهي إلى أن هذا الشخص قد درس الأمر من مختلف جوانبه ورأى جهات مرجحة للإقدام على هذه الزيجة، بهذه المرأة من هذه العائلة فأقدم عليها. وقد نعرف تلك الجهات المرجحة أو لا نعرفها لكن هذا لا يؤثر في الموضوع.

فإننا قد لا نفهم من حولنا وفي بيئتنا، لماذا أقدم على الزواج من هذه الأسرة؟ أو لماذا هذه المرأة من هذه الأسرة بالتحديد؟ لكنه يرى الأمر بعين غير أعيننا ويقدره بتقدير يختلف عن تقديرنا.

فإذا عرفناه بالحكمة والاتزان بنينا على أنه لم يكن ليقدم على هذه الخطوة لو لا منفعته فيها! فكيف إذا عرفناه بالعصمة وعدم الخطأ؟

❖ هل حضرت زوجات الإمام علي كربلاء؟

لم يظهر لنا بشكل واضح حضور أي من زوجات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) واقعة كربلاء، ولعل ذلك يرجع من جهة إلى أن أكثرهن قد توفين قبل الحادثة، فإن المؤرخين ذكروا بأنه استشهد (عليه السلام) عن ثلاث زوجات عشن بعده، وهن: أُمّامة بنت أبي العاص، وأُمّ البنين الكلابية، وليلى بنت مسعود النهشلية.

وتزوجت أُمّامة بعد الإمام (عليه السلام) بالمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وهو من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأوليائه وكان له دور في حروب الإمام الثلاثة كما كان له دور في القبض على ابن ملجم المرادي، بعد ضربته للإمام (عليه السلام). وحيث أنها تزوجت بالمغيرة فمن الطبيعي أن ترتبط به، وقد نقل عن أن «المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، كان مع الحسين (عليه السلام)، أصابه مرض رضي الله عنه في الطريق، فعزم عليه الحسين (عليه السلام) أن يرجع، فرجع، ولمّا بلغه نبأ الفاجعة قال يرثيه ومن قتل ممّن كانوا معه»^(١) وإذا صح هذا الخبر فعلى كل تقدير لم تشهد كربلاء، لأنها إن لم ترافقه في هذا السفر فواضح، وإن كانت قد رافقته فليس من الطبيعي أن يرجع من الطريق بينما تركه وتسير مع قافلة الإمام الحسين (عليه السلام).

ولا معنى للترديد في زواجها من المغيرة كما ذهب إليه بعض اعتماداً على ما نسب إليها من أن زوجات الأوصياء لا يتزوجن بعدهم! فإن القرائن أكثر من أن تحصى على حصول ذلك الزواج.

ومع أن بعضهم قد ذكر أسماء بنت عميس الخثعمية، فيمن بقي بعد

(١) الأبطحي؛ السيد محمد علي: تهذيب المقال ٢/٢٢، ومعجم الشعراء لمحمد بن عمران مرزباني ١/٣٢٢.

أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن الصحيح أنها توفيت سنة ٣٨ هـ،^(١) وقد استشهد أحد أبنائها (محمد بن علي) في كربلاء إلى جانب الحسين (عليه السلام).

ومن اللاتي ذكر أنهن بقين بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلى بنت مسعود النّهشليّة؛ وقد ذكر المؤرخون أنه خلف عليها وتزوجها بعد الامام (عليه السلام) عبد الله بن جعفر الطيار، فجمع بينها وبين زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام). وقد استشهد ابنها (أبو بكر بن علي) مع أخيه في كربلاء.^(٢) لكنها توفيت بعد نحو سبع سنوات من شهادة الإمام (عليه السلام)، أي في سنة ٤٧ هـ.^(٣)

ومن اللاتي بقين بعد الإمام (عليه السلام)، بل إلى ما بعد واقعة كربلاء كانت أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وبالرغم من أنها لم تأت إلى كربلاء بالاتفاق، إلا أنها لما كان لها من الدور الكبير في تربية أبنائها على محبة أخيهم الحسين (عليه السلام) وتضحيتهم بأنفسهم في سبيله ونهضته، بل ومواساتها لركب السبايا العائد فيما بعد في شهر ربيع الأول سنة ٦١ هـ، بالإضافة إلى موقعها وحضورها في الذهنية الشعبية الشيعية، حيث ترافق ذكرها مع انقضاء الحوائج بالتوسل بها والاستشفاع إلى الله بفضلها، لذلك كله آثرنا أن نفرّد لها موضوعاً خاصاً بها، متوسلين إلى الله تعالى بها وبأولادها الشهداء ولا سيما قمر العشيرة أبي الفضل العباس (عليه السلام) في قضاء حوائجنا وتيسير أمورنا.

(١) بن تغري بردي؛ يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ١١٧: وفيها (سنة ٣٨) توفيت أسماء بنت عميس. وكذلك الوافي بالوفيات ٩/ ٣٤: وتوفيت سنة ثمان وثلاثين للهجرة وقيل بعد الستين.

(٢) الاصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٩١. وكذلك المعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٠٣.

(٣) الكرباسي: معجم أنصار الحسين « النساء »

❖ أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية:

يكاد يكون الاتفاق على أنها لم تأتِ إلى كربلاء، هل لأنها بقيت مع لبابة بنت عبيد الله بن العباس زوجة العباس بن عليّ بطل العلقميّ والتي يقول البعض إنها لم تأتِ إلى كربلاء لأنه كان عندها أطفال صغار منهم الفضل وهو أكبر أولاد العباس وبه يُكنّى، وقد توفي الفضل بن العباس وهو صغير، فصار عقب العباس ونسله من ولده الآخر عبيد الله، فهل كان عدم حضور هاتين المرأتين في كربلاء لأجل أطفال أبي الفضل العباس أو لسبب آخر؟ لا نعلم، ولكنّ القدر المتيقن أنّ أم البنين لم تأتِ إلى كربلاء. وسنشير إلى ما يرتبط بها في أمور متسلسلة.

أولاً: متى ولدت أم البنين (عليها السلام)؟

الجواب: هناك رأيان حول تاريخ ولادة السيّدة الجليلة أم البنين بنت حزام الكلابية:

الأول: ولدت قبل الهجرة بخميس سنوات:

وهذا الرأي هو الذي يتبنّاه المُحقّق الشّيخ الكرباسي في كتابه «معجم أنصار الحسين»،^(١) فهو يذهب إلى أنها تزوجت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد شهادة سيدتنا الزّهراء (عليها السلام) في السنة الثانية عشرة للهجرة، وعلى حسب ذلك فإنّه يُفترض أن يكون عمرها عند زواجها بأمير المؤمنين (عليه السلام) في حدود السّابعة عشر عاماً.

(١) الكرباسي: معجم أنصار الحسين «الهاشميون» ١/ ١٠٩.

الثاني: وَلِدَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ:

هذا الرَّأْيُ هو الَّذِي يَتَّبَنَاهُ المَرْحُومُ السَّيِّدُ السُّوَيْجُ فِي كِتَابِهِ «أُمُّ الْبَنِينَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَرَبِ»^(١)، وَعَلَى هَذَا الرَّأْيِ تَكُونُ مُقَارِبَةً لِعُمُرِ الْعَقِيلَةِ زَيْنَبَ (عليها السلام) الَّتِي كَانَتْ وَلادَتْهَا فِي نَفْسِ هَذَا الْعَامِ، وَعَلَيْهِ هُوَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهَا تَزَوَّجَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فِي عَامِ ٢٥ أَوْ ٢٦ لِلْهَجْرَةِ.

وَعَلَى حَسَبِ الرَّأْيَيْنِ عَاشَتْ أُمُّ الْبَنِينَ (عليها السلام) مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى شَهَادَتِهِ ثُمَّ بَعْدَ شَهَادَتِهِ بَقِيَتْ إِلَى شَهَادَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ شَهَادَتِهِ بِسِتِينَ أَوْ سِتِينَ وَنِصْفَ.

وَقَفَّةٌ مَعَ الرَّأْيَيْنِ..

الرَّأْيُ الْأَوَّلُ: لَوْ أَخَذْنَا بِهَذَا الرَّأْيِ وَالَّذِي يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهَا وَلِدَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، وَيُرَى أَنَّ زَوَاجَهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ لِلْهَجْرَةِ، وَأَنَّ وَلَادَةَ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ (عليه السلام) وَهُوَ كَبِيرُ أَبْنَائِهَا فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْعَشْرِينَ لِلْهَجْرَةِ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ، نَجِدُ أَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ أُمَّ الْبَنِينَ لَمْ تُنْجِبْ أَبْنَاءً مِنَ الْعَامِ الثَّانِي عَشَرَ وَحَتَّى الْعَامِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ، أَيَّ أَنَّهَا بَقِيَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا بَلَا إِنْجَابٍ، وَلَيْسَ هَذَا مُسْتَحِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ غَيْرُ مُعْتَادٍ؛ خُصُوصًا فِي تِلْكَ الْأَزْمَنَةِ، وَبشَكلٍ خَاصٍّ فِي مَوْضُوعِ أُمِّ الْبَنِينَ لِأَنَّ الزَّوَاجَ كَانَ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ الْأَوْلَادِ الْمُدَافِعِينَ عَنِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فِي كَرْبَلَاءَ بِحَسَبِ مَا نَسَبَ مِنْ قَوْلِ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام): «تَلِدُ لِي غُلَامًا يَكُونُ نَاصِرًا لَوْلَدِي الْحُسَيْنِ فِي كَرْبَلَاءَ».

(١) السُّوَيْجُ؛ مَهْدِي: أُمُّ الْبَنِينَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، ص ١٠.

الرأي الثاني: أمّا لو أخذنا بهذا الرأي الذي يرى أنّها وُلِدَتْ بَعْدَ الهجرة بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ، وبالتالي تَزَوَّجَتْ أمير المؤمنين (عليه السلام) في السَّنة الخامسة والعشرين أو السَّادسة والعشرين للهجرة، يعني أنّها أنجبت أبا الفضل العباس بعد عام أو عامين من زواجها وهذا لا يحتاج إلى تكلف في التفسير لأنّه أمر طبيعي.

وعليه فالرأي الذي نراه أقرب للقبول بحسب القرائن التاريخية هو الرأي الثاني.

اختر لي امرأة ولدتها الفحولة

هناك رأي شائع يُنقل غالباً عن أحد النّسابة وهو السيد ابن عنبّة الحسنيّ الداوودي^(١) في كتابه «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب»، يُنقل فيه أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) طلب من أخيه عقيل أن يخطب له امرأة ولدتها الفحولة من العرب وهذا أوّل نص تلقّاه أكثر العلماء بالقبول، حيث يقول: «وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) قال لأخيه عقيل - وكان نسابة عالمًا بأنساب العرب وأخبارهم -: أَنْظِرْ إِلَى امرأة قَدْ ولدتها الفحولة من العرب لِأَتَزَوَّجَهَا فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: تَزَوَّجْ أُمَّ

(١) ابن عنبّة، جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين الحسني الحسيني (٧٤٨ - ٨٢٨ هـ)، مؤرخ ونسابة شيعي، يصل نسبه بعشرين واسطة كما أورده بنفسه إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو من أعقاب عبد الله المحض، لذا فإنّ أجداده حسنيون حسينيون، فهو يتنسب إلى الإمام الحسن (عليه السلام) عن طريق أبيه، وإلى الإمام الحسين (عليه السلام) عن طريق أمّه، وهذا ما دعا إلى اعتباره أحياناً حسنيّاً وأحياناً حسينيّاً، ودُعِيَ أيضاً بالداوودي ذلك أنّ محمد بن داود موسى الثاني أحد أجداده، وعُرف بابن عنبّة لأنّ جدّه كان يدعى عنبّة الأصغر، وهو بدوره من أعقاب عنبّة بن محمد الوارد (عنبّة الأكبر)، ومع ذلك فقد دعاه بعضهم خطأً بابن عنبسة وابن عتبة وابن عتبة، وكان عنبّة الأكبر جدّ قبيلة من أشراف بني الحسن بالعراق ونواحي الحلة، وربما ولد ابن عنبّة في الحلة.

البنين الكلايية؛ فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها، فتزوّجها»^(١).

وهناك نصٌّ آخر أيضاً يُنقل عن بعض الكتب التاريخية في قضية كربلاء بأنَّ زهير بن القين حدّث أبا الفضل العبّاس بحديث عقيل وأمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث يُنقل «أتى زهيرُ بنُ القين إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال له: يا أخي ناولني الرّاية.

فقال له عبد الله: أوفّي قصور عن حملها؟!، قال: لا، ولكن لي بها حاجة، قال:

فدفعها إليه، وأخذها زهير وأتى فجأة العبّاس بن علي (عليه السلام) وقال: يا بن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيّه، فقال: حدّث، فقد حلاً وقتُ الحديث، فقال له: اعلم يا أبا الفضل، إنّ أباك أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما أراد أن يتزوَّج بأمّك أم البنين، فبعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال (عليه السلام): يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأةً من ذوي البيوت والحسب والنسب والشّجاعة، لكي أصيبَ منها ولداً يكون شجاعاً وعَضْداً ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الحسين (عليه السلام) ليواسيه في طفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن إخوانك؟! قال: فارتعد العبّاس وتمطّى في ركابه حتّى قطعه، قال: يا زهير، تشجّعني في مثل هذا اليوم؟ والله لأرينك شيئاً ما رأيته قط»^(٢).

فإذا كان هذا النقل تامّاً فيكون أقدم ممّا ذكره النّسابة ابن عنبّة.

(١) ابن عنبّة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٣٥٧.

(٢) يُنظر من المصادر المتأخّرة: أسرار الشهادة للدربندي ٢/ ٤٩٧، ومعالي السبطين للحائري المازندراني ١/ ٤٣٤ ومقتل الحسين للمقرم، ص ٢٠٩ بتفاوت.

وثانيًا: هل عقيل بن أبي طالب أعلم من الإمام علي (عليه السلام) في علم الأنساب؟

هنا يأتي سؤالٌ يُثار من قبل البعض مفاده: كيف يمكن لأmir المؤمنين وهو أعلم الناس بعد رسول الله وباب مدينة العلم أن يذهب ويسأل أخاه عقيلًا؟.

الجواب على ذلك من عدة وجوه:

١ / إرشاد الناس للرجوع إلى المتخصص:

حين سأل الإمام علي (عليه السلام) أخاه عقيلًا أراد أن يرشد الناس إلى قاعدة عامّة وهي الرجوع إلى أهل الخبرة في فنّهم، فالإمام المعصوم كما نعتقد نحن الشيعة الإماميّة أعلم أهل زمانه في جميع العلوم، ولكنه يريد إرشاد الناس للرجوع إلى الخبير في فنّه، ولهذا حين جرح أمير المؤمنين وبات ليلة إحدى وعشرين وقد سرى السمُّ في بدنه، طلب أن يُؤتى له بـ (أثير بن عمرو السكوني) وهو أبرز الأطباء الجراحين في زمانه، هذا لا يعني أن أثيرًا أعلم من أمير المؤمنين، بل أمير المؤمنين أعلم منه، ولكنه أراد أن يُعلّم الناس فكرة الرجوع إلى المتخصص، إضافة إلى ذلك أمير المؤمنين أراد أن يُخبرنا بإمضاء الشارع أمر الرجوع إلى المتخصص في كلّ فنّ، ففي مجال الطب يُرجع للطبيب، وفي مجال الهندسة يُرجع للمهندس، وفي مجال النسب يُرجع للنسابة كعقيل بن أبي طالب الذي كان من الخبراء في علم الأنساب.

٢ / تعليم الناس مبدأ المشاورة:

كذلك أراد الإمام (عليه السلام) أن يؤسّس لهذا المبدأ (مبدأ المشاورة)، وهو

أنَّ الإنسان إذا أراد أن يُقدِّمَ على أمر من أمور حياته عليه أن يستشير مَنْ حوله، وأن يستمع إلى غيره حتَّى يزن الآراء والأقوال ويُرشِدَ إلى الصَّواب كما جاء في الحديث النَّبَوِيُّ: «ما تَشَاوَرَ قَوْمٌ إِلَّا هُدُوا لَأَرْشَدَ أَمْرُهُمْ»^(١)، وأيضاً في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(٢)، فقد كان عقيل أعلم قريش بأنساب العرب وبمثالب قريش ولهذا تعرَّضَ إلى حملة مضادة من قبل القرشيين لتشويه سمعته ومواقفه وهناك الكثير من الروايات التاريخية التي تشوّه سمعته والتي لا أصل لها وإنما وُضِعَتْ مناكفة له.

٣ / الإخبار عن قضية كربلاء:

فمن الطُّرق التي انتهجها أهل البيت (عليهم السلام) لإبراز مظلوميّة الحسين هو الإخبار عنها قبل وقوعها بعشرات السنين، وقد يكون هذا من جملة ما أَرادَه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلو أنَّ عليّاً خطب أم البنين وتزوَّجها مباشرة، ما كان يتمّ الحديث عن مظلوميّة الحسين (عليه السلام) قبل مقتله، وما يجري في كربلاء قبل وقوعها، ولكنّه بهذا الطُّريق أخبر عن قضية كربلاء وما يجري فيها منذ عام ٢٥ أو ٢٦ للهجرة، حين أقدم على خطبة هذه المرأة.

٤ / إظهار فضل أم البنين (عليها السلام):

وربما يكون من الأسباب التي دعت أمير المؤمنين لسؤال أخيه عقيل هو أنّه أراد أن يبيّن للناس فضل هذه المرأة التي ستنتخب إليه هذه الأقمار، وهذا كقول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(٣)

(١) ابن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٨/٥.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) طه: ١٧.

فالله يعلم ما بيد نبينا موسى ولكنه أراد أن يتحدث موسى عنها حتى تكون المعجزة واضحة لمن يستمع ويقرأ، إضافة على ذلك أراد أن يُخبر بدورها ودور أولادها في نصره الحسين (عليه السلام).

ثالثاً: هل كانت أم البنين (عليها السلام) موجودة بعد كربلاء؟

الجواب: استبعد المحقق المكرم في كتابه القيم «مقتل الحسين» بقاء أم البنين ووجودها إلى يوم الطف.

ونحن لا نرى استبعاد العلامة المحقق السيد المكرم رحمه الله في محله، فإنه بعد أن قال: «لم أعر على نصٍّ يُوثَّق به يدلّ صراحة على حياة أم البنين يوم الطف»،^(١) ثم بدأ بمناقشة رواية أبي الفرج الأصفهاني عن محمد بن علي بن حمزة عن النوفلي عن حماد بن عيسى عن معاوية بن عمار عن الصادق (عليه السلام) أن أم البنين كانت تخرج إلى البقيع تندب بنيتها أشجى نذبة وأحرقها فيجتمع الناس إليها ليسمعوا منها، وكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك فلا يزال يسمع ندبتها.

ثم شرع في مناقشة رواية السند، قائلاً: «بأن رجال إسناده لا يُعْبَأُ بهم، فإنَّ النوفلي وهو يزيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٤٧، وحكي عن أحمد أن عنده مناكير، وعند أبي زرعة ضعيف الحديث، وعامة ما يرويه غير محفوظ، وقال أبو حاتم منكر الحديث جداً، وقال النسائي متروك الحديث، ومعاوية بن عمار بن أبي معاوية قال أبو حاتم: لا يحتج بحديثه، وإن أريد غير هذا فمجهول».^(٢)

(١) المكرم: مقتل الحسين ص ٣٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

ثمَّ عرَّجَ على المتن، وانتهى إلى أنَّ نسبة أبي الفرج خروج أمِّ البنين إلى البقيع هي فريئة واضحة إذ لا شاهد عليها وغايته التعريف بأنَّ مروان بن الحكم رقيق القلب، ثمَّ عطف المحقق المقرَّم على ذلك أنَّ أبا الفرج ناقَضَ نفسه بأنَّ قال في موضع آخر إنَّ العباس كان آخر مَنْ قُتِلَ مِنْ إخوانه فحاز مواريتهم وورث العباس ابنُه عبيد الله، وهذا يفيدنا وثوقاً بوفاء أمِّ البنين يوم الطَّف، فإنَّها لو كانت موجودة لكان ميراثُ العباس مختصاً بها لكونها أمَّهُم ولا يرثهم العباس لأنَّه أخوهم.

وقفتان مع العلامة المقرَّم

ولنا مع العلامة المحقق المقرَّم رضوان الله عليه وقفتان:

الأولى: نقاشه في رجال السَّنَد:

فأوَّل ما هو مذكور في رواية أبي الفرج (عليَّ بن محمَّد بن حمزة) وهذا الشَّخص لا ذكر له في كتب الرِّجال أصلاً، ويظهر أنَّ في اسمه تقدماً وتأخيراً والصَّحيح هو (محمَّد بن علي بن حمزة المعروف بالعلوي)، وهو ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام)، والذي نقل عنه أبو الفرج كثيراً واعتمد عليه، فقد ورد ذكره في أكثر من عشرين موضعاً من كتاب المقاتل، وروى عنه النُّوفلي عليَّ بن محمَّد أيضاً في المقاتل، وهذا الرَّجل يظهر أنَّه كان محيطاً بأخبار حركات أبناء الأئمَّة، وتاريخ نهضاتهم ضدَّ الحاكمين فكان المصدر الأساس الَّذي اعتمد عليه أبو الفرج في كتابه، وهو كما يقول النَّجاشي: «ثقة، عين في الحديث، صحيح الاعتقاد له رواية عن أبي الحسن وأبي محمَّد (عليه السلام)، وله مكاتبة، وفي داره حصلت أمَّ صاحب

الأمر بعد وفاة الحسن (عليه السلام)،^(١) ويذكر آية الله العظمى السيد الخوئي في معجمه أن له كتاباً باسم مقاتل الطالبيين.^(٢)

وأما النوفلي فإنه لقَّبُ رجال كثيرين منهم: الحسن بن محمد بن سهل، وعبد الله بن الفضل بن عبد الله ببة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو من أصحاب الصادق وثقة، والحسين بن يزيد بن محمد بن عبد الملك النوفلي وهو من أصحاب الرضا، وعلي بن محمد بن سليمان النوفلي وهو من أصحاب الإمام الجواد والهادي والعسكري، والمُكثَر للروايات في الفقه هو الحسين بن يزيد الذي يروي عن السكوني عادة، وله في أبواب الفقه لا سيَّما في المعاملات روايات كثيرة.

ولكن الذي يروي عنه أبو الفرج في المقاتل ليس هذا، وليس كما ذكر السيد المقرَّم أنه يزيد بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وإنما هو علي بن محمد بن سليمان النوفلي، ومع التَّبع لكتاب المقاتل يظهر أنه يعتمد عليه اعتماداً كبيراً فيما ينقل من أمور ترتبط بأبناء علي (عليه السلام) في أكثر من ٢٣ موضعاً، وهذا بدوره ينقل عن أبيه كثيراً، فترى صاحب المقاتل ينقل عنه في قضية يحيى بن زيد، ويعتمد على روايته بشكل أساسي في نقل أحداث حركة عيسى بن زيد، وفي ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن.

وهذا النوفلي قد يذكر في الرجال تارةً بعنوان علي بن محمد، وأخرى علي بن محمد بن سليمان، ومع أن له روايةً عن الإمام الجواد (عليه السلام)، ومكاتبةً للإمام العسكري (عليه السلام)، وقد ذكره الصدوق في مشيخته، وطريقه

(١) النجاشي؛ أحمد بن العباس: فهرست أسماء مصنفي الشيعة «رجال النجاشي» ص ٣٤٧.

(٢) الخوئي؛ أبو القاسم: معجم رجال الحديث ٣٥١/١٧.

إليه صحيح، إلا أنه لا توثيق له بخصوصه وإن كان إمامياً، لكن يمكن استفادة ذلك من التوثيق العام بالنسبة لمن لم يستثن من كتاب نوادر الحكمة، بناءً على أن عدم الاستثناء لهم لا يختص بتصحيح الروايات في الكتاب المذكور، وإنما هو إضافة إلى ذلك توثيق للرواة كما هو مسلك كثيرين، فإنه قد ذكر علي بن محمد النوفلي في مَنْ لم يُستثن من رواية كتاب النوادر.

والنوفلي روى في أصول العقائد كما هو في الكافي في أكثر من موضع، وفي الفروع أيضاً، لكن يبدو أنه كان متخصصاً أكثر في حقل التاريخ، وضبط أحداث معارضة أهل البيت وأبنائهم للحاكمين، ولذلك اعتمده أبو الفرج في مقاتله، وروى عنه الطبري أيضاً أحداث الثورات التي تقدّم ذكرها.

وأما حماد بن عيسى الجهنّي من أصحاب الصادق والكاظم (عليهما السلام) كان ثقةً في حديثه صدوقاً، وممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم وأقروا لهم بالفقه.

وأما معاوية بن عمار بن أبي معاوية فهو العجلي الدهني وهو من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، وقد نصّ على توثيقه وجلالة شأنه من تعرّض لذكره في الرجال، فقد قال النجاشي: «كان وجهاً من أصحابنا متقدّماً كبير الشأن عظيم المحل ثقة، وكان أبوه عمار ثقة في العامة وجهاً، روى معاوية عن أبي عبد الله وأبي الحسن (عليهما السلام) ومات في سنة خمس وسبعين ومائة». (١) ومثله ذكر في الخلاصة. (٢)

(١) النجاشي: رجال النجاشي ص ٤١١.

(٢) الحلّي؛ العلامة الحسن بن يوسف: خلاصة الأقال ٢٧٣.

ولذا فمن العجيب أن ينقل العلامة المقرّم قول أبي حاتم فيه: «أنّ معاوية بن عمّار بن أبي معاوية لا يحتج بحديثه، وإن أريد غير هذا فمجهول»^(١)، إذ تضعيفه عندهم كما هو جارٍ في غيره، إنّما هو على أساس مذهبه وتشيعه، فإنّهم يُسارعون إلى الطّعن فيمن عرّف عنه تشيعه لعلّي (عليه السلام)، ويكفي عندهم لعدم الاحتجاج بحديثه كونه رافضياً كما يقولون.

فكيف إذا كان وجهاً عندنا وعظيم الشأن؟، ولم يكن مُتَظَرّاً من المحقّق المقرّم الذي له الباع الطّويل في هذا المجال أن يعتمد على تضعيف الرّجالين المخالفين لرواة أهل البيت، خصوصاً أنّه ذكر في المقتل بعض النّماذج على التّضعيف لأجل المذهب، وفي كتابه «العبّاس» قال في ذيل الحديث عن الأصبغ بن نباتة عندما نقل صاحب اللّآلئ المصنوعة فيه أنّه متروك لا يساوي فلساً^(٢) قال المقرّم: «ولقد طعنوا في أمثاله من خواصّ الشيعة بكُلِّ ما يتسنّى لهم، وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدّعوى، ولا يتحمّل هذا المختصر التّبسط في ذكرها، ومراجعة ما كتبه السيّد العلامة محمّد بن أبي عقيل في «العتب الجميل على أهل الجرح والتّعديل» ص ٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية، فإنّه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلّا لموالاة أمير المؤمنين وولده (عليه السلام)». ^(٣)

(١) المقرّم: مقتل الحسين ص ٣٥٥.

(٢) السيوطي؛ جلال الدين: اللّآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٣٧٤. ونصّ العبارة: «لا يصحّ، وأصبغ متروك لا يساوي فلساً».

(٣) المقرّم؛ السيّد عبد الرزاق: العبّاس (عليه السلام) ص ١٣٧.

الوقفه الثانية: كلامه في المتن:

أما قوله إنَّ خروج أمِّ البنين فرية واضحة غايتها التعريف بأن مروان بن الحكم رقيق القلب فاستدرار الدِّمعة إنَّما يتسبب من انفعال النَّفس.. إلخ^(١)، فإنَّه يمكن على فرض صحة الخبر أن يكون ذلك من إظهار البكاء، واصطناع حالة البكاء الكاذب، وليس هذا بعيداً من شخصية مروان المناقفة، حيث إنَّه قد يعمل الشَّيء وضدَّه، والأمر وخلافه إذا رأى في ذلك مصلحة دنيويَّة عاجلة، فهو على عدائه المعروف لأهل البيت لا يعدم وسيلة لكي يحوز بها على بغلة للحسن المجتبي (عليه السلام)، فيدفع أحدهم لمدح الإمام مدحاً عظيماً إلى غير ما ذكره في أحواله، فمثل هذا الأمر وهو حضوره في البقيع، وإظهار شخصه أمام السُّدج بمظهر المتعاطف ليس شيئاً مستنكراً، فكم وجدنا من السياسيين، والزُّعماء الدنيويين مَنْ يقتل القتل ويمشي في جنازته باكياً!.

ثمَّ إنَّه بمراجعة كتابه الآخر «العبَّاس» يتبيَّن أنَّ السيِّد المقرَّم رحمه الله يُخالف نظريته في كتاب «مقتل الحسين» في أكثر من موضع، ويبيِّن على أساس أنَّ أمَّ البنين كانت موجودة إلى ما بعد زمان واقعة كربلاء، فقد ذكر في صفحة (١٢٦) أنَّ السيِّدة زينب قد زارت أمَّ البنين بعد وصولهم إلى المدينة تعزيها بأولادها كما كانت تزورها أيَّام العيد، وتعزية زينب (عليها السلام) وزيارتها لأمَّ البنين بعد وصولهم إلى المدينة يشير بوضوح إلى حياتها إلى ذلك الوقت، بل أنَّ ما نفاه هناك، أثبتته هنا في مواضع متعدِّدة منها في صفحة (٣٤٨) حيث قال: «وأوَّل مَنْ رثاه أي: العبَّاس أمُّه أمَّ البنين كما في مقاتل الطَّالبيين فإنَّها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها فيجتمع الناس لسماع

(١) المقرَّم مقتل الحسين ص ٣٥٧.

ندبتها»، ويستدل على خطأ ما نقله أبو الفرج والطبري من أن أبا الفضل قدّم إخوته ليُقتلوا أمامه لكي يرثهم، يقول في صفحة (١٨٣): «وما أدري كيف خفي عليهما أي المؤرخين المذكورين عدم إمكان حيازة العباس ميراث إخوته مع وجود أمّهم أمّ البنين وهي من الطبقة المتقدمة على الأخ، ولم يجهل العباس شريعة تربى في خلالها».

كما يقول مثبّثاً وجود أمّ البنين حتّى يوم الطّف، في صفحة (١٨٥): «وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده حتّى لو قلنا على بُعد ومنع بوفاة أمّ البنين يوم الطّف، فإنّ العباس لم يكن هو الحائز لموارثهم، لوجود الأطراف وعبيد الله بن التّهشليّة، فإنّهما يشتركان مع العباس في الميراث، كما يشاركهم سيّد شباب الجنّة وزينب العقيلة وأمّ كلثوم ورقية وغيرهن من بنات أمير المؤمنين... هذا إن قلنا بوفاة أمّ البنين يوم الطّف، ولكن التّاريخ يُثبت حياتها يومئذ وأنّها بقيت بالمدينة وهي التي كانت ترثي أولادها الأربعة»^(١).

ولا نعلم عن تاريخ الكتابين وأيّهما المتقدّم ليكون المتأخّر هو النّاسخ، والرّأي الأخير للمؤلّف، فإن كان «العبّاس» هو الكتاب الأخير يكون ما ورد فيه عدولاً عمّا ورد في كتاب «مقتل الحسين»، وإن كان العكس فيلزم أن يشير إلى ما سبق أن شيّد وأكّده في كتاب «العبّاس»؟!.

وعلى كلّ حال فإنّ ما بذله المحقّق المقرّم رضوان الله عليه من جُهد في كتاب «مقتل الحسين» في نفي حياتها أخيراً، مع أنّه كان في بداية حديثه مقتصرّاً على عدم العثور على نصّ يوثّق حياتها، لا يمكن

(١) يُنظر: العبّاس (عليه السلام)، للعلامة المقرّم، الصفحات المذكورة في المتن مع مراعاة اختلاف الطبعات المترتّب عليها اختلاف أرقام الصفحات.

المساعدة عليه أو قبوله، ونفس الكلام الذي قاله بعدم وجود نصٍّ يُوثَّق حياتها يعود في عدم وجود نصٍّ يُوثَّق وفاتها، مع أنَّ بقاءها إلى ما بعد مقتل الحسين (عليه السلام) أمرٌ طبيعيٌّ، وهو مقتضى الأصل.

رابعاً: لماذا نركّز على قضية أمّ البنين (عليها السلام) وإحياء ذكراها؟

الجواب:

إنَّ موقع المعصومين (عليهم السلام) لا يدانيه موقع أبدأً، ولكن حاجة النَّاس تشتدُّ إلى شعائر دين الله وإلى الشَّخصيات الإيمانيَّة، فكلما كَثُرَتْ هذه الشَّخصيَّات أصبح المجتمع أكثر التصاقاً بالإيمان والدين، ولو أردنا تشبيهاً في ذلك نجد أنَّ كثرة المساجد في الحيِّ الواحد يراد منه تكثير المواقع التي تُذكر بالله (عزَّ وجلَّ) من مساجد وحسينيّات ومراكز إسلاميَّة وما شابه ذلك، ولا سيَّما أنَّ الهجوم على المجتمع المسلم هجوم كبير، ونحن اليوم نواجه تحديات كبيرة جداً تصل إلى داخل منازلنا، ولذلك يجب تقديم أسماء لامعة وقداوات كثيرة وتجارب متعدّدة.

«رَوِيَ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) وَلِيَّ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ قَدْ خَفْتُ تَوَاهُ فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي إِذَا صُرْتَ بِمَكَّةَ فَطُفْ عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ طَوْافاً وَصَلِّ عَنْهُ رَكَعَتَيْنِ وَطُفْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ طَوْافاً وَصَلِّ عَنْهُ رَكَعَتَيْنِ وَطُفْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ طَوْافاً وَصَلِّ عَنْهُ رَكَعَتَيْنِ وَطُفْ عَنْ أَمِّ مُحَمَّدٍ طَوْافاً وَصَلِّ عَنْهَا رَكَعَتَيْنِ وَطُفْ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ طَوْافاً وَصَلِّ عَنْهَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ مَالَكَ قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ بَابِ الصَّفَا فِإِذَا غَرِيمِي وَاقِفٌ يَقُولُ يَا دَاوُدُ حَبَسْتَنِي تَعَالَ فَاقْبِضْ مَالَكَ»^(١)، فالإمام (عليه السلام)

(١) الكافي، للشيخ الكليني، ج ٤ ص ٥٤٤.

أراد أن يربط هذا الرجل بهذه الشخصيات العظيمة، وأنّها من وسائل ووصائل المؤمنين إلى الله (عز وجل)، وكذلك عندما نُكرم ونحترم ونذكر أمّ البنين (عليها السلام) ونحيي ذكرى وفاتها فإنّ ذلك له أثر في نفوس المؤمنين، إضافة إلى التجارب التي قدّمتها أمّ البنين، والتي هي تجارب نادرة في تاريخ العرب والمسلمين، ومن تلك التجارب:

- أنّ امرأة تأتي إلى منزل وتعيش مع أبناء امرأة أخرى لزوجها، هذا قد يسبّب مشاكل كثيرة في المجتمعات العادية، ولكن هنا يقدم الدين نموذجاً انسجام بل نموذجاً تضحية، ويرينا أنّه كيف ضحّت أمّ البنين بأبنائها الأربعة من أجل الإمام الحسين وربّتهم من أجل أن يكونوا أتباعاً مأمومين لإمامي زمانهم وهما الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام).
- علاقتها مع العقيلة زينب (عليها السلام) كانت علاقة استثنائية، والتي جعلت السيّدة زينب مع مكانتها تقوم بزيارة أمّ البنين في أعيادها، ولا سيّما بعد كربلاء وذلك بسبب حسن تعامل أمّ البنين مع ذكر الزهراء وأبناء وبنات الزهراء (عليها السلام).

أمّ البنين (عليها السلام) الأسوة الحسنة

نحن أمام امرأة متميّزة تحتاج إلى تكريم وإحياء، وذكر واقتداء، واستحضار سيرتها في أفقنا الاجتماعيّ، وأن نقنّدي بها في جميع النواحي فهي القدوة الحسنة، فلا يمكن لنا أن نُقيمَ سفرة لأمّ البنين ونحن نحرض أبناءنا على إختوتهم من الزوجة الأخرى فهذا خلاف سيرة أمّ البنين، ولا يمكن أن نجعل منزلنا منزل عداوة ومشاكل ونحن نقراً مصيبة أمّ البنين التي حوّلت ذلك المنزل إلى بيت من البيوت الرائعة في المحبّة والعطف والحنان، فلا يجب أن يكون هناك انفصال بين

مشاعرنا القلبية وبين سلوكنا العملي وأخلاقنا الحياتية وطريقنا ومنهجنا.

أم البنين (عليها السلام) باب من أبواب رحمة الله

ذكر العلماء وحق لهم أن يذكروا ذلك أنه يمكننا أن نستكشف مقام أم البنين وغيرها من النساء والرجال بمقدار ما يستجيب الله سبحانه وتعالى لمن يتوسل بهم، وهذه إحدى الإشارات على علو منزلتهم عند الله، فعندما نتوسل إلى الله بباب من أبواب رحمته، وبباب من أبواب الإجابة فإنه يستجيب لنا، ولا تُحصى كثرة حاجات الناس المقضية بعد التوسل بهذه الثلة والصفوة من عباد الله الصالحين أمثال أم البنين (عليها السلام)، وهذا يشير إلى مرتبة هذه السيدة الجليلة نسأل الله تعالى أن يجعلها وسيلة لنا في قضاء حوائجنا وأن يشفي بها ويبعلها وبأبنائها الشهداء مرضانا وأن يكشف بها وبهم كربنا وهمومنا، وحق لله (عز وجل) بعد أن دعا إلى أن يُتغى إليه الوسيلة أن لا يخيب الداعين إياه بعدما قدّموا هذه الوسائل الطاهرة والطيبة، فوسيلتنا الأولى هو سيّد الأنبياء محمّد (صلى الله عليه وآله)، فما خلق الله تعالى خلقاً أكرم ولا أعظم منه ولا أقرب إجابة من إجابته، وبعد ذلك سائر المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم)، ثم يأتي بعد ذلك في المرتبة من يتلو المعصوم في درجاته العالية كخديجة الكبرى وأم البنين (عليها السلام) وأمثال هؤلاء وهم كثر بحمد الله تعالى، ومن لطفه علينا أنه جعل الوسائل إليه كثيرة ومتعددة، فأى باب نختاره ونقدّمه بين يدي الله (عز وجل) طاعة واستجابة فمن الممكن أن يستجيب لنا في حاجتنا ودعائنا، فكيف بهذه السيدة الجليلة التي لها الكثير من المواقف الخالدة، ولكن للأسف لم ينقل التاريخ إلا القليل منها، ومع ذلك فإن هذا القليل يتضمّن دروساً عظيمة ينبغي أن تكون حاضرة في حياتنا الاجتماعية.



زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وبناته في كربلاء

اسْتُشْهِدَ الإمام الحسن (عليه السلام) سنة (٥٠ هـ)، وخَلَفَ زوجات وأبناء وبنات، ويقول بعض الباحثين والمؤرخين أنه يستفاد من قرائن مختلفة أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) احتضن واحتوى ورعى هذه النساء اللاتي بقينَ بعد الإمام الحسن المجتبي، وهنَّ على أقسام:

قِسْمٌ من زوجات الإمام الحسن تزوّجنَ بعد شهادته والتحقّت بزوجهما الجديد، وبالتالي خرجت من دائرة كفالة بني هاشم ورعاية الإمام الحسين (عليه السلام).

والقِسْم الآخر منهنَّ مَنْ تزوّجها الإمام الحسين (عليه السلام) كأمّ إسحاق التيميّة وأنجب منها بنات وبنين.

والقسم الثالث هنَّ اللاتي لم يتزوّجن من خارج دائرة بني هاشم، وحيث إنّ الحسين لا يحقّ له الزواج بأكثر من أربع نساء بالعقد الدائم، لكنّه احتواهنَّ واهتمَّ بهنَّ على مستوى الرعاية الماليّة والاهتمام الاجتماعيّ لهنَّ، والاهتمام التربوي لأولادهنَّ، فأصبح أولاد وبنات الإمام الحسن (عليه السلام) تحت رعاية عمّهنَّ الحسين، فيرجعون له في الكثير من القضايا كقضايا الزواج وقضايا الحاجة الماديّة والتّوجيه التربوي وغيرها، ولهذا نجد من

الطَّيْعِيَّ ما حدث من أمر القاسم بن الحسن (عليه السلام) في كربلاء، وكذلك عبد الله بن الحسن الأكبر المعروف عند المؤرخين بأنه زوج سكينه بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، والحسن المثنى وهو زوج فاطمة بنت الحسين، وهكذا بالنسبة إلى سائر الأبناء، وعدد من أمهاتهم كُنَّ في كربلاء.

ومن زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) في كربلاء (رَمَلَة) أم القاسم بن الحسن، وهذا هو الاسم المشهور لها لأنَّ البعض يقول إنَّ اسمها نَرْجِس، والبعض الآخر يقول نُقَيْلَة، ولكنَّ الاسم المشهور والمعروف بين الباحثين وعلى ألسنة الخطباء هو (رَمَلَة)، وقد كانت من سبي بلاد الرُّوم، اشتراها الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ونكحها بملك اليمين فولدت له القاسم، وفي قول أيضاً إنَّها ولدت له عبد الله الأكبر المكنى بأبي بكر، وقد تحدّثت (رَمَلَة) مع ابنها القاسم في كربلاء حتَّى لا يتراجع عن الجهاد مع الإمام الحسين (عليه السلام)، فهذه من النساء اللَّاتِي كنَّ في كربلاء واللَّاتِي كنَّ يشجَّعن أبناءهن ومن يرتبط بهنَّ على أن يقوموا بالشَّهادة والدِّفاع بين يدي ابن بنت رسول الله (ﷺ)، فقد نُقِلَ أنَّ الإمام الحسين حين ذَكَرَ في ليلة العاشر قضية مقتل الشَّهداء، سأله القاسم: هل أنا فيمن يُقتل؟، فسأله الحسين: كيف تجد الموت؟، فقال: فيك أحلى من العسل^(١)، فهذا الرد ليس رداً عادياً وإنما ينمُّ عن ثقافة ومعرفة بالدين وقيمة الدِّنيا بالنسبة إليه.

ومن بنات الإمام الحسن (عليه السلام) في كربلاء (فاطمة بنت الحسن) زوجة الإمام زين العابدين وأمَّ^(٢) الإمام الباقر (عليه السلام)، فالقدر المتيقن

(١) البحراني؛ السيد هاشم؛ مدينة المعاجز ٤ / ٢٢٨.

(٢) قد تحدَّثنا عنها في كتابنا: باقر العلم؛ الإمام محمد بن علي بن الحسين من سلسلة النبي والعترة.

أنَّها حضرت كربلاء؛ باعتبار أنَّ زوجها الإمام السَّجَّاد موجود في هذه الرِّحلة، وكذلك ابنها الإمام الباقر -الَّذي كان عمره ثلاث أو أربع سنوات- موجود في هذه الرِّحلة، وليس معقولا أن تبقى في المدينة أو في مكَّة وتترك ابنها في هذا العمر يقاسي السَّفر وتعب الطَّريق دون أن تكون معه لرعايته والقيام بشؤونه.

زوجات الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء



✽ الأولى: أم إسحاق بنت طلحة النخعيّة:

تزوَّجها الإمام الحسن (عليه السلام) في أوّل الأمر، ولم يتحدد عند المؤرخين وقت اقترانها بالإمام الحسن (عليه السلام) بشكل دقيق، ويُحتمل أنه بعد قضية حرب الجمل أي بعد أن قُتل أبوها بعد عام (٣٦) للهجرة، ولالإمام الحسن منها ولدٌ واحدٌ تُوفّي وهو صغير اسمه (طلحة) ^(١)، هذه الأسماء كهذا الاسم (طلحة) في زماننا أصبح لها ظلال معيّنة بخلاف الأزمنة السابقة، ولذلك نجد من كبار أصحاب الأئمة (عليهم السلام) من اسمه معاوية ويزيد وغير ذلك، وربما رغبت أم إسحاق - عندما ولدت ولداً في أن يُسمّى باسم أبيها، فلم يكن الإمام الحسن يُمانع من ذلك لا سيّما أن ذلك يشير إلى العشرة بالمعروف، فهناك زوجان تحصل بينهما خلافات في علاقاتهما الزوجية على أسماء معيّنة فلا بد من الرجل أو المرأة أن يتنازل عن هذا الاسم الذي أصرّ عليه حتّى يكسب ودّ ورضا وحسن معاشرة الطرف الآخر.

(١) ذكر مؤلفو الأنساب أن لها من الحسن الزكي طلحة، وأنه مات صغيراً لكن قال بعضهم ما استفاد منه أنه كان كبيراً، كما قال ذلك ابن حبيب البغدادي في «المحبر» (ص ١٥٠): «(طلحة الخير) وهو طلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله. وأمّه أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان. وكان مطعماً للطعام، ممدحاً. ولم يُعقب.»

عاشت أم إسحاق مع الإمام الحسن (عليه السلام) ويظهر من وصية الإمام الحسن^(١) لأخيه الحسين بأن لا تخرج زوجته من بيوت بني هاشم، وأن يحتفظ بها وإن شاء أن يتزوجها فليفعل، هذا الاهتمام بها يظهر منها حسن تبعل وعشرة طيبة للدرجة التي كان الإمام الحسن حريصاً على بقائها في هذا البيت ولم يوص بأحد من زوجاته فيما نُقل إلا بهذه المرأة، وهذا كاشف عن منزلتها ومكانتها عند الإمام الحسن، فبمجرد أن انتهت عدتها -أي بعد أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ شهادة الإمام الحسن (عليه السلام)- تزوجها الإمام الحسين (عليه السلام).

وهذه من الظواهر الاجتماعية الطيبة التي ينبغي الالتفات لها ورعايتها وهي لو أنّ شخصاً تُوفي عن امرأة وكان بإمكان بعض إخوانه أن يتزوجها فعليه المبادرة لذلك، ولا سيما إن كان لديها أطفال منه؛ لأنّ الأولاد لن يتغيّر عليهم شيء في هذه البيئة الاجتماعية، وهذا ما فعله الإمام الحسين (عليه السلام) فقد تزوّج هذه المرأة وبقيت معه حتى استشهد، وأنجبت له أولاداً من بينهنّ فاطمة بنت الحسين.

نقل عنها أيضاً ما ينفع في الاقتداء بالإمامين (عليهم السلام) في أمر المستحبات وصلاة الليل، والتي تطلع عليها الزوجة عادة أكثر من غيرها.

فهذه المرأة الصالحة تنقل عن عبادة الحسنين فتقول: إنّ الحسن المجتبي (عليه السلام) كان يأخذ نصيبه من قيام الليل في أوله، وكان الإمام

(١) الإصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني ٧٨/٢١ كانت أم إسحاق عند الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين (عليه السلام)، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجن من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوجها.

الحسين (عليه السلام) يقوم الليل في آخره^(١)، وفي هذه فسحة طيبة للمؤمنين أن يقتدوا بأئمتهم فقد تكون طبيعة حياة البعض تقتضي السهر فمن المناسب أن يأخذ له في ذلك الوقت شيئاً من التَّنْفُّل والتَّهَجُّد، وإن كانت طبيعة حياته تقتضي النوم مبكراً فليستيقظ قبل الأذان بنصف ساعة على الأقل ليتنفل ما شاء له.

جاءت أم إسحاق مع الإمام الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، ثم كانت ممن سُبِيَ إلى الكوفة ثم إلى الشام، ومن المعلوم أنها كانت على قيد الحياة إلى عام (٩٢) للهجرة.

✽ الثانية: الرِّبَاب بنت امرئ القيس الكَلْبِيَّة:

في كتب التاريخ والأدب العربي نلتقي بشخصيتين باسم (امرؤ القيس):

الأولى: الشاعر المعروف بالملك الضِّلُّيل، والذي ورد ذكره في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما سُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ؟، فقال: «إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلُّيلُ». ^(٢) أي أَنَّ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَتَسَابَقُوا فِي مِيدَانٍ وَاحِدٍ -كوزن شعري-

(١) ملاحظة مهمّة: منتصف الليل الشرعي يختلف عن منتصف الليل العرفي، فمنتصف الليل العرفي هو الساعة الثانية عشرة، بينما منتصف الليل من الناحية الشرعية ليس ثابتاً لأنّه يرتبط بالغروب وبطلوع الفجر والقسمة بينهما، فحتّى نعرف منتصف الليل الشرعي نقوم بحساب وقت أذان المغرب ولنفترض السّاعة السادسة ووقت أذان الفجر لنفترض السّاعة الرابعة فهذه عشر ساعات، فنقوم بقسمة العشر ساعات على اثنين فيصبح خمسة، ثم نضيف الخمسة إلى وقت صلاة المغرب أي خمسة زائد ستة فتصبح السّاعة الحادية عشرة هو منتصف الليل الشرعي، ويختلف هذا بحسب الصّيف والشتاء باعتبار اختلاف أوقات الأذان.

(٢) ابن أبي الحديد؛ عبد الحميد: شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١٥٣.

محدد أو وصف معين - ليعرف لمن السبق، وهذا من التقييمات الرائعة لأمير المؤمنين (عليه السلام).

والثانية: امرؤ القيس الكلبي وهو والد الرباب، وقد كان في زمان رسول الله محمد (ﷺ) على الرأي المختار والأصح، وكان مسلماً وقد ولّاه النبي (ﷺ) على جمع صدقات قومه، فكان من ولّاه النبي (ﷺ) ووكلائه في قبض الأموال والصدقات والزكوات، وفي عام (١٩) للهجرة أي أيام الخليفة الثاني جاء إلى المدينة المنورة وعنده ثلاث بنات (محيّة وسلمى والرباب) وقيل إنّه قد زوج أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنته الكبرى (المحيّة) وهي تذكر من ضمن زوجات الإمام علي (عليه السلام) لمن أرّخ زوجاته، وزوج الثانية (سلمى) للإمام الحسن (عليه السلام)، وزوج الثالثة (الرباب) للإمام الحسين (عليه السلام)، وقد كان الحسن والحسين في أوائل شبابهما في السن أي أبناء ١٦ أو ١٧ سنة وبناء على ذلك فإن هذه الزيجة تعدّ من أبكر الزيجات للإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

فالرباب عندما جاءت إلى كربلاء كان عمرها حوالي خمسين عاماً تزيد أو تقل وقد ولدت للإمام الحسين (عليه السلام) أربعة من الولد بين ذكر وأنثى وهم: (فاطمة على قول، وسكينة، وعبد الله الرضيع ورقية على بعض الآراء)، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يحبّها حبّاً كثيراً وقد نُقل عنه (عليه السلام) بيتان معروفان في شأن سكينة ابنته وفي شأن زوجته الرباب:

لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَاراً تَحِلُّ بِهَا سُكَيْنَةُ وَالرَّبَّابُ
أُحِبُّهُمَا وَأَبْذُلُ جُلَّ مَالِي وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابٌ^(١)

فإذا تمّت نسبة هذين البيتين إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فهو إبداء

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ٥٩. والبلاذري في أنساب الأشراف ٢/ ٤١٧.

مشاعر وليس حالة استثنائية، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ أن يبدي الزوج حبّه لزوجته، فلماذا لا يقول الزوج لزوجته أنّه يحبّها؟، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ: إِنِّي أُحِبُّكَ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا»^(١)، فلا بدّ من التّصريح بالقول وعدم الاكتفاء بالفعل فقط أو وجوده في القلب، وكذلك على الأب عليه أن يقول لابنه وابنته أنّه يحبّهما، فإنّ ذلك يجعل الفتاة لا تعيش نقص العاطفة وبالتالي لا يستطيع أحدٌ خداعها، لأنّ والدها يغمرها بالحنان والرّعاية ويضمّها إلى صدره ويمدحها ويشي عليها، وكذلك أمّها تفعل معها نفس الفعل، بعكس تلك الفتاة المحرومة التي لا تسمع إلا كلمات الصّراخ والصّياح وما شابه ذلك فإنّ أتى لها شخص بكلمات طيبة ومعسولة فمن السّهل أن يخدعها، وكذلك الزّوجة تحتاج إلى الثّناء والمعاملة الحسنة وإبداء المشاعر لها، فالإمام الحسين (عليه السلام) كان يصنع ذلك مع زوجته وابنته، وقد بادلتها الرّباب محبة عظيمة ربما لم تكن مع سائر النّساء.

فالرّباب هي الوحيدة من زوجات الإمام الحسين (عليه السلام) التي نُقلَ عنها أشعار رثائيّة، فعندما رأت رأس الحسين (عليه السلام) في ديوان يزيد قامت وصرخت وقالت:

وَاحْسِينًا فَلَا نَسِيتُ حُسَيْنًا أَقْصَدْتُهُ أَسِنَّةُ الْأَعْدَاءِ
غَادَرُوهُ بِكَرْبَلَاءَ صَرِيحًا لَا سَقَى اللَّهُ جَانِبِي كَرْبَلَاءَ^(٢)

وهكذا في شعر آخر تقول:

إِنَّ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ بِكَرْبَلَاءَ قَتِيلًا غَيْرَ مَدْفُونٍ

(١) الكليني: الكافي ٥/٥٦٩.

(٢) الأمين؛ السيد محسن: لواعج الأشجان ص ٢٢٣.

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا صَلْدًا أَلُوذُ بِهِ وَكُنْتُ تَصْحَبِنَا بِالرَّحْمِ وَالدِّينِ
فَمَنْ يُجِيبُ نِدَاءَ الْمُسْتَغِيثِ وَمَنْ يُغْنِي وَيُوْوِي إِلَيْهِ كُلَّ مُسْكِينٍ
تَاللَّهِ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بِصَهْرِكُمْ حَتَّى أُوَسِّدَ بَيْنَ اللَّحْدِ وَالطِّينِ^(١)

وَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ أَقَامَتْ فِيهَا لَا تَهْدَأُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ وَلَمْ تَسْتَظِلَّ تَحْتَ سَقْفٍ حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ قَتْلِهِ كَمَدًّا عَلَيْهِ سَنَةَ ٦٢ هـ.

وما ينفيه البعض من نسبة البيتين المذكورين للإمام الحسين (عليه السلام) في حق زوجته وابنته، لم نرَ له دليلاً واضحاً سوى الاستبعاد، وأنه لا يستساغ ذلك من مقام الإمامة، وهو محجوج بالنقل والشهرة الكثيرة، وبأن إبداء المعصومين محبتهم لزوجاتهم ليس نادراً بل هو كثير، فكم تحدث النبي (ﷺ)، عن زوجته خديجة أم الزهراء (عليها السلام) حتى لقد غارت بعض زوجاته من ذلك، وذكرناها بما لا يناسب وقلن قد أبدلك الله خيراً منها، فكان جوابه:

«ما أبدلني الله (ﷺ) خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله (ﷺ) ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٢) وقال: «إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حَبَهَا»^(٣) وأما ذكره محبة ابنته فاطمة فحدث ولا حرج ولن تبلغ كل ما قال (ﷺ)، فهي «بضعة مني» و«شجنة مني» و«بهجة قلبي» بل و«روحي التي بين جنبي».

وهكذا حال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مع سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام).

(١) الأصفهاني: الأغاني ١٦ / ٣٦٢.

(٢) ابن حنبل؛ أحمد: مسند أحمد ٤١ / ٣٥٦.

(٣) النيشابوري؛ مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٨.

✽ الزوجة الثالثة: لَيْلَى بنت أبي مرّة بن عُرْوَة بن مسعود النُقْفِيَّة:

- اسمها

(لَيْلَى) هذا الاسم معروف في المجتمع العربي بل في غير المجتمع العربي، وعند العرب كان بمناسبة كلمة اللَّيْل، حيثُ إِنَّ اللَّيْل فيه الظَّلام والسَّواد فالمرأة إذا كان شعرها أسود فاحما شبَّوها باللَّيْل، فتسمَّى المرأة صاحبة الشعر المُنْسَدِل الفاحم الأسود (لَيْلَى)، ففي أصل التَّسمية عادة يلاحظون مثل هذه الملاحظات فهذا الاسم نُقِلَ من كونه صفة في اللغة إلى كونه اسمًا لامرأة.

- ولادتها

قيل إِنَّ ولادتها كانت في حوالي سنة عشرين للهجرة، وزواجها بالإمام الحسين (عليه السلام) كان بين سنة اثنين وثلاثين إلى خمس وثلاثين هجرية، وعليه وقع الاختلاف في عمر عليّ الأكبر ومتى أنجبته؟، وكم كان عمره في كربلاء؟، هل كان عمره سبعاً وعشرين سنة؟، أو أربعاً وعشرين؟، أو خمساً وعشرين؟، والاختلاف في عمر عليّ الأكبر يرجع في جهة من جهاته إلى سنة اقتران أمّه بالإمام الحسين (عليه السلام).

- بيئتها الأسريّة (جُدّها - أبوها - أمّها)

أَشْهُرُ مَنْ في بيئتها الأسريّة هو جُدّها (عروة بن مسعود)، وهو من قبيلة ثقيف، وقبيلة ثقيف طائفيّة- أي كانت تسكن الطّائف- وليست قرشيّة مكّيّة.

و(عروة بن مسعود) لعلّه كان الشَّخصيّة الأولى في الطّائف، ويُعدُّ

أحدَ العَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ نادى الكُفَّار وقالوا إِنَّه إذا كان الله قد قرَّر أن يُرسل رسولا فليُرسل رجلاً من القريتين، ويكون هذا الرجل عَظِيماً ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(١)، أحد هذين العَظِيمَيْنِ اللَّذَيْنِ يتحدثون عنهما هو (عروة بن مسعود) جدُّ ليلي، فقد كان شخصيّة كبيرةً وأحد الوجوه في الطائفة، بل يكاد يكون الوجه الأكبر فيها، وكان من جملة المفاوضين عن قريش لرسول الله (ﷺ) ما قبل السَّنة التاسعة للهجرة، وأما في السَّنة التاسعة للهجرة فقد جاء هو وابنه أبو مرّة - والد ليلي - إلى النَّبِيِّ مُحَمَّد (ﷺ) وأسلما، وطلب عروة بن مسعود من رسول الله (ﷺ) أن يُعلِّمه ما ينبغي في الإسلام وعَلَّمَهُ، فكان من جملة ذلك أَنَّهُ أمره بأن ينزل عن ست نساء كانت عنده - لأنَّه كان متزوَّجاً بعشر، فقال له النَّبِيُّ بأن دين الإسلام لا يجوز في تعدد الزَّوجات إلا أربع في وقت واحد ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٢) والباقي لا يجوز، فنزل عن ست من نسائه وأبقى عنده أربعاً.

ثمَّ إنه قال لرسول الله: أنا راجع إلى قومي؛ أدعوهم إلى الإسلام، فقال له النَّبِيُّ: افعل ذلك، فذهب إلى الطائفة وكانت في بيته عليّة - أشبه بشُرْفَةٍ تُشرف على ساحة البلدة - فصعد عليها وأمر باجتماع النَّاس فدعاهم إلى الإسلام وذكر لهم أَنَّهُ قد أصبح مسلماً، ولتوّه قد جاء من عند رسول الله (ﷺ)، فرماه أحد الحاضرين بنبله وقعت في صدره فكانت فيها منيته.

بقي أياماً ثمَّ مضى إلى رضوان الله حتَّى أصبح أحد شهداء الإسلام

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) النِّسَاء: ٣.

بالمعنى الأعمّ للشَّهيد الذي ذكرناه في كتاب أصفياء الله، فهذا الرجل جدّ ليلي كان شهيد التبليغ للإسلام، شهيد الإرشاد.^(١)

يُوصف أيضاً بشبيه عيسى بن مريم، فقد نقل عن رسول الله (ﷺ) في حديث المعراج قوله بأنه انطلق مع جبرئيل «حتّى انتهى بي إلى بيت المقدس فأراني إبراهيم يُشبهه خَلْقَه خَلْقِي وخُلُقِي خُلُقَه، وأراني موسى طويلاً سبط الشَّعر شَبَّهته برجال أزدِ شنوءة، وأراني عيسى بن مريم أبيض يضرب إلى الحمرة شَبَّهته بعروة بن مسعود الثَّقفي»^(٢)، فمن النّاحية الجماليّة والشكليّة يُشابه عروة بن مسعود عيسى بن مريم لو تمّ هذا الحديث.

أمّا أبوها أبو مرّة فقد جاء بعد إسلامه - وكان في وقت مبكر قبل ولادتها بزمان طويل أكثر من إحدى عشرة سنة - وأخذ مكان والده وكان يقوم بما كان يقوم به والده في الأمور الاجتماعيّة.

أمّا أمّها فهي ميمونة بنت أبي سفيان، ولهذا هي تتسب من هذه الجهة إلى الأسرة الأمويّة وهذا يرجعنا إلى ما أشرنا إليه سابقاً بأنّ المرأة الصّالحة قد تكون أحياناً في بيئة أسريّة دون مستواها في الصّلاح، فلا ينبغي أن تؤاخذ بذلك الأمر، بحيث تُترك لأن بيتها وبيئتها ليس ممتازة. هذا مضافاً إلى أنّ المعصومين (عليهم السلام) لو اقتصروا على أن تكون كلّ زيجاتهم خالصة مئة بالمئة لم يكن لهم أن يتزوّجوا لتشابك هذه العوائل والقبائل بحيث قد يصعب أن ترى قبيلة لم تتزواج مع غيرها من القبائل فهذا أمر لا يتيسّر.

ولعلّه لهذه الجهة أراد المعسكر الأمويّ استمالة عليّ الأكبر (عليه السلام)

(١) الطبرسي؛ الفضل بن الحسن: إعلام الوري بأعلام الهدى ٢٤٩/١.

(٢) الطبراني؛ سليمان بن أحمد: المعجم الكبير ٢٤/٤٣٣.

بقضية الرّحم بأنّ بينك وبين الأمير -يعني يزيد - رحمًا، فلا تُتلف نفسك وإن شئت جئناك بأمان.^(١)

وهناك احتمال آخر أن يكون ذلك ناظرًا إلى الرّحم مع عمر بن سعد، حيث إنّ سعد بن أبي وقاص أمّه من بني أميّة أيضا (حَنَّة بنت أبي سفيان) أو (حَنَّة بنت سفيان بن حرب) على ترديد بين المؤرخين، فهي ضمن تلك السّلسلة فجدة عمر بن سعد من تلك الأسرة، وليلى أيضا أمّها (ميمونة بنت أبي سفيان) التي هي جدة عليّ الأكبر من هذه الأسرة، بالتّالي قالوا له: إنّ لك رَحِمًا بالأمير كما زعموا، وأرادوا استمالة الأكبر بهذا المعنى الواضح، مع أن صلة الرّحم في غير ما يرضي الله وفي الانحراف عن الجادة واختيار الطّريق غير المستقيم ليس مطلوبًا من الإنسان المؤمن.

ويظهر من بعض التّواريخ أنّها لم تنجب للإمام الحسين (عليه السلام) وبقي إلا عليّ الأكبر، وكفاها به مفخرة، فَمَنْ تُنْجِبُ أَكْثَرَ النَّاسِ شَبَهًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَنْظَرِ وَفِي الْمَنْطِقِ وَبِالْبَلَاغَةِ وَفِي الْأَخْلَاقِ يَكْفِيهَا أَنْ لَا تُنْجِبَ أَحَدًا غَيْرَهُ.

- حضورها في كربلاء بين النّفي والإثبات

قبل أن نبدأ في الحديث التّاريخي بين رأيي ناف لحضورها، ورأيي مُثَبِّت ينبغي أن نشير إلى ملاحظة مهمّة وهي أنه لا ينبغي أن تكون هذه المسائل التّاريخيّة -بل كل القضية الحسينيّة- سببًا للتمزّق بين المؤمنين وشيعة أهل البيت (عليهم السلام) مهما اختلفت الآراء.

(١) ذكر السيّد المقرّم في كتابه « مقتل الحسين » ص ٢٥٧: «ومن جهة أنّ ليلي أمّ الأكبر بنت ميمونة ابنة أبي سفيان صاح رجل من القوم: يا عليّ إنّ لك رَحِمًا بالأمير المؤمنين يزيد، ونريد أن نرعى الرّحم، فإنّ شئت آمناك، قال (عليه السلام): إنّ قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحقّ أن تُرعى.»

إننا نسجل هنا معارضتنا لما يحصل في بعض الأحيان من نتائج هذه النقاشات التي تنتهي إلى تفرق المؤمنين! فقد يحصل أن نختلف على نمط من الشعائر الخاصة بالموضوع الحسيني من الناحية النظرية والفكرية، وهذا لا مشكلة فيه ولكن أن تتحول إلى فُرقة اجتماعية، ولا سمح الله إلى عداوة بين أتباع الإمام الحسين (عليه السلام)، باعتبار أن هؤلاء يؤمنون بالشعيرة الفلانية، ونحن نخالفهم في ذلك، فهذا لا يصح أبدًا.

وأوضح من ذلك عندما نختلف على قضية تاريخية، وما أكثر القضايا التاريخية التي تحتمل الاختلاف الفكري فيها، بين إثبات ونفي، وميدانها هو التحقيق في ساحات الدليل والبرهان، ورجالها هم الذين يمتلكون أدوات البحث والمعرفة، والنتائج التي تترتب على ذلك لا ينبغي أن تصنع فرزًا اجتماعيًا بأن هؤلاء هم الذين يؤمنون بكذا، وأولئك هم الذين يعارضونه!

ولا سيما إذا كان أحد الطرفين يصعد من مستوى الاختلاف، فيصف الطرف الآخر بأنه من أصحاب الخرافات ومن جماعة الأساطير، وهذا لا يصح أبدًا. فإن الموضوع التاريخي ككثير من المواضيع ينبغي مناقشته من خلال الأدلة والبراهين والحوارات العلمية، فإن أقنع أحد الطرفين الآخر بما توصل إليه، فهو! وإلا فكما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

فيعمل كل شخص لو كان في الأمر جانب عمليٍّ على ما وصل إليه، اجتهادًا أو تقليدًا!

إن القضايا التاريخية في أكثرها ليست بأهم من المسائل الفقهية، خصوصًا لجهة ارتباطها بالمكلف ومسؤوليته تجاه العمل بها، ومع

ذلك كان الأمر واسعاً فيها! فهل رأيت أحداً مثلاً يشنع على الفئة الفلانية بأنهم يؤمنون بأن كثير السفر يتم في كل أسفاره ولا يقصر؟ أو بأنهم يؤمنون بأن وجوب صلاة الجمعة تخيري مع الظهر أو أنه تعيني ليس إلّا؟ أو أنه لا يجوز التظليل أثناء السير للمحرم ليلاً ولا نهاراً؟ (ضمن المذهب الإمامي).

بعد هذا نقول إن من القضايا التي تم الاختلاف فيها هي: حضور زوجة الإمام ليلي أم عليّ الأكبر في كربلاء.

وستوقف عندها لبحثها بشكل مختصر بما يتناسب مع وضع هذا الكتاب:

هناك رأيان بين المؤرخين:

الرأي الأول: ينفي حضورها:

- المحدث النوري: (١)

إنَّ أوَّل مَنْ صرَّحَ بضرر قاطع أنَّها لم تكن موجودة في كربلاء وأنَّ ما يتناقله الخطباء غير صحيح هو المرحوم الميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة (١٣٢٠هـ) - أي قبل ١٢٠ سنة تقريباً - حيث قال في كتابه (لؤلؤ ومرجان): «ما يتناوله الخطباء بأنَّ الإمام حينما توجَّه عليّ الأكبر إلى ساحة القتال توجَّه هو إلى أمّه ليلي وقال: قومي واذهبي إلى خلاء وادعي لولدك فإنّي سمعتُ من جدّي أنّه قال: دعاء

(١) الميرزا حسين النوري الطبرسي ت ١٣٢٠ هـ، من تلامذة الميرزا محمد حسن الشيرازي الكبير، محدث واسع التبّع، من أشهر كتبه مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل (روايات)، وكتاب خاتمة المستدرک (رجال)، ومن تلامذته الشيخ آقا بزرك الطهراني والمحدث الشيخ عباس القمي، وآخرون. وله كتب أخرى متعددة؛ نفس الرحمن في فضائل سلمان، وكتاب لؤلؤ ومرجان في آداب المنبر.

الأم في حق ولدها يُستجاب - إلى آخره- كذب^(١).

- المحدث القمي:

أتى بعده تلميذه المحدث الشيخ عباس القمي المتوفى سنة (١٣٥٩هـ) فقال في كتابه (منتهى الآمال): «ويبقى هنا سؤال وهو هل كانت أمه حاضرة في كربلاء أو لا؟، الظاهر عدم حضورها هناك، ولم أجد في الكتب المعتمدة شيئاً، وأمّا ما اشتهر من أنّ الحسين (عليه السلام) جاء إلى أم عليّ الأكبر بعد ذهابه إلى الميدان وقال لها: قومي وادعي لولدك فإنّي سمعتُ جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنّ دعاء الأمّ مستجابٌ في حقّ ولدها؛ فإنّه كذبٌ محض من أوله إلى آخره كما قاله شيخنا»^(٢)، وأراد بـ(شيخنا) الميرزا حسين النوري صاحب المستدرک..

- السيّد المقرّم:

لكن السيّد عبد الرزاق المقرّم المتوفى سنة (١٣٩١هـ) عندما يناقش هذه القضية لا يجزم بحضورها حيث قال في كتابه (عليّ الأكبر): «ولم يظهر لنا سنة وفاتها ولا مقدار عمرها ولا حضورها في مشهد الطّف.. ولعلّها كانت متوفاة قبل الطّف»،^(٣) فيحتمل السيّد المقرّم أن تكون توفيت قبل واقعة الطّف، لماذا؟ لأنّه لو كانت على قيد الحياة ليس معقولاً أن تبقى خارج كربلاء وزوجها وابنها ذاهبان إليها، فزوجها خارج من المدينة إلى مكّة ومنها إلى كربلاء، لا معنى أن تبقى في المدينة وحدها، فمن الطّبعي أن يأخذ الحسين زوجاته فتكون هي معه (عليه السلام).

(١) النوري؛ الميرزا حسين: لؤلؤ ومرجان، ص ٩٠.

(٢) القمي؛ عباس: منتهى الآمال ١ ص ٢٩٤.

(٣) المقرّم؛ السيّد عبد الرزاق: عليّ الأكبر ص ١٦.

- الشهيد مطهري:

أمّا المرحوم الشيخ مرتضى مطهري المتوفى شهيداً سنة (١٤٠٠هـ) في محاضراته التي ألقاها في الجامعة بمناسبة أيام عاشوراء حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء السيرة الحسينية وخروج الإمام الحسين (عليه السلام) فتكلّم في بداية المحاضرات أنّ واقعة كربلاء تعرّضت إلى تحريفات متعدّدة وذكر من التحريفات إثبات وجود ليلى في كربلاء، حيث جاء في كتاب (الملحمة الحسينية) ما نصّه: «هناك نموذج آخر للتحريف في وقائع عاشوراء وهو القصة التي أصبحت معروفة جداً في القراءات الحسينية والمآتم وهي قصة ليلى أمّ علي الأكبر، هذه القصة لا يوجد في الحقيقة دليل تاريخي واحد يؤكّد وقوعها، نعم فأمّ علي الأكبر موجودة في التاريخ واسمها ليلى بالفعل، ولكن ليس هناك مؤرّخ واحد يشير إلى حضورها لمعركة كربلاء، مع ذلك فما أكثر المآتم التي تقرأ لنا قصة احتضان ليلى لابنها علي الأكبر في ساحة الوغى!، والمشهد العاطفي الخيالي المحض!، حتّى إنني حضرتُ شخصياً في قم مجلساً حسينياً أقيم باسم آية الله البروجردي، دون أن يكون هو حاضراً بالطبع، وقد سمعت في هذا المجلس أنّ عليّاً الأكبر نزل إلى ساحة الوغى وإذا بالحسين يتوجّه إلى أمّه ليلى ويطلب منها الدّخول إلى إحدى الخيم ونشر شعرها والتوجّه إلى ربّها بالدّعاء ليرجع ابنها سالماً إليها!، فإنّي سمعتُ جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول بأنّ دعاء الأم بحق ابنها مستجاب!، فهل هناك تحريف أكثر من هذا، أولاً ليست هناك ليلى في كربلاء حتى يُحدّثها الإمام، وثانياً هل هذا هو منطق الحسين في المعركة؟ أبداً فمنطق الحسين يوم عاشوراء كان منطق التّضحية والجهاد، ثم إنّ كلّ المؤرّخين متفقون على أنّ الحسين كان يجد الأعذار لكلّ من يطلب التوجّه إلى

المبارزة ما عدا ابنه عليّ الأكبر فإنّه لمّا استأذنه بالقتال أذن له كما تذكر كلّ الروايات: (فاستأذن في القتال أباه فأذن له)، ولكن رغم ذلك ما أكثر الأشعار التي نظموها بحقّ ليلي وابنها في خيم كربلاء!!^(١).

- الشَّيْخ التَّسْتَرِي:

أمّا المرحوم الشيخ محمّد تقي التستري المتوفّى سنة (١٤١٥هـ) فقد أشار إلى عدم ذكر أصحاب السير المعتبرة لحياتها يوم كربلاء. حيث قال في كتابه قاموس الرجال: «ولم يذكر أحدٌ من أصحاب السّير المعتبرة حياة أمّه يوم الطف فضلاً عن شهودها».^(٢)

هذا جملة ما ذكره، ونلاحظ أنّ أوّل نفي لحضور ليلي في كربلاء بدأ حوالي سنة (١٣٢٠هـ) من زمان المرحوم الميرزا النّوري وقبله لم يُعثر على مَنْ ينفي، وفيما بعد ذلك الغالب هم إنّما صدى لكلامه أو اعتماد عليه أو ما شابه.

الرأي الثاني: يُثبت حضورها:

- الشَّيْخ الإسْفَرَايِينِي:^(٣)

إنّ أقدم مصدر ذكر حضورها في كربلاء هو الشَّيْخ الاسفراييني

(١) المطهري؛ مرتضى: الملحمة الحسينيّة ١/١٨.

(٢) التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال ٧/٤٢٢.

(٣) البغدادي؛ إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٨/١، ترجمه فقال: الأسفرائني؛ ركن الدين ابو اسحق إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن مهران البغدادي الشافعي يعرف بالأسفرائني توفي سنة ٤١٨ ثمان عشرة وأربعمئة. صنف أدب الجدل. الجامع الحلي والحنفي في أصول الدين والرد على الملحدين. العقيدة. شرح فروع ابن الحداد. معالم الإسلام. نور العين في مشهد الحسين.

المتوفى سنة (٤١٨ هـ) في كتابه (نور العين في مشهد الحسين) حيث قال في معرض ذكر عليّ الأكبر (عليه السلام): «قال: -يعني الحسين (عليه السلام)- يا بني عزّ عليّ فراقك، وحمله عند القتلى، وصارت أمّه سهرانة ولهانة، وهي تنظر إليه وتبكي، وزينب (عليها السلام) تنادي: واحبياه وا ابن أخاه، ثمّ أخذهما الحسين (عليه السلام) وردّهما إلى الخيمة»^(١)، هذا النّقل يشير إلى أنّ ليلي كانت على قيد الحياة وأنّها كانت في كربلاء، وأنّها رأت مصرع ولدها وكانت ولهانة متحيّرة باكية وهي تنظر إليه، وهذا المصدر يفصلنا عنه أكثر من (١٠٣٠) سنة، وهذا القدم التاريخي له أهمية كما سيأتي.

- أبو الفرج الأصفهاني:

وقد رأيت في أحد كتب أبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة (٣٥٦ هـ) وللأسف فإنه لا يحضرني الآن، حيث ينقل عن راو أنّه بعدما فرغ من الحج ذهب إلى زيارة سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة وكان ذلك سنة (٦٣ هـ) فمرّ الرّأوي على بيت فيه بكاء ونياحة فسأل بيت من هذا؟، فقالوا هو بيت ليلي أمّ علي الأكبر زوجة الحسين فإنّها لم تزل تبكي على ابنها علي الأكبر ليلاً ونهاراً، فإذا تمّ فهو يثبت أنّها كانت موجودة على قيد الحياة في ذلك الوقت إلى سنة (٦٣ هـ)، ومن الطّبعي إذا كانت في سنة (٦٣ هـ) موجودة، فلا بدّ أن تكون قد رافقت الحسين (عليه السلام) في سنة (٦٠ هـ) إذ لا يُعقل أن يتركها ولا يُعقل أن تتركه وتبقى في المدينة.

- ابن شهر آشوب:

ثمّ جاء ابن شهر آشوب المازندراني المتوفى سنة (٥٨٨ هـ) حيث نقل في كتابه «مناقب آل أبي طالب» في معرض حديثه عن بروز عليّ

(١) الإسفراييني؛ أبو إسحاق: نور العين في مشهد الحسين (ع) ص ٤٤.

الأكبر: «قطعنه مرّة بن منقذ العبدیّ علی ظهره غدراً فضرّبه بالسّیوف فقال الحسین (عليه السلام): [علی الدّنيا بعدك العفا] وضمّنه علی صدره، وأتى به إلى باب الفسطاط، فصارت أمّه شهربانویه ولهى تنظر إليه ولا تتكلّم»^(١)، فهو یثبت حضورها في كربلاء وإن كان قد اشتبه في تسميتها بـ(شهربانویه) لأنّ هذا هو اسم أمّ الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وقد ثبت تاريخياً أنّها توفيت وهي نفساء بالإمام زين العابدين (عليه السلام).

- السيد جعفر مرتضى العاملي:

ومن المعاصرين الذين دافعوا عن حضور ليلي في كربلاء المحقّق السيّد جعفر مرتضى العاملي المتوفى سنة (١٤٤١هـ) فهو يتحدّث عن أنّه مع كلّ موسم محرّم يكون هناك لغطّ وكلام وتشكيك وما شابه ذلك، وأورد على ذلك مثالا وهو قضية حضور ليلي في كربلاء، وأشار إلى الشّيخ مطهري وأثنى عليه كثيرا، واحتمل أنّ هذه المحاضرات والكلمات ليست كلّها للشّهد مطهري ولو كانت له فنحن وهو أمامنا الأدلّة حيث قال في كتابه «كربلاء فوق الشّبهات»

أوّلاً: ليلي حضرت في كربلاء؛ سيأتي في الفصل الأخير من هذا الكتاب، أنّ حضور أمّ علي الأكبر في كربلاء مذكور في الكتب المعتمدة، وأنّ هناك من أشار بل صرّح بهذا الحضور.

ثانياً: لا بدّ من شمولية الاطلاع؛ إنّ من الواضح: أنّ من يريد نفي وجود شيء ما، لا بدّ له أن يقرأ جميع كتب التّاريخ، بل كلّ كتاب يمكن أن يشير إلى الأمر الذي هو محطّ النّظر.

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٥٧.

ولا نظنّ أنّ العلامة المطهّري المنسوب إليه هذا الكلام - ولا غير المطهّري أيضاً - قد قرأ جميع كتب التّاريخ، فإنّ ذلك متعسّر بل هو متعذّر بلا شكّ على كلّ أحد.

ثالثاً: الأمر لا يختصّ بكتب التّاريخ: كما أنّ ذكر حضور ليلى في كربلاء لا يختصّ بكتب التّاريخ، فقد تُشير إلى ذلك أيضاً كتب الأنساب والجغرافيا والحديث والتّراجم وكتب الأدب، وما إلى ذلك.

والكثير من كتب التّراث لا يزال يروح تحت وطأة الغبار، ويئنّ في زنانات الإهمال، ويُعاني حتّى من الجهل بأماكن وجوده، بل إنّنا لا نزال نجهل حتّى ما في طيّات فهارس خزانات الكتب الخاصّة والعامة - فضلاً عن أن نكون قد اطلعنا على محتويات تلك المكتبات - من مؤلّفات في مختلف العلوم والمعارف، فهل يمكن والحالة هذه أن يدّعي أحد ممّا أنّه قد رصد حركة ليلى في حياتها وتنقلاتها؟!، وهل يصحّ أيضاً من هذا الشّهد السّعيد إن كان قد قال ذلك حقّاً أن يحصر هذا الأمر بالمؤرّخين دون سواهم؟!.

وهل قرأ رحمه الله كلّ هذا الكمّ الهائل من هذه الأنواع المختلفة من كتب التّراث، المخطوط منها والمطبوع، حتّى جاز له أن يصدر هذا الحكم القاطع بنفي حصول هذا الأمر من الأساس؟»^(١)

- الشيخ الكرباسي:

ومن المعاصرين ممّن بحث هذه المسألة بحثاً جيّداً المحقّق الشّيخ

(١) العاملي؛ جعفر مرتضى: كربلاء فوق الشبهات ص ٦٨.

الكرباسي في كتابه (معجم أنصار الحسين)^(١) حيث ناقش قضية حضور ليلي في كربلاء واستعرض رأي المشتين ورأي النافين وانتهى إلى أنه لا محذور في حضورها كربلاء خصوصاً أن بعض المؤرخين أثبت ذلك.

٦ / مركز الرصد العقائدي:

وحين تصحيح هذه الصفحات رأيت جواباً على نفس السؤال، حررته اللجنة العلمية في مركز الرصد العقائدي، ينتهي إلى الموافقة على حضورها، هذا نصه:

ولو قيل: لم يذكر أحدٌ حياتها يومَ الطفِّ، فلو كانت على قيد الحياة لذكرها. نقول: أولاً: كيف علمتم أنه لم يذكر أحدٌ حياتها يومَ الطفِّ؟ هل أحطتم بجميع الكتب المفقودة والمخطوطة والمطبوعة حتى تجزموا بعدم ذكرها؟ إذ غاية الأمر أن تقولوا: لم نعر على من ذكر حياتها يومَ الطفِّ، وهذا لا يلزمه أنها لم تكن على قيد الحياة آنذاك كما هو واضح. وثانياً: يظهر من بعض الروايات أنها كانت حيةً ذلك الوقت، فقد روى ابن قولويه القمي في «كامل الزيارات ص ٩٥» بإسناده عن علي بن الحزور، قال: «سمعتُ ليلي وهي تقول: سمعتُ نوح الجن على الحسين بن علي (عليه السلام) وهي تقول: يا عينُ جودي بالدموع.. إلخ»، وذلك يدل على بقائها على قيد الحياة إلى ما بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وستأتي بعض الشواهد الأخرى.

إن ما ورد في كلام السيّد المُرّم: «مع أن المؤرخين أجمع أهملوا ذكرها» فيه نظرٌ واضح؛ إذ من أين يمكن دعوى إجماع المؤرخين على

(١) الكرباسي؛ محمد صادق: معجم أنصار الحسين «النساء» .

إهمال ذكرها في كربلاء؟ هل اطلع على جميع كتب التاريخ مع أن كتب التاريخ ما بين مفقود ومخطوط ومطبوع، فهل اطلع على جميع كتب التاريخ المطبوعة فضلاً عن المخطوطة فضلاً عن المفقودة حتى يدعى بالإجماع؟!^(١)

✽ خلاصة الكلام

بناءً على ما تقدم نجد أن من ينفي حضورها إنما ينفيه لعدم وقوفه على مصدر معتبر يثبت، ولكنه لا دليل لديه على عدم الحضور، وإنما يستطيع أن ينفي الحضور لو أثبت أنه توفيت قبل ذلك.

أما من يثبت حضورها فهو يثبت استناداً على بعض المصادر التاريخية التي تثبت أنها بقيت إلى سنة (٦٣هـ)، وهذه المصادر يعتمد على مثلها في القضايا التاريخية، نعم لو كانت القضية من القضايا الفقهيّة ربّما نحتاج إلى أدلة أكبر من هذا، لكن المنهج التاريخي ليس كالمنهج الفقهي هذا له منهج وذاك له منهج آخر.

وكذلك فيما لو اعتمد على ما نقله الاسفرايني أو ابن شهر آشوب.

وعلى كل حال ينبغي أن لا يكون اختلاف الآراء في مثل هذه القضية التاريخية منشأً لخلاف اجتماعي، أو احتكاك لفظي بأن يوصف من يذكر مصيبة ليلى وحضورها بأنه يذكر الخرافات والأساطير إذا كان يعتمد على قول من لديه دليل بحضورها. وهكذا لا ينبغي أن يوصف من لم يذكر ذلك مثلاً في أيام العزاء الحسيني بأنه قد «قصم» ظهر المصيبة ولم يأت بها كاملة لأنه لم يذكر ما هو المؤلف.

بنات الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء



تحدّث عن اثنتين من بنات الإمام الحسين اللّاتي كنّ في كربلاء، وكان لهما دورٌ مهمٌّ في جهة التصدي للدعايات الأمويّة وتعرضن للأسر والتسير من كربلاء إلى الكوفة ثم للشّام وهكذا حتى عُدن إلى المدينة. ونعقب ذلك بالحديث عن السيدة رقية.

✽ الأولى: فاطمة بنت الحسين:

١/ جاء الحسن بن الحسن (المعروف بالمشي) لعمه الإمام الحسين (عليه السلام) يخطب منه إحدى ابنتيه، وبما أنّ الإمام حينئذ مستشار والمستشار مؤتمن، فيمكن لمن يستشار أن يذكر عيوب من يستشار بشأنه في مسألة الزواج، إن كان له عيوب! وهذا ما ذكره الفقهاء من مستثنيات الغيبة- إذ أن الغيبة وهي ذكر الشّخص حال غيابه بصفاته غير الحسنة، محرّمة. حتى لو كانت تلك الصفات غير الحسنة حقيقة فيه.

بخلاف ما إذا كانت غير موجودة لديه فإن ذلك يعتبر افتراء عليه.

نعم ليس المستشار مجبورا على ذكر تلك الصفات، فيستطيع أن يتنصل من الجواب وأن يستعفي السائل من ذكر تلك الخصال! لكنه

لو ذكرها وكانت سيئة وهي موجودة فيه فلم يرتكب حراماً.

وعلى كل حال فقد ذكروا أن الحسن المثنى، قد خطب إحدى البنين فاختار له الإمام (عليه السلام) ابنته فاطمة ورجحها له. وهنا لم يذكر الإمام الحسين شيئاً سيئاً وإنما رجّح للحسن المثنى ابنته فاطمة لجهتين: جهة أخروية عبادية إيمانية فهي في العبادة كأُمّها فاطمة الزهراء، والأخرى جهة دنيوية فهي جميلة تشبه الحور العين وهذا مما يسرّ الزوج.^(١)

٢/ وقد مر ذكر أمّها أمّ إسحاق بنت طلحة التيميّة، في صفحات سابقة، ويُفترض أن يكون عمر فاطمة بنت الحسين - التي هي بنت أمّ إسحاق - في كربلاء لا يزيد عن عشر سنوات؛ لأنّ زواج الإمام الحسين من أمّ إسحاق بعد شهادة الإمام الحسن كما تقدّم الكلام عن ذلك عند الحديث عنها، فالإمام الحسن استشهد في صفر سنة (٥٠) للهجرة، فكان لابدّ لهذه المرأة أن تقضي عدّة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام، لتكون مؤهلة للزواج، وقد أوصى الإمام الحسن أخاه الحسين بها بالألا تخرج من بيوت بني هاشم. فإذا كانت شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) سنة (٥٠) للهجرة، ويضاف على ذلك أربعة أشهر وعشرة أيام هي عدة الوفاة التي لا بد منها للمرأة، فيكون أقرب فرصة لزواج الإمام الحسين من أمّ إسحاق، هو في شهر رجب من سنة ٥٠ هـ.

وليس عندنا تاريخ دقيق لولادتها، لكنها لو ولدت في السنة التالية

(١) حيث نُقل «أنّ الحسن بن الحسن بن علي خطب من عمّه الحسين (عليه السلام) إحدى بنتيه فاطمة أو سكينه، وقال: اختر لي إحداهما؟، فقال الحسين (عليه السلام): قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمّي فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) أمّا في الدين فتقوم الليل كلّهُ وتصوم النهار، وأمّا في الجمال فتشبه الحور العين، وأمّا سكينه فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل»، يُنظر: الكنى والألقاب، للشيخ القمي، ج ٢ ص ٤٦٥.

للزواج فسيكون تاريخ ولادتها نهاية جمادى الأولى سنة ٥١ هـ. ويكون بناء على هذا عمرها في كربلاء تسع سنوات إلا أشهر، ويؤيد هذا ما قيل بأن زفافها للحسن المثنى كان بعد رجوع ركب السبايا للمدينة بشهرين.

٣/ ومن المعلوم أنها حضرت كربلاء مع أمها أم إسحاق، ووالدها الحسين (عليه السلام)، وتعرضت كما تعرض باقي النساء للأذى والسلب والسبي، وقد روي عنها كيف سُلبت، فقد نقل الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي، بسنده عن ابنها عبد الله بن الحسن المثنى عنها جانباً من السلب؛ قالت: دخلت الغابة^(١) علينا الفسطاط، وأنا جارية صغيرة، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجلا يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك، يا عدو الله؟! فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله! فقلت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجيئ غيري فيأخذه. قالت: وانهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا.^(٢)

٤/ وُصفت فاطمة بنت الحسين بالوصف المتقدم في عبادتها وجمالها، وبعد هذا كانت من البلاغة على حد كبير يشهد لذلك خطبتها في الكوفة، مع أنها كما يفترض صغيرة السن، وفاقدة الأب والإخوة والأقارب، وسبية بيد الأعداء، وغريبة في هذا البلد، وتخطب في وسط الرجال، وقد أشرنا عند حديثنا عن السيدة زينب الكبرى أن هذه مما تؤثر سلباً في الخطاب، إلا أننا نجد قوة خطابها في معانيه، وبلاغة ألفاظه، وقوة تحريكه، فقد نقل المؤرخون أنها عندما وصلت إلى الكوفة واجتمع الناس للتفرج على السبايا قالت:

(١) الهمج من الناس.

(٢) الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين: الأمالي ص ٢٢٩.

«الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً (ﷺ) عبده ورسوله، وأن ذريته ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات.

اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة ألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقية، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه اللهم فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته يا رب بالإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، لم يزل ناصحاً لك ولرسولك (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قبضته إليك، زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنيه محمد (ﷺ) على كثير ممن خلق تفضيلاً بيّناً.

فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك وكابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل

البيت لحقد متقدم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراءً على الله ومكرًا مكرتم، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائن، ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزء العظيم ﴿فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا * إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، ^(١) تبًا لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم، وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم، ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ^(٢)

ويلكم، أتدرون أي أيد طاعتنا منكم؟ وأي نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟ قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، ختم على سمعكم وبصركم، وسوّى لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبًا لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله صلى الله عليه واله قبلكم، وذحول له لديكم بما عنتم بأخيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) جدي وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار.

وافتخر بذلك مفتخركم، فقال:

نحن قتلنا عليًا وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسيينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأى نطاح

(١) الحديد: ٢٢-٢٣.

(٢) هود: ١٨.

بفيك أيها القائل الأثلب والكثكث،^(١) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقع كما ألقى أبوك، وإنما لكل امرئ ما اكتسب وما قدمت أوائله، حسدتمونا - ويلاً لكم - على ما فضلنا الله به.^(٢)

فما ذنبنا إن جاش دهرأ بحورنا وبحرك ساج ما يواري الدعامصا^(٣)

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ * وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾،^(٤)

﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾.^(٥)

٥/ كانت نتيجة زواجها بابن عمها الحسن المثنى خمسة أولاد؛ ثلاثة من الذكور: عبد الله (وهو المعروف بالمحضر) والحسن (المعروف بالمثلث) وإبراهيم، واثنان من الإناث: زينب وأم كلثوم. واستمر زواجهما إلى حين شهادة الحسن المثنى في سنة ٩٧ هـ. وقد ذكرنا شيئاً من سيرة الحسن المثنى وعلاقته مع الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في كتابنا: سيد العابدين. وتوفيت هي على المشهور في سنة ١١٧ هـ وقيل سنة ١١٠ هـ..

ثم إنهم قد نقلوا قصة عبد الرحمن بن الضحاك الفهري معها لإجبارها على قبول الزواج منه، وقصة زواجها بعبد الله بن عمرو بن عثمان.. ولنا مع كل منهما وقفة.

(١) التراب وفتات الحجارة.

(٢) الطَّبْرَسِيّ: الإِحْتِجَاج ٢/ ٢٧، والمجلسي: بحار الأنوار ٤٥/ ١١٠.

(٣) الدعصوص: دويبة صغيرة يغطيها الماء.

(٤) الجمعة: ٤.

(٥) النور: ٤٠.

أما قصة عبد الرحمن بن الضحّاك فإن ابن سعد قد نقلها في كتابه الطبقات بهذا النحو:

«أخبرنا محمد بن عمر، حدّثني عبد الله بن محمد بن أبي يحيى قال: استعمل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري على المدينة فخطب فاطمة بنت حسين فقالت: والله ما أريد النكاح ولقد قعدت على بني هؤلاء. وجعلت تحاجره وتكره أن تباديه لما تخاف منه. قال وألحّ عليها فقال: والله لئن لم تفعلني لأجلدنّ أكبر ولدك في الخمر، يعني عبد الله بن حسن. قال فيينا هي كذلك وكان على ديوان المدينة ابن هُرْمَز، قال: فكتب إليه يزيد بن عبد الملك أن يرتفع إليه للمحاسبة، فدخل على فاطمة يودّعها فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحّاك وما يعترض به مني. قال وبعث رسولاً بكتاب إلى يزيد يذكر قرابتها ورحمها وما ينال ابن الضحّاك منها وما يتوعّدها به، فقدم ابن هُرْمَز فأخبر يزيد وقرأ كتابها فنزل من أعلى فراشه فجعل يضرب بخيزرانة في يده وهو يقول: لقد اجتراً ابن الضحّاك، مَنْ رجلٌ يُسمّني صوته في العذاب وأنا على فراشي؟ قال: ثمّ دعا بقرطاس فكتب إلى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْرِي، وهو يومئذ بالطائف: قد وليتكَ المدينة فأغرم ابن الضحّاك أربعين ألف دينار وعذّبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي. وبلغ ابن الضحّاك الخبر فهرب إلى الشام فلجأ إلى مسلمة بن عبد الملك فاستوّه به من يزيد فلم يفعل وقال: قد صنع ما صنع وأدعه! فردّه إلى النصري إلى المدينة فأغرمه أربعين ألف دينار وعذّبه وطاف به في جُبّة من صوف»^(١).

ونسجل على هذه القصة الملاحظات التالية:

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير ٤٣٩/١٠.

أولاً: أن أول من ذكرها فيما عثرنا عليه هو ابن سعد البغدادي (ت ٢٣٠هـ) في كتابه الطبقات ناقلاً إياها عن أستاذه الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، ولم نعر عليها في الكتب المتوفرة عندنا للواقدي علماً بأن بعض الرجاليين يشككون^(١) في نسبة هذه الكتب له، والاتجاه العام في مدرسة الخلفاء على تضعيف الواقدي ويفترض أن الواقدي قد نقلها عن عبد الله بن محمد بن أبي يحيى (ت ١٧٢هـ)، وهو ثقة عندهم.

وبناء على هذا فإن الفاصلة بين الحادثة والتي يفترض أنها وقعت في سنة ١٠٤ هـ، وبين وفاة أول راوٍ وهو عبد الله بن أبي يحيى حوالي سبعين سنة، علماً بأنه قد توفي وعمره ٥٧ سنة. فلا يمكن أن يكون شاهداً على الحادثة بنفسه! ولا نعلم ممن رواها؟

ثانياً: لا بد أن نسجل ملاحظة وهي إظهار بعض المؤرخين^(٢) حكام بني أمية بمظهر المتفضل على أهل البيت والغيور على حرمانهم (عليهم السلام)، وأنهم لأجل ذلك مستعدون لعزل الولاة الذين يسيئون لأهل البيت ونسائهم ومعاينة أولئك الولاة.. وضمن هذا الإطار وجدنا هؤلاء المؤرخين فيما بعد يصنفون القصة على أنها: سبب عزل يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك! مع أنه لم يذكر في أصل الحادثة المنقولة عن ابن سعد هذا الجانب. هذا بالإضافة إلى أنه مما لا يتفق مع سيرة هؤلاء الحكام، بل وجدنا خلاف ذلك.

(١) النجاشي: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي) ص ١٥: «روى بعض أصحابنا عن بعض المخالفين إن كتب الواقدي سائرهما إنما هي كتب إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، نقلها الواقدي وادعاهما».

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ١٢/٧: كما نجد ذلك في الطبري حيث عنون الخبر بعنوان «ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك»

ثالثاً: إنهم يقولون أن فاطمة بنت الحسين قد تزوجها «عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، زوجها إياه ابنها عبد الله بن حسن»^(١)، وسيأتي ذكر الرواية العجيبة التي تبين (تهالك) فاطمة بنت الحسين على هذا الأموي وكما هي العادة وتبين فضل بني أمية على بني هاشم وأهل البيت، وكرمهم عليهم وتفضلهم عليهم!!

ونسأل إذا كانت قد تزوجت عبد الله بن عمرو بن عثمان فهي إذن ذات زوج فكيف يخاطبها عبد الرحمن بن الضحاك في الزواج ويصر عليها ويهددها بأنها إن لم تقبل به سيتهم أبناءها في الخمر؟ أو أنهم كذبوا الكذبة ونسوها؟

وسيأتي ملاحظتنا على رواية زواجها بعبد الله بن عمرو بن عثمان بعد قليل!

ورابعاً: إننا لو صحت الرواية لا نستبعد قيام والي الأمويين بمحاولة إجبار هذه المؤمنة على الزواج منه، وتحت تهديد أن يجلد ابنها الأكبر عبد الله (وهو أشرف من والي وآبائه) بأن يفترى عليه شرب الخمر ويحده أمام الناس بهذه الفرية فهذه هي السياسة المتبعة لدى بني أمية في حكمهم! بدءاً من شتم ولعن أمير المؤمنين (عليه السلام) وإلى قتل أبنائه وأحفاده بالسم والمطاردة، وهتك شخصياتهم بهذه الصورة وغيرها!^(٢)

(١) ابن حنبل: أحمد: مسند أحمد ٤١٥/١ .

(٢) من ذلك على وجه الخصوص ما ذكره في «الوافي بالوفيات» (١١/٣١٩): من أن الحسن بن الحسن «ضرب أيام عبد الملك بالمدينة في ولاية هشام بن إسما عيل لأن عبد الملك طلب من هشام أن يُقيم آل علي فيشتموا عليا ويُقيم آل الزبير فيشتموا الزبير فأبوا ذلك وكتبوا وصاياهم فأشير على هشام أن يأمر آل علي فيشتموا آل الزبير وآل الزبير ليشتمو آل علي فأقيم الحسن بن الحسن فلم يفعل فضرِبَ حتَّى سألَ دمه».

وأما قصة زواجها بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان (الخليفة)، فهي قصة طويلة اعتمد عليها ظاهراً كل من ذكر أنه تزوجها، فما من كتاب تجد فيه ترجمة لها إلا وذكر أنه خَلَفَ عليها عبد الله هذا^(١) بعد وفاة زوجها الحسن بن الحسن (الحسن المثنى). ونذكر في البداية مختصر القصة كما ذكرت، ثم نشير إلى الملاحظات عليها.

ويظهر أن أول من ذكرها هو مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) في كتابه «نسب قريش» قال:

«لما حضرت الحسن (المثنى) الوفاة، قال لفاطمة: «إنك امرأة مرغوب فيك! فكأنني بعبد الله بن عمرو بن عثمان، إذا خرج بجنازتي، قد جاء على فرس، مرجلاً جمته، لابساً حلته، يسير في جانب الناس يتعرض لك، فانكحي من شئت سواه! فإنني لا أدع من الدنيا ورائي همّاً غيرك! قالت له: أنت آمن من ذلك. وأثلجته بالإيمان من العتق والصدقة: لا تزوجه. ومات الحسن بن الحسن، وخرج بجنازته؛ فوافاه عبد الله بن عمرو في الحال التي وصف الحسن؛ وكان يقال لعبد الله «المطرف» من حسنه؛ فنظر إلى فاطمة حاسرة، تضرب وجهها. فأرسل

(١) الزبيري؛ مصعب: نسب قريش ص ٥٩، ومسند أحمد ١/ ٤١٥، والمعارف ١/ ٢١٣؛ واللطيف أن البلاذري جمع بين الأمرين فهو قد زوجها بعبد الله، وفي نفس الوقت ذكر طلب عبد الرحمن بن الضحاك الزواج منها! كما في أنساب الأشراف ٢/ ٤١٩ قال: «ثم خَلَفَ عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وعبد الله هو المطرف، فولدت له محمداً - فلما رأت أنه غير مقلع عنها بعثت إلى يزيد بن عبد الملك..»

وأما ابن عساكر فقد زوجها إياه وأولدها، ثم زوجها لغيره!! كما في تاريخ دمشق ٧٠/ ١٥. «ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له الدياج محمد بن عبد الله ثم خلف عليها ابن أبي عتيق البكري فولدت له أمينة أم إسحاق بن طلحة». .

لها: إن لنا في وجهك حاجة، فارقني به! فاسترخت يداها، وعرف ذلك فيها وخمرت وجهها. فلما حلت، أرسل إليها يخطبها؛ فقالت: كيف يميني التي حلفت بها؟ فأرسل إليها: «لك مكان كل مملوك مملوكان، ومكان كل شيء شيآن» فعوضها من يمينها؛ فنكحته. وولدت له محمداً الدياج؛ والقاسم، لا عقب له؛ ورقية، بني عبد الله بن عمرو»^(١).

ولنا أن نذكر الملاحظات التالية:

الأولى: ما ذكره السيد محسن الأمين في كتابه الأعيان، قال: «وهذا الخبر لا نراه الا مكذوباً والله أعلم ما أراد به واضعه أولاً أن فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) في عقلها وكمالها وشرف نسبها ودينها حتى كانت تقوم الليل وتصوم النهار وتشتغل بالتسييح بخيط معقود فيها لم تكن لتفعل مثل هذا الأمر المشين. ثانياً أن ابن سعد لم يذكره ولم يشر إليه ثالثاً انه معارض بما مر رواية المفيد انها أقامت على قبر زوجها في قبة سنة كاملة تقوم الليل وتصوم النهار وهو مناقض لهذا الخبر رابعاً انه معارض بما رواه أبو الفرج في الأغاني حيث قال بعد ذكر الخبر الأول وقد قيل في تزويجه إياها غير هذا، ثم روى بسنده ان فاطمة فحلفت عليها أمها لتتزوجنه، وقامت في الشمس وآلت لا تبرح حتى تتزوجه فكرهت فاطمة ان تخرج فتزوجته...»^(٢).

الثانية: وهي تفضح الكذب في هذا الخبر فضيحة صلعاء، وذلك أن المؤرخين اتفقوا على أن وفاة الحسن بن الحسن (المثنى) زوج

(١) الزبيري: نسب قريش ص ٥٢.

(٢) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة ٨ / ٣٨٨.

فاطمة بنت الحسين كانت في سنة ٩٧ هـ^(١). بينما كانت وفاة عبد الله بن عمرو بن عثمان في سنة ٩٦ هـ^(٢)! فكيف يتسنى له أن يتزوجها والحال أنه توفي قبل وفاة زوجها؟ ومن العجب أن من نقل هذه القصة لم يلتفت إلى تقدم وفاة عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو الزوج المفترض والذي أنجب منها فلانا وفلانة، تقدم وفاته على وفاة الحسن بن الحسن زوجها الأصلي والأول؟ فكيف يمكن هذا؟

والثالثة: ما نلاحظه على أصل القصة والتي جاءت أول ما جاءت في كتب نسب قريش للمصعب الزبيري، ومن المعلوم للباحثين في التاريخ الدور المخرب للاتجاه الزبيري في صياغة الأحداث وافتعال القصص ضمن إطار الصراع الزبيري الهاشمي، وعلى وجه الخصوص هذا (المصعب) والذي نضح عنه من الكذب والافتعال للقصص ما يعسر حصره وعده! وكان معروفا بالانحراف عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأهل بيته، كما نقل ذلك مؤرخون، ومنهم ابن الأثير حيث قال (في حوادث سنة ٢٣٦): «وفيها توفي مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام وهو عم الزبير بن بكار وكان منحرفاً عن علي»^(٣). وسيأتي عند الحديث عن سكية نقل قول العلامة

(١) الصفدي؛ خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات ١١ / ٣٢٠. «واعتكفت فاطمة بنت الحسين على قبره سنة وفاته أيام خلافة الوليد وقيل سنة سبع وتسعين».

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبير ٧ / ٣٩٨: عبد الله بن عمرو بن عثمان، هو الذي يقال له المَطْرَف لجماله. وتوفي عبد الله بن عمرو بمصر سنة ست وتسعين»، والوافي بالوفيات ١٧ / ٢٠٨. «عبد الله بن عمرو بن عثمان سبط ابن عمر مدني.. وتوفي بمصر سنة ست وتسعين» وذكر وفاته أيضا ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة ٩٦ هـ.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦ / ١٣٢: وكذلك كان أبوه فراجع الفهرست ص ١٤٠: «وكان أبوه عبد الله من أشرار الناس متحاملا على ولد علي (عليه السلام) وخبره مع =

المقرّم رحمه الله: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ الْأَحَادِيثَ الشَّائِنَةَ فِي ابْنَةِ الْحُسَيْنِ سَكِينَةَ مَصْعَبُ الزَّيْبَرِيِّ (المتوفى سنة ٢٣٦ هجرية) في كتابه نسب قريش؛ لينصرف المغنّون والشعراء عن ابنتهم سَكِينَةَ بنت خالد بن مصعب بن الزبير»^(١).

والرابعة: وقد أشار لبعضها السيد الأمين، وهو ما نلاحظه في المتن؛ فالقارئ للقصة يجد هذا المدعو عبد الله بن عمرو بن عثمان الأموي (الذي تنهافت عليه النساء!) وفي مقابلة فاطمة بنت الحسين (عليها السلام) التي تقدم وصف أبيها لها في أنها في العبادة تشبه أمها الزهراء، فإذا بها تنكث بعهدا وأيمانها ومواثيقها لزوجها بحسب القصة المختلقة من أجل سواد عيون ذلك الشخص!! ولا تكتفي بذلك بل إنها (!!)) بمجرد إشارة منه إليها أن تحافظ على وجهها فلا تلطمه، فإذا بها كما تنقطع الكهرباء عن الآلة، تسترخي يداها عن اللطم حتى يتبين ذلك لمن حضر! لماذا؟ لأن شخصاً من بني أمية أشار إلى أنه يريد أن يتزوجها! رأيت كيف يتم الاستخفاف بالعقول؟

ولأنه من بني أمية، فلا بد أن يكون صاحب الفضل.. فيعتق بدل العبد عبيدين ومكان كل شيء شيئين!

= يحيى بن عبد الله معروف» وهكذا ابن أخيه الزبير بن بكار فقد قال فيه العلامة الحلّي في «كشف اليقين» ص ٩٤: كان الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام من أشدّ الناس عداوةً لأُمير المؤمنين وولده. وقال الشيخ المفيد في المسائل السروية ص ٦١: لم يكن الزبير بن بكار مأموناً في الحديث، ولا موثوق النقل فيما يرويه من القذائف في حقّ أهل البيت (عليهم السلام) ..

(١) المقرّم: السيدة سَكِينَةُ ص ٤٤.

* الثانية: سكينه بنت الحسين:

ونتحدث عنها في ضمن النقاط التالية:

١/ ينقل عن الإمام الحسين (عليه السلام) كلام في حق ابنته سكينه (آمنة) ينبغي أن يكون هو الأساس الذي ترد إليه سائر الأخبار عنها والكلمات التي قيلت حول حياتها. وذلك لأن هذا الكلام في مرتبه العادية كلام أب عارف بابنته وشخصيتها كما يعرف الآباء عادة أبناءهم وبناتهم معرفة مباشرة ناشئة عن المعاشة لهم منذ صغرهم وإلى حين قول ذلك الكلام. وأما في مرتبه العالية فهو كلام إمام معصوم إذا ثبت عنه فلا يمكن أن يتطرق إليه عوامل الخطأ في التشخيص أو المبالغة في المدح أو الذم.

والكلام هو المشهور عنه عندما جاء ابن أخيه الحسن بن الحسن لخطبة إحدى ابنتيه، وحينها نصحه عمه الإمام (عليه السلام) في الاختيار له فقال: «أختار لك فاطمة، فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)». أما في الدين: فتقوم الليل كله، وتصوم النهار، وفي الجمال: تشبه الحور العين، وأما سكينه فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى فلا تصلح لرجل^(١).

ومعنى ذلك أن الموصوفة بذلك الوصف هي امرأة روحانية وهمتها معلقة في عبادة الله سبحانه، بحيث يسيطر عليها ذلك التعلق إلى حد إشغالها عن الرجال وشهوات الدنيا المحللة.

٢/ والمعروف بين الإمامية وغيرهم أنها تزوجت عبد الله (الأكبر) بن

(١) بيضون؛ ليب: موسوعة كربلاء ٢/ ٦٣٤.

الإمام الحسن (عليه السلام)، والذي استشهد في كربلاء مع عمه الحسين (عليه السلام). وبناء على هذا يفترض أن استشارة الحسن المثنى (بن الحسن) أخيه للإمام الحسين كانت قبل أن يعقد عليها أخوه عبد الله (الأكبر). وإلا فلا معنى لأن يخيره بين الاثنين ويختار له فاطمة دون سكينه.

وهذا الذي قلناه ينتهي إليه مقالة غير واحد من المؤرخين لحياتها، عندما أشاروا إلى أن عبد الله بن الحسن هو أبو عذرها. ^(١) فقد ذكر ذلك من المؤرخين البلاذري في الأنساب، ^(٢) وابن حبيب في المحبر. ^(٣)

وبناء على هذا فإن ما يقال عن زواج القاسم بن الحسن (عليه السلام) بها، أو عقد الإمام الحسين (عليه السلام) له عليها، مما هو شائع في الحالة الشعبية الشيعية، وأشعار الشعراء التي تشرح تفاصيل هذا العقد أو الزواج، تتعارض مع ما سبق. وقد ذكرنا في كتابنا قضايا النهضة الحسينية جواباً تفصيلياً (جواب سؤال ٢٢) عن رأي العلماء في موضوع هذا الزواج، فليراجع من أحب التفصيل فيه.

٣/ ثم إن رأي المحققين أن اسمها الحقيقي هو (آمنة) ^(٤) وأن (سكينه) هو الاسم الذي اشتهرت به، وهذا الأمر يحصل كثيراً، فقد يشتهر

(١) الجوهرى؛ أبو نصر إسماعيل: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢/ ٧٣٨: فلان أبو عذرها، إذا كان هو الذي أفرعها وأفتضها.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٢/ ٤١٦: «ولدت الرباب للحسين سكينه بنت الحسين تزوجها عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكان أبا عذرها فمات عنها».

(٣) البغدادي؛ محمد بن حبيب: المحبر ص ٤٣٨: وتزوجت سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (عبد الله) بن الحسن بن علي، وكان أبا عذرها. فمات عنها».

(٤) قد بحث المرحوم السيد محمد علي الحلواني في كتابه عقيلة قریش آمنة بنت الحسين، بشكل مفصل موضوع اسمها، والذي عنوان كتابه به. فليراجع من أراد التفصيل في هذا الجانب.

شخص بكنيته حتى يكاد لا يعرف اسمه الحقيقي، مثل (أبو طالب، وأبو سفيان) فالأول (عليه السلام) اسمه عمران، والثاني اسمه صخر! بينما لا يعرف كل منهما إلا بكنيته دون اسمه لدى غالب الناس.

وهكذا الحال في اسم آمنة، وسكينة بالنسبة لهذه المرأة الجليلة.

٤/ وبالنسبة إلى اسم سكينة، فالراجح هو أنه بالتصغير على وزن «فُعِيل» لا بالتكبير «فَعِيل» فهي سَكِينَةٌ لا سَكِينَةٌ، خلافاً لمن قال بذلك، انطلاقاً مما ذكره من أن معنى سَكِينَةٌ بالتصغير غير مناسب حيث يعني: الأتان وهي اثني الحمار، فلا يعقل كما يقول هؤلاء أن تسمى به! ويضاف إليه أن سَكِينَةٌ بالتكبير هو أنسب بما نقل عن الإمام الحسين من استغراقها مع الله سبحانه.

وقد ذكر بعض الباحثين،^(١) أن أول من ذكره بالتكبير هو السيد المقرم

(١) ذكر السيد محمود الغريفي في جواب له منشور في موقع المجيب: وأوّل مَنْ أشار إلى هذا المعنى من المعاصرين فيما أحسبه العلامة السيّد عبد الرزاق المُقَرَّم قدس سره (ت ١٣٩١ هـ) في كتابه (السيدة سكينة بنت الحسين)؛ حيث قال: «وأما سكينة، فقد ذكر المؤرخون أنه لقب لها من أمّها الرباب؛ وكأنّه لسكونها وهدوئها، وعليه فالمناسب فتح السين المهملة وكسر الكاف التي بعدها، لا كما يجري على الألسن من ضم السين وفتح الكاف، وهذا الرأي نسبه الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) إلى المشهور، فإنّه قال: المشهور على الألسن في اسمها أنّه مُكَبَّرٌ بفتح السين وكسر الكاف، والمحكي عن شرح أسماء رجال المشكاة: أنّه مُصَغَّرٌ بضم السين وفتح الكاف، ومثله في القاموس».

والذي دعا إلى انتشار هذا الرأي بين الناس وشيوعه في السنوات الأخيرة تبني السيّد الشهيد محمد الصدر قدس سره (ت ١٤٢١ هـ) له في محاضراته الخاصة عن الثورة الحسينية، فجرى ترديده كثيراً على الألسن، وفوق المنابر الحسينية، حيث قال قدس سره: «وأنا أعتقد أنّ اسمها ليس مُصَغَّرًا (سَكِينَةٌ) كما يلفظ العامة والمشهور، وإنّما هو مُكَبَّرٌ (سَكِينَةٌ)، مأخوذ من القرآن الكريم (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ)، ويعني هي السكينة =

في كتابه السيدة سكينة، ثم تبناه الشهيد السيد محمد الصدر، ثم شاع باعتبار أنهم يرون بأن الاسم المشهور له معنى موهن للسيدة الجليلة.

ونحن لا نعتقد بصحة ما قيل من أن اسمها مكبر، وذلك أولاً لتنصيص أهل اللغة عليهم بالتصغير في كتبهم، وهم في هذا حجة لخبريوتهم. فهم عندما يذكرون اسمها يذكرونه مصغراً. فراجع لسان العرب^(١) وتاج العروس وغيرهما. وأما ما قيل من كون هذا الاسم هو لأنثى الحمار، فهو وإن كان صحيحاً إلا أن ذلك لمناسبة وهو الخفة وسرعة الحركة، فتسمى بذلك لهذه الجهة، وتسمى الجارية خفيفة الروح كذلك، وهذا ما صرح به ابن منظور في لسان العرب، فقال: «السُّكَيْنُ، وَهُوَ الْحِمَارُ الْخَفِيفُ السَّرِيعُ، وَالْأْتَانُ إِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ سَكِينَةً، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْجَارِيَةُ الْخَفِيفَةُ الرُّوحُ سَكِينَةً».^(٢)

٥/ في موضوع عمرها وزمان ولادتها، اختار المحقق السيد المقرم رحمه الله في كتابه السيدة سكينة، بأن ولادتها كانت سنة ٤٧ هـ، وبناء

= النازلة تشبيهاً، وأما المصغّر، فهو أنثى الحمار بنص اللغويين، ومنهم: ابن منظور في لسان العرب، وهذا مما يجهله المثقفون والمتفقهون من الناس مع الأسف، ولا يحتمل أن الحسين (عليه السلام) يجهله.

ومن ثم انتشر هذا الرأي، وأعتبر أن من يقول ويعرض غير هذا المعنى، فإنه ممن يسيء لهذه السيدة الجليلة، وأنه يتقص من كرامتها، عن علم كان ذلك أم عن غير علم؛ حيث إنه يشبّها بأنثى الحمار! ويعدّها عن مدلولها الحقيقي، الذي يفيد السكينة والوقار والاطمئنان، وهذا لا يليق بمكانتها وشرفها.

(١) ابن منظور: لسان العرب ٢١٨/١٣: «وَسُكَيْنَةٌ: بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، (عليه السلام)» وفي ذكره للرباب قال «تاج العروس من جواهر القاموس» ٤٧٢/٢: «أُمُّ سَكِينَةَ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وذكر في الموضعين وغيرهما بالتصغير دون التكبير.

(٢) المصدر نفسه ٢١٣/١٣.

عليه فعمرها في أيام واقعة كربلاء، يناهز ١٣ سنة، ولم يذكر ذلك على نحو الجزم بل قال: «ولم يتضح لنا سنة ولادتها ولا مقدار عمرها وان أمكننا القول بأنها قاربت السبعين بعد ملاحظة سنة وفاتها وكونها يوم الطف بالغة مبلغ النساء ولا أقل من التقدير بالعشرة. وذكرنا ولادتها سنة ٤٧»^(١).

وقريب من ذلك ما ذكره المرحوم السيد الحلوب أن تاريخ ولادتها ما بين سنة ٤٧ و ٤٨ هـ، ونص كلامه هو هكذا: «ومع عدم وجود خبر قطعي يركن إليه في تحديد عمرها، فإنه يمكن الاستنتاج من بعض القرائن والشواهد التاريخية أنها كانت بين (١١-١٤) عامًا. ولعلنا نستطيع أن نستقرب تاريخ ولادتها بين سنتي ٤٧ و ٤٨ هـ»^(٢).

٦/ بعد شهادة زوجها عبد الله بن الحسن لا يوجد من الروايات الصحيحة أو الأخبار التاريخية المعتبرة ما يشير إلى زواجها.

إلا أن الصورة الموجودة في قسم من كتب مدرسة الخلفاء (ما بين مخففة ومركزة) هي صورة غير لائقة بالسيدة سكينة باعتبارها من الذرية النبوية الطاهرة، وباعتبار ما نقل عن أبيها في شأنها، وهي للأسف صورة مشوهة وكاذبة.

وقد حملت هذه الصورة عناوين متعددة منها:

أ. أنها امرأة تجلس مجالس الغناء وتستمع للمغنيات والمغنين لأوقات متأخرة من الليل في المدينة المنورة!.

(١) المقرّم: السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ١٤١.

(٢) الحلوب؛ السيد محمد علي الحلوب: عقيلة قریش؛ السيدة آمنة بنت الحسين ١٨.

ب. أنها كانت تختلط بالرجال الشعراء على وجه الخصوص وتجلس معهم وتقارن بين أشعارهم، وربما تغزل بعضهم بسكينة!.

ج. أن لها جُمَّةً تُعَرَفُ بـ (الجُمَّة السُكِينِيَّة) «والجمّة من شعر الرأس ما سقط على المنكين»^(١) وبالطبع لا بد أن يتذكروا الحديث «لَعَنَ اللَّهُ الْمُجَمَّمَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»؛ هُنَّ اللَّوَاتِي يَتَّخِذْنَ شعورهن جُمَّةً تَشَبُّهُنَّ بِالرِّجَالِ وتدخل هذه الميزة بشكل أو بآخر في ترجمتها حتى في المختصرات فانظر إلى الزركلي في كتابه الأعلام، الذي ترجم فيه لبعض الأكابر بسطرين لكنه لم ينسَ في ترجمة السيدة سكينة أن يقول: «تصف جمتها تصفيفاً لم يُرَ أحسن منه، و (الطرة السكينية) منسوبة إليها».^(٢)

د. أنها كثيرة الأزواج حتّى قال بعضهم: تزوّجت ثلاثة، والبعض الآخر قال: أربعة، والبعض قال: خمسة أو ستة! والقوائم مختلفة في عدد أزواجها، إلى درجة أن في بعض المصادر قد يكون الاسم رباعياً فيأتي مؤلف ويقسمه إلى قسمين فيصبح شخصين.^(٣)

وقد ناقش المحققون هذه الكلمات التي لا تزال موجودة في كتب الأدب ومصادر مدرسة الخلفاء بما يلي:

أولاً: النقاش في مصدر هذه الحكايات: ومن المهم في البحث

(١) ابن منظور: لسان العرب ١٢/١٠٧.

(٢) الزركلي؛ خير الدين: الأعلام ٣/١٠٦.

(٣) وقد بحث موضوع أزواجها والتهافت الموجود بين روايات ذلك الأمر، الاخ الفاضل رائد الطريفي في كتابه قرة العين في أخبار السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين، في ٣٤٠ صفحة، منها ١٠٠ صفحة في موضوع الأزواج، فليرجع إليه من يحب التفصيل.

التاريخي التفتيش عن مصدر الحادثة أو الحوادث، والنظر إلى مصداقية ذلك المصدر وعدم مصداقيته. ومن ثم النظر إلى هدف ذلك القائل.

وبالنظر إلى ذلك فقد أشار المحققون إلى أن «أول من وضع الاحاديث الشائعة في ابنة الحسين (سكينة) هو مصعب الزيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ، في كتابه (نسب قريش) لينصرف المغنون والشعراء عن ابنتهم سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة الشاعر والمغنيات يغنين لهم، وزمر بها مرافقه في بغداد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ، وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه وتلقاها المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ عن هؤلاء الوضاعين وعنه أخذها تلميذه الزجاجي وغيره من دون تمحيص فأضلّوا كثيراً من الكتاب والمؤرخين حتى رووها بلا إسناد موهمين أنها من المسلمات»^(١).

والمصدر الأكثر اتساعاً والذي انتشرت عنه تلك الحكايات هو كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) فقد أخذ عن مصعب الزيري المذكور ما نقله، وكان هذا يتفق مع هدف كتابه المذكور، وهو في ما يحتويه يشبه كثيراً مجلات الفنانين والعابثين وتتبع فضائحهم مما هو مثير للعامة الباحثين عن هذا النوع من الأخبار.

وقد أعطى آية الله كاشف الغطاء تقيمه في كتاب الأغاني ومؤلفه وأخباره فقال: «إن كتاب الأغاني كتاب لهو وطرب يجمع فيه كل غثّ وسمين، اذ ليس المقصود منه على الاكثر سوى الفكاهة وأحاديث السمر، وأبو الفرج وان كان ثقة لا يكذب ولكنه كثيراً ما يروي عن الكذّابين ولا يعنيه أمر الصحة والضعف في الأخبار، ويسرد كل ما وصل اليه

(١) المقدم: السيدة سكينة ٥٨.

مهما كان، والاحاديث التي رواها في سكيئة منها مقطوع بكذبه وأنه من المجعولات وأحاديث السَّمَر...»^(١).

وأبو الفرج إنما أخذ عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وقد تقدم في صفحات سابقة أنه وأباه وابن أخيه قد عُرفوا بالتحامل على آل علي والبغض لهم. فليس من المستغرب أن يرووا عن سكيئة بنت الحسين (عليه السلام) ما يشينها.

وثانياً: بالنظر إلى الهدف من هذه الحكايات: وقد أشار المحقق المكرم رحمه الله إلى هذه الجهة في كلامه المتقدم، وأنه تم الاستفادة من تشابه الاسمين بين سكيئة (بنت الحسين) وبين سكيئة (بنت خالد بن مصعب بن الزبير) وهذه الثانية بحسب كلام المكرم وغيره كانت معروفة بالتهتك ومجالسة الشعراء ومبادلة الغزل والمعاشقة وما شابه، ولم تكن بيئتها تأبى هذا السلوك.

ولكي يُغطَّى على ذلك السلوك غير العفيف فيها، أو لتخفيف ذلك بالزعم بأن غيرها يعمل كما تعمل، فقد أدخل اسم سكيئة بنت الحسين في هذه الأحداث، وحصل التمويه بهذه الطريقة، وحيثُذ يتحقق للزيريين كلا الهدفين؛ النكاية بالعلويين وهم بحسب الفرض أعداؤهم، وكذلك يتم التخفيف من شناعة ما يحصل من سُكيتهم الزيرية!

والثالث: بالنظر إلى إمكانية تحقق هذه الأمور من سكيئة بنت الحسين:

وذلك فإنه حتى لو فرضنا أن الناقل ثقة، وانعدم وجود مصلحة في نقل الحدث بكيفية معينة، (وهذان الأمران لا يتوفران في نقل الزيريين

(١) كاشف الغطاء؛ الشيخ محمد حسين: جنة المأوى ١٣٤.

واصطناع هذه الحوادث)، حتى لو فرضنا وثاقة الناقل وعدم وجود غرض خاص له، ينبغي أن نلاحظ متن ما هو منقول وتوافقه مع صاحب الحادثة وبيئته المفترضة.. ومع هذه الجهة لا يمكن للباحث أن يقبل بما نقل من حوادث عن السيدة سكينه بنت الحسين.

ومع الأخذ بعين الاعتبار القول المأثور عن أبيها الحسين، وأنها الغالب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل.. فكيف يتفق هذا الكلام مع مجالس اللهو والغناء والاختلاط، والتكشف وظهور المفاتن، و«الطُرة السكينية» وتبادل الغزل مع الرجال؟

بل حتى بغض النظر عن هذا القول، فإن سكينه التي قد خرجت لتوها من مصيبة كربلاء والتي فقدت فيها أباهما الحسين (عليه السلام) حيث قتل بتلك الطريقة المأساوية، وفقدت أخويها الأكبر والرضيع وأعمامها وبني عمومتهما وأهل بيتها ثم سبيت هي وعماتها وأخواتها وعتره رسول الله.. فهل يعقل لامرأة في ظروف كهذه أن تقضي عمرها بتبادل أشعار الغزل والجلوس مع الرجال الأجانب، الذين ينتظرون على باب بيتها صفوفًا حتى تدخلهم في مجلسها وتتوسطه بينهم؟

وأين كان عنها أخوها وإمامها علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، والذي كان آية في الانقطاع إلى الله سبحانه، يعلم الناس كيفية خشية الله وطريقة الحياة المؤدية إلى رضوان الله تعالى.. أتراه يرى أخته وهي من ذرية النبي (ﷺ) ولاصقة به، تقوم بهذه الأعمال ويشتهر الأمر عنها في أندية الرجال، وتُقصد من العابثين.. ثم لا يُحرك ساكنًا ولا يعظها بكلمة واحدة؟

هذا مع معرفتنا بشدة عنايته بها حتى إنه عندما باع أحد بساتين

والده شرط على المشتري سقاء ليلة لبستان أخته سكية.^(١) وبمقدار ما كانت عنايته بها، كانت عنايتها به وملاحظتها لأحواله.

والكلام نفسه يجري في أيام الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، بعد شهادة أبيه زين العابدين، فإنه لما آلت إليه الإمامة الإلهية بعده في سنة (٩٥ هـ) لا ريب أن من وظائفه كما كان من أبيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الضال.. ومع حصول ما جاء في كتب الزبيرين لا شك ينطبق عليها ما ذكرنا من العناوين!

ونشير إلى ملاحظة هامة هنا، وهي أنه على عكس قسم من فقهاء مدرسة الخلفاء في مسألة الغناء حيث لم يعتبروه محرماً، بل ربما نقل عن بعض هؤلاء الفقهاء استماعه، نرى أقوال أهل البيت (عليهم السلام) في التشدد في حرمة ولزوم الاجتناب عنه، حتى عرفوا بذلك، وقد عقد آية الله البروجردي في كتاب جامع أحاديث الشيعة باباً في تحريم الغناء أورد فيه ٤٥ رواية في مصادرنا الحديثية عنهم (عليهم السلام)، تشدد حرمة الغناء، وتشير إلى آثاره المدمرة للدين والأخلاق، منها ما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «الغناء رقية الزنا» وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه «يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ النَّخْلُ الطَّلَعُ»، وما عن الإمام الصادق (عليه السلام): «الغناء ممّا أوعد الله (ﷺ) عليه النار، وهو قوله (ﷺ): ﴿وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا * أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ وهو الحديث الذي يُنْهَى عنه هو الغناء،

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٨٥: «.. الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى علي بن الحسين يقول له: انه قد ذكرت لي عين لأبيك بذى خشب تعرف بجنس فإذا أحبيت بيعها ابتعتها منك، قال علي بن الحسين: خذها بدين الحسين وذكره له قال: قد أخذتها فاستثنى منها سقي ليلة السبت لسكية».

وما عنه (عليه السلام) في مجلس الغناء أنه قال «مجلس الغناء مجلس لا ينظر الله (عز وجل) إلى أهله والغناء أخبث ما خلق الله تعالى». (١)

أفتراهم بعد كل هذا التشديد فيه من الأئمة وشيعتهم يرون ابتهم وابنة إمامهم وأخت إمامهم تقوم بهذه الأمور وتمارسها جهاراً وهم ساكتون عنها؟ هذا لا يمكن!.

ولا يتيسر لنا في هذا الكتاب بحسب هدفه المناقشة التفصيلية في الروايات التي ذكرها المصعب الزبيري وتناقلوها عنه وهي لا تصمد أمام المناقشة العلمية، وقد قام بهذا باحثون ومحققون؛ منهم المرحوم العلامة المكرم في كتابه السيدة سكينة، والمرحوم العلامة السيد محمد علي الحلو في كتابه عقيلة قريش آمنة بنت الحسين، وانتهيا إلى زيف تلك الروايات وضعفها وتهالكها سنداً ومتناً..

كما ناقشا ما ذكر في تلك الكتب من فرية تعدد أزواجها، وانتهيا إلى نتيجة سقم الروايات القائلة بذلك، وقال السيد الحلو: «أما قضية تعدد الأزواج، فهي إساءة أخرى لهذا البيت الأقدس، فضلاً عما حاوله هؤلاء من التقريب بين آل علي (عليه السلام) وبين أعدائهم، وإلغاء العداء التقليدي بينهم وبين مخالفهم، والحال أن أخبار الزواج بعد مناقشتها لم تصمد عدا ما ذكر من أن السيدة آمنة بنت الحسين تزوجت من عبدالله بن الحسن السبط الذي استشهد في واقعة الطف، ولم تتزوج بعده حتى ماتت رضوان الله عليها من عفيفة الطالبيين، وعقيلة القرشيين». (٢)

(١) البروجردي؛ آية الله السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة ١٧/١٨٧.

(٢) الحلو: عقيلة قريش؛ آمنة بنت الحسين ١٤١.

* الثالثة: رقية بنت الحسين

المشهور في عصرنا هو أن رقية بنت الحسين عليه و(عليهم السلام) كانت في كربلاء ورافقت أباهما، وأُخذت في الأسر بعد شهادته إلى الشام، وأنها توفيت ودفنت في دمشق، ولها مقام كبير ومشهد يزار في وسط دمشق.

إلا أن هذا الأمر المشهور قد اعترض عليه البعض، فبين من نفى وجود بنت للإمام الحسين (عليه السلام) تُسمى رقية، وبالتالي فكل ما يترتب على ذلك لا يكون صحيحاً في نظرهم. وبالتالي فحتى المقام والمشهد المزار لا يكون لها بل هو لأخرى غيرها قد تكون رقية بنت الإمام علي (عليه السلام) (وهي زوجة مسلم بن عقيل).^(١)

ويبدو أن المسألة إثباتاً ونفيًا هي في المحيط الفارسي أشد وأكثر، ويكشف عن ذلك عدد الكتب التي صُنفت في هذا المعنى باللغة الفارسية،^(٢) وبتبعها بالعربية أو ترجمت إليها، وكذلك يكشف عنها كثرة الاستفتاءات الواصلة لمكاتب المراجع والعلماء.

ومن تلك الكتب القيمة في الاستدلال لوجود رقية وفي كون القبر والمزار لها، ما كتبه المحقق الشيخ نجم الدين الطوسي ونشر بعنوان: رقية بنت الحسين.^(٣)

(١) وقد أشرنا فيما سبق إلى احتمال الشيخ الغروي أن يكون المشهد والمزار لها.

(٢) في كتابه باللغة الفارسية (تحقيق وبزوهشي بيرامون حضرت رقية) ص ٣٥٢، أورد العلامة الشيخ جعفر التبريزي أسماء ٦١ كتاباً يرتبط بموضوع السيدة رقية، وأكثرها باللغة الفارسية.

(٣) الطوسي؛ الشيخ نجم الدين: رقية بنت الحسين؛ أجوبة أسئلة وشبهات، الكتروني، المكتبة التخصصية في الإمام الحسين (عليه السلام). من صفحة ١٢ إلى صفحة ٣٠.

وننقل للقارئ الكريم خلاصة ما استدل به مع بعض التغيير والترتيب:

١/ فإنه في البداية أشار إلى أن الفريق النافي لوجودها ولكون القبر لها، ليس لديه دليل إلا كون اسمها غير مذكور في أمهات الكتب التاريخية القديمة، وكتب الأنساب وإنما جاءت قصة مصيبتها في الكتب المتأخرة جدا ولا سيما في كتاب روضة الشهداء للكاشفي (ت ٩١٠ هـ). وأشار إلى أنه من المعلوم أن عدم وجود دليل، وعدم الذكر في كتاب لا يكون دليلا على عدم وجودها.. إذ من أوليات المعارف أن عدم الدليل ليس دليلا على العدم!

٢/ وفي مقام الاستدلال قال: إن أول من ذكر اسمها ووجودها هو البيهقي المعروف بابن فندق (ت ٥٦٥ هـ) وهو من أكابر علماء النسب والمتخصصين فيه، حيث قال في كتابه إنه بقي للحسين ثلاث بنات أحياء من بعده (فاطمة وسكينة ورقية)، وأيد كلامه بما نقل عن ابن طلحة (ت ٦٥٢ هـ) في كتابه مطالب السؤول، من أن بنات الحسين (عليه السلام) كنّ أربعاً، ولكنه ذكر أسماء ثلاث بنات فلا يمتنع أن تكون الرابعة هي رقية.

٣/ قد يقال: بأنه لا يوجد لكلام البيهقي (ابن فندق) سند يعتمد عليه مع كون الفاصلة بينه وبين الحادثة بنحو خمسمائة سنة، فأجاب بأن السند لازم في مثل الفقه وبعض العقائد لخصوصية فيها وهي ألا يكون الحكم والقول فيها افتراءً على الله بنسبة الحكم إليه من دون دليل، وهذا بخلاف القضايا التاريخية والأخلاقية لعدم وجود هذا المحذور فيها. على أن أكثر كتب التاريخ لا تحتوي على الأسانيد، إنما الرجوع إليها باعتبار الرجوع إلى أهل الخبرة والفن في مجالهم.

ومع ملاحظة ما ذكر عن البيهقي وجلالته في علم الأنساب، وتشدده وأمثاله في إثبات النسب يمكن الاعتماد على ما ينقل باعتبار خبرته وتخصصه من جهة وتشدده واحتياطه من جهة أخرى، (وقد نقل بعض الحوادث التي تشير إلى تشدده في ذلك).

٤/ إن أقصى ما يستطيع الفريق النافي أن يتمسك به هو أن أمهات المصادر القديمة إنما ذكرت أن للحسين بنتين مثلاً، أو أنها عدت الأسماء ولم يذكر فيها اسم رقية، ولم تنف وجود رقية أو غيرها، وهذه الكلمات هي من نحو النصوص المثبتة فإذا جاء كلام ابن فندق وأثبت وجود رقية، فهذا مثبت وذاك مثبت ولا تعارض بين المثبتين كما هو مقرر عندهم في باب التعارض بين النصوص.

٥/ أيّد مختاره بما جاء في الكتب المتأخرة؛ من ذكر المصنفين لها، وإن لم يكن ذلك دليلاً، حيث انتشر ذكرها وذكر مصيبتها من القرن العاشر فصاعداً، فقد ذكره محمد بن أبي طالب الكركي، في كتابة تسلية المجالس وزينة المجالس وكتاب معالي السبطين للمازندراني، ونور الأبصار للشبلنجي وغيرهم.

٦/ وقد نقل الشيخ جعفر عن والده المرجع الديني المرحوم الميرزا جواد التبريزي، ما ينفع في إثبات كون المزار والمشهد المعروف للسيدة رقية، (ما تعريبه ملخصاً): إن الأصل في ثبوت الموضوعات الخارجية هو إقامة البينة (شاهدين عادلين) عليها. إلا أن بعض الموضوعات الخارجية يكفي فيها الشهرة ولا حاجة فيها إلى إقامة البينة، مثل أن يشتري شخص أرضاً، وبعد ذلك يقال له إنها وقف (أي لا يجوز شراؤها) فأجاب الإمام وقد سئل عن ذلك فقال إذا اشتهر ذلك بين

الناس فشراؤها غير جائز ولا بد من إرجاعها، ومثل ذلك ثبوت حدود المشعر ومنى، وأيضا المقابر فلو اشتهر بين الناس أن فلاناً وقد توفي قبل مائتي سنة مثلاً، قد دفن في هذه المقبرة، فهذا يكفي.

ورتب على ذلك أن المزار والمقام الموجود في دمشق وقد ذهب لزيارته كان مشهوراً من السابق أنه لها، وأشار إلى حكمة ذلك وأنه لكيلا يأتي أحد فيما بعد وينكر أصل مسألة الأسر والسبي، فكانت هذه البنت الصغيرة (ودفنها) هنا دليلاً واضحاً على ما جرى عليهن.^(١)

(١) التبريزي؛ جعفر: تحقيق وبزوهشي بيرامون حضرت رقية ص ١٦٣. وقد أشار إلى أنه ألقى هذه الكلمات في مشهد السيدة رقية (عليها السلام)، حين زيارته سنة ٢٠٠٢ م.

نساء غير الطالبين



✽ بَحْرِيَّة بنت مَسْعُود الخَزْرَجِيَّة:

هذه المرأة من (الخَزْرَج) جاءت إلى كربلاء برفقة زوجها (جُنَادَة بن كَعْب الخَزْرَجِي) وابنها الوحيد (عَمْرُو بن جُنَادَة الخَزْرَجِي)، وقد اسْتُشْهِدَ زوجها جُنَادَة في الحملة الأولى، لأنَّ المعركة في الحملة الأولى كانت حملة عامّة لم يكن القتال برازاً شخصياً فردياً، وإنما كان القتال هجوماً من كلا الجيشين، حين صار الالتحام بين المعسكرين في الحملة الأولى اسْتُشْهِدَ زوجها، بعد ذلك صار القتال أن يبرز رجلٌ لرجل، عندها جاء ابنها عَمْرُو - وعمره اثنتا عشرة سنة تقريباً^(١) - بعد استشهاد أبيه إلى الحسين (عليه السلام) واستأذنه في أن يبرز للقتال، حين رآه الحسين صغير السنّ - لاسيّما أنَّ بعض الأشخاص قد يكون عمره اثني عشرة لكنّ قامته وطوله لا يحكي هذا المقدار من العمر - قال (عليه السلام): ردّوه إلى أمّه فإنَّ أباه قد قُتِلَ السَّاعَةَ، وأكره أن نجمع على أمّه ثكَلَيْنِ، فقال عَمْرُو للحسين: سيّدي أبا عبد الله إنّ أمّي هي التي شدّت عليّ

(١) لأنّه مولودٌ في حدود عام (٤٩هـ) بحسب ما أفاده المحقّق الكرباسي.

حمائل السيف، وهي التي ألبستني لامة الحرب وقالت لي: اذهب
حتى تبيض وجهي عند فاطمة الزهراء.

امرأة في وقت واحد تفقد كل شيء، تفقد زوجها وولدها الوحيد
ومن ستعتمد عليه في المستقبل، ومع ذلك بنفس راضية قدمت كل
ذلك، وهذا دليل على قوة إيمانها، بل نقل المؤرخون أكثر من ذلك
أنه لما انطلق عمرو ابنها إلى القتال وكان يرتجز الرجز المعروف:

أَمِيرِي حُسَيْنٌ وَنِعَمَ الْأَمِيرُ سُرُورُ فُؤَادِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ
عَلَيٍّ وَفَاطِمَةُ وَالِدَاهُ فَهَلْ تَعْلَمُونَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ

وقاتل حتى قُتل واستشهد وقد اخُتَزَ رأسه ورُمِيَ به إلى معسكر
الحسين، فأخذت رأس ابنها ورمته بقوة على أحد الأعداء فأصابته إصابة
قاتلة، وقيل إنها خرجت وبيدها عمود حديد لكي تقاتل بين يدي ابن
بنت رسول الله لكنَّ الحسين ردَّها.

انظروا إلى هذه المرأة التي ضحَّت بكل ما تملك، فالمرأة بالنسبة
لها زوجها كل حياتها عادة، وابنها الوحيد كذلك، أليست هذه المرأة
قدوة لنا؟



بطولة نساء قبل وبعد عاشوراء

✽ قبل واقعة كربلاء: طوعة جارية الأشعث

لهذه النساء مواقف تتصل اتصالاً مباشراً بالقضية الحسينية، ومن أبرزهن المرأة الصالحة طوعة جارية الأشعث ولا تمر مناسبة استشهاد البطل الطالببي مسلم بن عقيل إلا وتذكر قضيتها ونصرتها له وإيواؤها إياه، وكنت قد كتبت فيما سبق شيئاً عنها في كتاب نساء حول أهل البيت ج ١، فأحببت الاستشهاد به في هذا الموضوع. قلت هناك:

«طوعة التي لا نعرف عن نسبها الكثير، تزوجت بعد أن أعتقها من بقي في رق نفسه، (وهو الأشعث بن قيس الكندي) فتزوجها رجل يقال له أسيد الحضرمي.. من هو أسيد زوجها؟ لا يبدو أنه من غير الكم المهمل في التاريخ، فلا ينقل عنه شيء استثنائي من موقف أو غيره، وأنجبت منه ولدا يقال له بلال.. لم يذكره التاريخ إلا بلعنة التجسس، والعمل عند الظالمين، وشراء الدين بثمان بخس.. لا أول له، ولا آخر، وإذا ذكر فإنما يذكر باللعة! وفي هذا عبرة، فلا شك أنه عاش مدة من الزمان، وأكل وشرب، وتزوج، وصادق أناساً، وفارق آخرين، وكسب مالا وخسر غيره، ولبس من الثياب، وسعى هنا وهناك، لكن هذه الأمور

كلها تنتهي، ويبقى للإنسان موقفه، فيبقى به درساً للأجيال كما كانت أمه طوعة، أو لعنةً على الأفواه كما كان هو.

وكانت طوعة على موعد مع الخلود، والجنة حين اختارت لنفسها نصرة الحق، وإيواء مسلم بن عقيل سفير الحسين ورسوله إلى الكوفة، بعدما تخاذل «أسود الشرى في الدعة، والثعالب الرواغة حين البأس»، أسماء أفنت حياتها في التوفاه.. الشرف المشتري بالملابس الفاخرة!! والحسب المأخوذ بالانتماء الاجتماعي!! وهياكل الأجساد التي تخبئ تحتها قلوباً بلا موقف، وأدمغة بلا بصيرة.. كل تلك صنعت فاجعة الهزيمة، وانتصر باطل ابن زياد على قلة عدده على جموع أهل الكوفة، وفيهم كما تقول الأخبار (الأشراف) والعدد الكبير!!

وإذا كانت كل تلك الجموع قد خرجت من الذاكرة، إما نهائياً وإما خرجت تشيعها لعنة المواقف الخائنة للرسالة، فإن اسماً ظل مكتوباً بأحرف من نور على جبين الدهر، لامرأة علمت التاريخ أن الصورة الخارجية، والعنوان العام للإنسان (كونه أنثى أو ذكراً) ليس هو الذي يصنع له المجد، وإنما الموقف الذي يتخذه من الحق والباطل..

نعم بعدما سقط من يملكون (أدوات الرجولة)، أمام الخوف، والطمع.. كان لهذه المرأة موقف وأي موقف. ولكي تطلع عزيزي القارئ على الجو العام الذي ساد في الكوفة وهي تمخض بالحوادث، بعد قدوم مسلم بن عقيل إليها رسولا من الحسين (عليه السلام)، ومبايعة الناس له ثم مجيء عبيد الله بن زياد واليا من قبل يزيد، ليستلم من النعمان بن بشير إمارة الكوفة، والصراع الذي دار بين ذوي الأهواء الأموية، وعبدة الطاغوت والساجدين للسلطان أيّاً كان من جهة،

وبين أصحاب المواقف الذين ناصرُوا مسلماً ودفعوا حياتهم القصيرة ثمناً لحياتهم الدائمة، وربح بيعهم كهاني بن عروة، وأصحاب الدين والجهاد كشريك الأعور.. وبين هؤلاء وهؤلاء ترى مواقف الأكثرية عندما تفكر في عاجلها، وتنسى مستقبلها، عندما تنهزم أمام الباطل نقداً وتريد أن تنصر الحق نسيئة!! عندما يختلف ما في قلوبها عما على سيوفها، وعندما تفكر في صغائر الأمور فتسقط من التاريخ والجغرافيا، والحاضر والمستقبل.. وبعد أن بايع مسلماً بن عقيل الآلاف من الناس، وإذا بهم يخنقهم الخوف ويعتقلهم الرعب في ملابسهم، فكان الواحد يجبن صاحبه بنفس ما يفعل صاحبه».

قال أبو مخنف فحدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول. انصرف! الناس يكفونك ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول غدا يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر انصرف فيذهب به فما زالوا يتفرقون ويتصدعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً في المسجد حتى صليت المغرب فما صلى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً فلما رأى انه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة فلما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان والتفت فإذا هو لا يحس أحداً يدلّه على الطريق ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوٌّ فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: طوعة أم ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً. وكان بلالٌ قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه فقال لها: يا أمة الله

اسقيني ماءً فدخلت فسقته فجلس وأدخلت الإناء ثم خرجت فقالت: يا عبدالله ألم تشرب؟ قال: بلى! قالت: فاذهب إلى أهلك! فسكت ثم عادت فقالت مثل ذلك فسكت. ثم قالت له: سبحان الله! يا عبد الله فمر إلى أهلك عافاك الله فانه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك. فقام فقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة فهل لك إلى أجر ومعروف ولعلي مكافئك به بعد اليوم فقالت: يا عبد الله وما ذاك قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني قالت أنت مسلم؟ قال: نعم قالت: ادخل فأدخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعش ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه فقال: والله ليريني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه إن لك لشأنا.

قالت يا بني: إله عن هذا، قال لها: والله لتخبرني قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء، فألح عليها، فقالت: يا بني لا تحدثن أحداً من الناس بما أخبرك به وأخذت عليه الأيمان فحلف لها فأخبرته فاضطجع وسكت زعموا أنه قد كان شريداً من الناس. وقال بعضهم: كان يشرب مع أصحاب له.

لقد سجلت هذه المرأة موقفاً خلد ذكرها واسمها في تاريخ الصالحين والصالحات وهي وإن لم تكن قد جاءت إلى كربلاء بجسدها إلا أن موقفها سبق الواقعة بنحو شهر من الزمان، وكان حماية لمسلم بن عقيل، رسول الحسين (عليه السلام).

✽ ومَاريَا بنت مُنْقِذِ الْعَبْدِيَّة:

بالرغم من أن الكثير من أسرتها لم يكونوا في خط الولاية لآل محمد في ذلك الوقت، وقد ذكرنا شيئاً عن قصتهم في كتابنا عصابة الاثم، ففي بيئة هذه المرأة إختوها الثلاثة في هذا الاتجاه، أمويون حتّى النخاع وقتلة بامتياز، ولكن من بين هؤلاء تبرز امرأة هي (مَاريَا بنت مُنْقِذِ الْعَبْدِيَّة) أُختهم، والعبدّيون في تلك الفترة سكنوا البصرة، والتّشيع في البصرة لم يكن حالة عامّة كما هو في الكوفة بل كانت هناك مجاميع قليلة، بيّت هذه المرأة كان مألّفًا لشيعة أهل البيت أشبه بمكان اجتماعات لشيعة أهل البيت، مع أنّ زوجها متوفّى ووالدها كذلك-

عندما اجتمع الشيعة على عادتهم في منزلها جلست وأخذت تبكي بكاءً عاليًا، قالوا لها: لماذا تبكين؟ مَنْ أذاك؟ وَمَنْ أغضبك؟ أخبرينا حتّى نتقم لك ونثأر، قالت: أغضبني أنكم جلستم ولم تذهبوا لنصرة ابن بنت رسول الله، قوموا لنصرة الحسين ما لجلوسكم هاهنا من نفع! وبدأت تتحدّث معهم وتشجّعهم وتحرضهم، وبالفعل انطلق من بيتها مباشرة ستّة كانوا شهداء في واقعة كربلاء، انطلقوا من بيتها والتحقوا بالحسين (عليه السلام) حتّى نالوا شرف الشّهادة، انظر إلى موقف هذه المرأة، وانظر إلى موقف إختوها، الكلّ كان يعيش في بيئة واحدة متشابهة، ولكن هذه يمكن أن تُقدّم كنموذج أعلى حتّى للرّجال وإن كان ظرفها غير حسن، فإنّ المرأة إذا توفّي عنها زوجها ووالدها غير موجود تكون في حاجة ماسّة لمن يُدبّر أمرها ومعيشتها، أمّا أن تتصدّى للقيام بهذا الدّور بحيث يجتمع في منزلها هؤلاء وتحرضهم على الدّهاب لنصرة

الحسين (عليه السلام)، وتعتبر نفسها مسؤولة عن تلك النصرة، هذه قيمة عالية، ولا ريب أن مثل هذا الموقف يُحفظ لها، فهي السبب في استشهاد ستة من العبيد على الأقل في كربلاء.

✽ بعد واقعة كربلاء: النوار بنت مالك الحضرمية:

هذه المرأة هي زوجة (خولي بن يزيد الأصبحي)، (خولي) كان من القادة العسكريين في جيش بني أمية، ويظهر مما ينقل عنه أنه غير متوازن نفسياً،^(١) فإنه بعدما صرع الحسين (عليه السلام) هو لم يحتز رأس الحسين، ولكنه قاتل حتى يحصل على رأس الحسين لبقية معه، باعتبار أن من يكون بيده رأس القائد يحظى بهدايا وغنائم وجوائز كبيرة، وحين صار رأس الحسين في يده جاء إلى ابن سعد وهو يرتجز رجزاً عجيباً يقول:

املاً رِكابِي فضّةً أو ذهباً إِنِّي قَتَلْتُ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَا
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا

أولاً: هو يكذب! فإنه لم يقتله ولم يذكر في رواية معتبرة لا تاريخية ولا غيرها من أنه هو الذي قتل الحسين، بل هناك شكوك كثيرة في أنه احتز رأس الحسين، وإن كان قد استحوذ على الرأس الشريف فيما بعد، فحين يقول أنا قتلت هو يكذب في ذلك، وثانياً: ما قال له بعضهم: وَيَحْكُ إِنَّ عِلْمَتَ أَنَّهُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا فَلِمَ قَتَلْتَهُ؟!، لو قلت ذلك للأمير - يعني عبيد الله بن زياد - لأنهلك عقوبة، فابن زياد يريد منك أن تقتله لا أن تمدحه هذا المدح (خير الناس أُمًّا وَأَبَا/ السَّيِّدَ الْمُحَجَّبَا)،

(١) تحدثنا عن شخصيته المعتلة في كتابنا: عصبة الإثم؛ من قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، فليراجع.

وهذا يشير مع قرائن أخرى أنّ الرّجل لم يكن متوازنًا.

وحين أخذ رأس الحسين (عليه السلام) انطلق به إلى الكوفة بأمر عمر بن سعد حتّى يُوصَلَ لابن زياد خبر نهاية المعركة قبل أن يأتي ركب السّبايا ويرجع الجيش إلى الكوفة، وفي عصر يوم عاشوراء - كما هو معلوم - انتهت المعركة، والمسافة من كربلاء إلى الكوفة على بعض الطّرق ما بين سبعين إلى ثمانين كيلومترًا، وهذه تحتاج إلى عدّة ساعات للوصول إلى هناك، فلمّا وصل إلى الكوفة جاء إلى قصر الإمارة وكان القصر مغلقًا، لأنّ القصر دائرة حكوميّة ليست مفتوحة ٢٤ ساعة، وكذلك الأمير ليس جالسًا طوال يومه للاستقبال، فرُفِضَ دخوله وأُمِرَ أن يأتي في اليوم التّالي صباحًا، فبيّت الرّأس الشّريف في داره، وقامت زوجته النّوار في اللّيل - كما يذكر أرباب السّير - لبعض وردها، وهذا أوّل إشارة على حسن حالها، فالمرأة التي تقوم في جوف اللّيل حتّى تمارس الأوراد والأذكار والصّلوات يتبيّن أنّها متقدّمة في العبادة، كثير من النّاس إذا التزم بأصل الفرائض هذا شيءٌ حسن منه، أمّا المستحبات كصلاة اللّيل فذلك يحتاج إلى توفيق أكبر، فلمّا قامت رأت أنوارًا في الدّار علمت من خلال عدّة قرائن أنّ هذا رأس الحسين (عليه السلام)، فذهبت إلى زوجها وهي تُعَنّف القول له: إنّ الناس يأتون إلى أهلهم من السّفر بالهدايا والعطايا، وأنت جئتني برأس ابن بنت رسول الله، جئتني بخزي الدّنيا وعذاب الآخرة، والله لا تجمع رأسي ورأسك وسادة بعد هذا أبدًا، فاللّذي بيني وبينك انتهى، أنت في وادٍ وأنا في وادٍ، هذا أدنى موقف يمكن أن تسجّله المرأة، وهو موقف المفاصلة بين مثل هذا القاتل المنحرف وبين امرأة ترى أنّ هذا قد تعدّى وتخطّى كلّ الحدود الحمراء.

هذا الموقف وإن كان قد حصل بعد واقعة كربلاء وبعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) لكنَّه موقف بطوليٌّ يُحسب لهذه المرأة.

بل كان لها الدور الأكبر في الإرشاد إلى أحد قتلة الحسين (عليه السلام) وهو زوجها، فكان أن شاركت في ثأر الحسين وقتل قتلته.

القسم الثاني: الجوّاري في كربلاء



الناظر إلى تفاصيل واقعة كربلاء يجد فيها طيفاً واسعاً من الفئات الاجتماعية، وكما أنها في صنف الرجال لم تقتصر على قسم الأحرار، بل شارك فيها العبيد، ولم تنحصر في العرب بل شارك فيها الموالي. فكذلك الحال في صنف النساء فقد كان بالإضافة إلى العربيات والحرائر واللاتي تقدم الحديث عن بعضهن في صفحات سابقة، فإن واقعة كربلاء قد شهدت حضور نساء من الجوّاري، وأمّهات الأولاد،^(١) وغير العربيات. وكان لهؤلاء النسوة أدوار متقدمة في ساحة التضحية والوعي والالتزام. بالرغم من أن قسمًا منهن ضمن التصنيف الاجتماعي آنئذ كان يتعامل معهن على أساس أن لا دور لهن ولا موقف وإنما هن للخدمة والمتعة! إلا أن هؤلاء اللاتي سنورد بعض أسمائهن تجاوزن هذا السلم الاجتماعي الذي يضعهن في مرتبة متأخرة، لكي يحققن بمواقفهن

(١) الجارية: هي المرأة التي تشتري، فإذا تخطت بخدمة أهل بيت الرجل من النساء، وإما ينكحها الرجل ويسمى ذلك نكاح ملك اليمين، فإذا ولدت هذه الجارية لملكها، ثم مات عنها يقال لها: أم ولد، وبإنجابها منه تنعت وتصبح متحررة.

وبالنسبة للعبد الذي يشتري فقد يحرره سيده، وحينئذ قد يرغب هذا العبد المعتق في بقاء علاقة ولاء بينه وبين سيده، فيكون ولاؤه له، ويقال له (مولى فلان أو الأسرة الفلانية).

المتفانية وكلامهن الواعي مراتب متقدمة، ربما حتى على الحرائر.

✽ كربلاء مدرسة واسعة

وكربلاء كانت مدرسة واسعة الأفق، يتعلم فيها الجميع وبإمكان الجميع أن يخط على صفحة التاريخ مواقفه بأحرف من النور، من غير نظر إلى سنه وعمره، أو إلى موقعه الاجتماعي المتعارف.

فقد وجدنا فيها أطفالاً بحسب المنطق الاجتماعي وعدد السنين، ولكنهم قدموا صوراً من الشجاعة والإقدام يتعلم منها الكبار بل الشيوخ! فضلاً عما كان في أعمارهم.

واحتوت هذه المدرسة على مختلف الفئات العمرية فكما تلحظ فيها الأولاد الصغار من أبناء التاسعة والعاشر، تجد فيها من أعمار الثمانين وما فوقها! وتجد ما بين هذين الشباب والكبار والكهول.

وبهذا المعنى فهناك مجال للاقتداء بأفعالهم وأقوالهم من كل الفئات الاجتماعية.

والكلام نفسه ينطبق على فئتي الأحرار والأرقاء، في الرجال والنساء. وحيث أن حديثنا هنا سيتناول موضوع النساء الجوارى وموقعهن في فاجعة كربلاء، أحببنا أن نشير إلى موضوع مشكلة الرقيق والعبيد، وما هي مقررات الإسلام في ذلك.

✽ ماذا صنع الإسلام لمشكلة الرقيق والعبيد؟

من التساؤلات القديمة والتي تتجدد، وخصوصاً عند مَنْ يختلط

بالغربيين كالتّالِب المبتعث للدراسة في الخارج أو الجاليات المقيمة في البلاد الغربية.. قد يتكرّر السؤال عليهم: ماذا صنع الإسلام لمشكلة الرقيق والعبيد؟ هذا إن لم يكن بصيغة اتهامية! من أنه حافظ على تلك المشكلة وعمّقها بإيجاد تشريعات وقوانين لها.

ويستنتجون بعد ذلك أن تشريعات الدين الإسلامي مخالفة لحقوق الإنسان وأهمها حقها في الحرية. وربما ركز على هذه النقطة المبشرون المسيحيون وأشباههم.

والجواب على ذلك: بأننا لو نظرنا إلى العالم زمان مجيء الرّسالة الإسلاميّة، سنرى أنّ وجود العبيد والأرقاء من الجنسين بمعنى أنّ شخصاً يملك شخصاً آخر ويتصرّف فيه للخدمة أو للمتعة (في صورة اختلاف الجنس) ويشتره ويبيعه.. كان جزءاً من النّظام الاجتماعي والاقتصادي على مستوى العالم كله. وتتغذى هذه الحالة وتنمو من خلال قنوات متعددة منها الحروب والتي كان فيها السبي والتملك هو العنوان الأساس للفئة المنتصرة، ومنها حالات الغزو المحدود من قبيلة لأخرى،^(١) بل حال الاستعباد بالقوة حتى لو لم يكن هناك غزو.^(٢) ومنها أيضاً في بعض الأحيان حالات الفقر الشديد والعوز والتي كانت تدفع بالآباء والأمهات إلى «بيع» أبنائهم وبناتهم لكيلا يموتوا جوعاً.

وقد تعايش الناس في مختلف أماكنهم مع هذه الظاهرة غير الطبعية،

(١) مثال ذلك ما ذكره الزركلي في الأعلام ٥٧/٣ عن زَيْد بن حارثة (ت ٨هـ) زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحيل) الكلبي: صحابي. اختطف في الجاهلية صغيراً، واشترته خديجة بنت خويلد فوهبته إلى النبي صلى الله عليه وآله حين تزوجها، فتبناه النبي - قبل الإسلام - وأعتقه وزوجه بنت عمته.

(٢) وقد استعبد سلمان المحمدي على يد يهود، عندما جاء إلى يثرب باحثاً عن النبي محمد.

حتى أصبحت جزءاً من النظام الاجتماعي! بل والاقتصادي فمثلاً كان الشخص يحسب أملاكه أنها من الذهب كذا، ومن الأغنام كذا، كان يحسب أيضاً، كم لديه من الأرقاء العبيد والجواري الإماء.

بل كان يصعب على الكثير من الناس إدارة حياتهم من دون هؤلاء العبيد والإماء، هذا كان الوضع العام والسائد حينها، فجاء الإسلام ضمن هذا الظرف.

✽ طرق الإسلام في نفي الرّق والعبودية:

قام الإسلام بعدّة أمور سوف تنتهي على المدى البعيد إلى تخفيف هذه الظاهرة والقضاء عليها، فمنها:

الطريق الأول: مَنَعَ المصدر الأساس لهذه الظاهرة، فَحَرَّمَ على كلِّ إنسان أن يبيع نفسه أو أن يبيع حُرّاً أو أن يشتري حُرّاً، بمعنى أنّه كلٌّ من يعتنق الإسلام لا يجوز له أن يبيع نفسه حتّى لو بلغت ديونه ما بلغت ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾^(١)، فلا يستطيع الإنسان أن يبيع نفسه أو أحداً من عياله من أجل تسديد دينه، فضلاً عن أن يبيع حُرّاً من غير عياله^(٢) ولا يحقّ للدائن أن يصنع ذلك فهذا الباب أغلقه الإسلام بشكل نهائيّ.

الطريق الثاني: حَرَّمَ الغزو المتبادل بين القبائل؛ لأنه اعتداءٌ وظلم وكلّ ما يترتب عليه يكون باطلاً حتّى لو أخذت إبريقاً على أثر الهجوم

(١) البقرة: ٢٨٠.

(٢) الخوئي؛ الإمام أبو القاسم: مباني تكملة المنهاج - القضاء والحدود ٤١ / ٣٨٤: من باع إنساناً حُرّاً، صغيراً كان أو كبيراً ذكراً كان أو أنثى، قطعت يده.

على قبيلة أخرى فلا بد أن ترجعه فضلاً عما لو كان إنساناً.

الطريق الثالث: تعامل مع الحروب الكبرى بشكل مؤقت على أساس أن يتم التبادل بين من يؤسر من المسلمين وبين من يؤسر من أولئك.
فأغلق المصادر والمنابع التي ينبع منها هؤلاء العبيد والأرقاء من خلال هذه الطرق الثلاثة.

بقيت مشكلة العبيد والأرقاء الموجودين فعلاً في الأسواق حيث توجد كمية من العبيد والأرقاء والجواري في الأسواق لاتزال تُتبادل، خاصة وأن الإسلام لم يكن الدين الوحيد، ولا دولته الدولة الوحيدة المسيطرة على العالم حتى تلزم بقرارتها وتشريعاتها. هنا حاول الإسلام التخلص منها من خلال مجموعة أخرى من الوسائل:

الأولى: الترغيب في العتق، حيث جعل الإسلام تكفير الذنوب للإنسان يمرّ عبر تحرير الرقاب وعتق العبيد، والأحاديث في هذا كثيرة، ومنها ما عن «فاطمة بنت علي بن أبي طالب قالت: قال أبي عن رسول الله (ﷺ): من أعتق نسمة مسلمة أو مؤمنة وقى الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»^(١).

الثانية: تعدد الأسباب المؤدية للكفّارات المرتبطة بالعتق، حيث شرّع الإسلام كثيراً من الكفّارات التي ترتبط بتحرير رقبة وعتقها، مثل: كفّارة الإفطار على محرّم، أو كفّارة حنث اليمين، أو كفّارة قتل الخطأ، أو كفّارة الظّهار وغيرها، وهذا من الطرق المهمة التي من خلالها تمّ تجفيف أمر وجود الجواري والعبيد في المجتمع. ولو قمنا بحسبة

(١) ابن سعد: الطبقات الكبير ١٠ / ٤٣٢.

بسيطة فستجد أنّ هذا الطريق يقضي على هذه الظاهرة بنسبة كبيرة، فلو قلنا أنّ في عصرنا هذا يوجد مليار وسبع مائة مليون مسلم في العالم تقريباً، فلو فرضنا أنّ مليوناً منهم أفطروا يوماً واحداً عن عمد في شهر رمضان! ومن يفعل ذلك تجب عليه الكفارة، وأوّل خصال الكفارة هي تحرير رقبة، وهي بلا ريب أسهل من صوم شهرين متتابعين، وهي من الوسائل التي أنهت شيئاً كبيراً ممّا في أيدي الناس من الجواري والعبيد

الثالثة: التعاقد الاجتماعي بين العبد وسيّده، وهو ما نسمّيه في الفقه بـ (المُكاتبَة)، حيثُ شرّع الإسلام المُكاتبَة: وهي أن يُكاتبَ (يُشارط) العبدُ سيّده على مبلغ من المال مقابل أن يعتقه، فلو كان هناك عبدٌ - أو جاريةٌ - يريد التّحرر، فيتفق كلّ واحد منهما مع مالكه بأن يسدّد العبدُ قيمته لمالكه إمّا دفعة واحدة أو على دفعات مقابل أن يحرّره ويعتق رقبته فإن قبل المالك ذلك كان هذا العقد لازماً له، ويتحرّر ذلك العبد أو تلك الجارية بمقدار ما دفع لمالكه من المال.

جاء الإسلام بهذه الطرق المتعدّدة من أجل القضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية بحيث تنتهي تدريجياً مع رضا الناس ومع وعدهم بالأجر والثّواب مقابلها، ومن دون أن يقرّر قراراً قد لا يطبّق. أو يطبق بالقوة وللطرف الآخر حق الاحتجاج بأنه قد دفع مالاً في مقابل شراء هذه الجارية أو ذلك العبد!

وبالفعل تراجعت هذه الظاهرة تراجعاً كبيراً إلا ما نجده عند قسم من الخلفاء والسلاطين وأصحاب الاستكبار والتّرف، أمّا عند أغلب النّاس المتأثرين بتعاليم الإسلام فقد تراجعت إلى درجة كبيرة، لاسيّما مع ملاحظة جهةٍ أخرى أنّ بعض الجواري والعبيد عندما جاؤوا عند

بعض البيوت الرفيعة والتصقوا بأهلها، صاروا لا يريدون أن يفارقوهم لدرجة أنك لو أخبرته أنك أصبحت حُرّاً وبإمكانك الابتعاد عني فإنه لا يقبل، فأتاح الإسلام في ذلك فرصة بأن يعتقه ويبقى له ولاؤه، مثل قنبر مولى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي أعتقه ولكن بقي ولاؤه للإمام، وكان أمير المؤمنين يكرمه للدرجة التي كان يشتري لنفسه ثوباً بدرهمين وهو الخليفة آنذاك ولقنبر ثوباً بثلاثة دراهم، فكانت تلك العناية من أمير المؤمنين لقنبر وتلك المعاملة له وهو الغريب عن البلاد والأهل جعلته أن يبقى على ولائه في كنف أمير المؤمنين وأن لا يفارقه أبداً.

هذا بشكل إجمالي ما يرتبط بالخطوات التي اتخذها الإسلام لإلغاء هذه الظاهرة وتراجعها بشكل تدريجي، نعم فيما بعد أصبح هناك قانون دولي وصار هناك إلزام حتمي بالنسبة إلى الدول منذ نحو قرن من الزمان أنه لا يوجد رق في أي مكان وأصبح تحت قانون دولي يُجرّمه، وهذا كان بعد زمن طويل بعد أن انتهت هذه السوق واستُنزفت عبر الخطوات التي ذكرناها آنفاً.

إضافة إلى ذلك جاء الدين الإسلامي واعتبر أن لهم من الكرامة بحسب أفعالهم وبحسب مواقفهم ما يشاؤون، للدرجة التي تبوأ بعضهم مواقع اجتماعية مهمة.

وباعتبار أن حديثنا في اتجاه النساء في كربلاء سوف تقتصر على إيراد بعض الأمثلة في هذا الاتجاه، وإلا فهناك أمثلة كثيرة في حياة المسلمين العامة.

* أسماء بعض الجواري في كربلاء

نجد في كربلاء بعض النساء اللّاتي جئنَ مع سيدات بني هاشم باعتبار أنّهنَّ كنَّ مَوَلَّياتَ لهنَّ عِشْنَ حياتهنَّ مع هذه النّساء، ومن تلك المَوَلَّيات:

١/ فضة النوبية:

هي جارية أهداها النبي (ﷺ) إلى فاطمة (عليها السلام) لتعينها على أمور البيت والحياة الزوجية باعتبار أن فاطمة وقد تزوجت وهي ابنة عشر سنين وأنجبت بعد ذلك بسنة ابنها الحسن، وتبعه في سنة لاحقة أخوه الحسين، وهكذا زينب وأم كلثوم.. وكان عليها مسؤوليات البيت من تنظيفه وترتيبه، وكذلك عليها مسؤولية الأولاد من الارضاع والتربية، وسائر شؤون المنزل، وقد عبر عن حالتها الحديث المشهور عن أمير المؤمنين قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء أنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً^(١) يكفيك حرّاً ما أنت فيه من هذا العمل»^(٢) وكانت نتيجة ذلك بعد مدة أن جيئ للنبي (ﷺ) بجوارٍ، أهدى إحداهن وهي فضة النوبية إلى فاطمة (عليها السلام).

وحملت فضة هذه عن فاطمة بعض ثقل البيت،^(٣) وانتفعت أيما انتفاع

(١) الخادم في اللغة يطلق على الأثني أيضاً، فلا يتصور أنها تسأله خادماً ذكراً.

(٢) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٣٢٠/١.

(٣) ابن الأمين الطليطلي: إبراهيم: الاستدراك على الاستيعاب ١٠٤/١، وذكره العسقلاني في =

من وجودها في بيت الزهراء (عليها السلام)، فإنها شاركت الصديقة الزهراء وأمير المؤمنين في الصوم ثلاثة أيام لشفاء الحسين،^(١) وينقل عن أمير المؤمنين دعاؤه لها بقوله: اللهم بارك في فضتنا، كما أن فاطمة (عليها السلام) قسمت عمل البيت بينها وبين فضة: يوم لها ويوم لفضة^(٢).

ويظهر من بعض الأخبار أنها كانت في معمة حدث إسقاط الصديقة الزهراء (عليها السلام) من قبل القوم وقد أشار الزنجاني في موسوعته إلى قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لها - حين سقط الجنين -: يا فضة! مولاتك فأقبلي منها ما تقبله النساء،^(٣) وهكذا كانت مع السيدة الزهراء إلى حين وفاتها (عليها السلام).

وقد زوجها أمير المؤمنين إلى شخص يقال له أبو ثعلبة الحبشي فأولدها، ومات عنها فتزوجها من بعده آخر يقال له سليك الغطفاني وأنجبت له.^(٤)

= الإصابة في تمييز الصحابة ٢٨٢ / ٨: «روى بسنده عن علي أن رسول الله (ﷺ) أخذم ابنته جارية اسمها فضة النوبية، وكانت تشاظرها الخدمة، فعلمها رسول الله (ﷺ) دعاء تدعوه فقالت لها فاطمة: أتعجنين أو تطبخين؟ فقالت: بل أعجن يا سيدتي وأحطب، فذهبت واحتطبت وحزمت، ولم تطق أن تسوق الحزمة، فرفعت رأسها إلى السماء، فدعت ربها بالدعاء الذي علمها رسول الله (ﷺ) وهو: «يا واحد ليس كمثله أحد، تمت كل أحد، وتفني كل أحد، وأنت على عرشك واحد لا تأخذك سنة ولا نوم، سهل لي من يحمل هذا الحطب، فجاء أعرابي كأنه من أزد شنوءة فحمل الحزمة إلى بيت فاطمة»

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٣٦ / ٧: وقد ذكره أكثر من تعرض لتفسير سورة الإنسان في آية (ويطعمون الطعام..)

(٢) الزنجاني الخوئي؛ اسماعيل الأنصاري: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) ٤٢٩ / ١٧.

(٣) المصدر نفسه ٤٣٠

(٤) النعمان المغربي: أبو حنيفة: شرح الأخبار ٣٢٩ / ٢، ومناقب آل أبي طالب في سياق الحديث عن تعليمها حكمًا شرعيًا للخليفة الثاني، وقد اعترض المحقق البحراني رحمه الله في الدرر على الحديث سندًا ومتنًا!

وينقل عنها أنها كانت إذا تكلمت تتكلم بالقرآن الكريم، وقد نقل ذلك عن أبنائها فيما نقله العلامة المجلسي عن كتاب للقشيري.

ويظهر أنها بقيت مع السيدة زينب فيما بعد شهادة أبيها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنها رافقت العقيلة زينب في المسير إلى كربلاء، وينقل عنها عدة أخبار في ما يرتبط بحوادث كربلاء، منها ما ذكره الزنجاني كعناوين ولسنا في صدد إثبات أو نفي ما هو مذكور، مثل:

إخبار فضة للأسد في كربلاء عن وطء الخيول على أجساد الشهداء بعد قتل الحسين (عليه السلام) ومشى الأسد عند الحسين (عليه السلام) ووضع يديه على جسده ومنعه عن إرادتهم.

استئذان فضة من زينب للدعاء في شأن الأطفال حيث أضر بهم الجوع، مجيئها إلى تلّ صغير والصلاة فيها ركعتين لاستجابة الدعاء فإذا قصعة مملوءة باللحم والمرق وفوقها قرصان من الخبز وأكل أهل البيت (عليهم السلام) والأطفال منها إلى يوم بعد ذلك.

مساعدة فضة لزينب يوم خرجهن من كربلاء بعد ما ركبت النساء والأطفال والإمام زين العابدين (عليه السلام). وبالرغم من أننا لم نجد بحسب معلوماتنا شيئاً في تفاصيل عودتها مع الركب الحسيني إلى المدينة إلا أن ذلك هو مقتضى رفقتها معهم إلى الشام.

وتفيدنا المعلومات السابقة ما يلي:

أولاً: أن معادن الناس هي الأساس، وإن كانت مظاهرها الخارجية وتصنيفاتهم الاجتماعية تبخس حقوقهم. ومتى ما حصلت فرصة لظهور تلك المعادن فإنها قد تعرب عن جوهر نفيس. وفضة النوبية شاهد على

ذلك فإن تصنيفها الاجتماعي يقضي بأنها جارية تباع وتشتري، وأنها لكونها غير عربية فهي في مرتبة أدنى من العرييات ضمن ذلك المجتمع، إلا أنها لما عملت بما جاء في كتاب الله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وهذبت نفسها أصبحت مستجابة الدعوة كما يفيد أكثر من حديث يشرح أحوالها.

وثانياً: إن مدرسة أهل البيت (عليه السلام)، وأجواءهم تعنى بتربية من يكون في محيطهم، حيث كان أئمة الحق والهدى، يتعاملون مع مختلف الطبقات بنحو متساو فيكرمون من يستحق الكرامة، ويحبون من التربية ما يصعد به أعلى الدرجات، على خلاف باقي التوجهات التي جعلت العرب مثلاً في رأس قائمة التكريم، وجعلت باقي الأجناس في مراتب متأخرة بعدهم، حتى لقد آثروا العرب في العطاء المادي فضلاً عن التكريم الاجتماعي. في المقابل برهن مذهب أهل البيت وتوجيهاتهم على أنه «كلكم لآدم وآدم من تراب».

وثالثاً: إن ما حصل منها في أيام كربلاء لم يكن وليد يومه وإنما كان امتداداً لمسيرة استمرت أعواماً من الالتزام بهدي أهل البيت ومعرفتهم.

٢ / فُكَيْهَةُ زَوْجَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَرِيْقَطِ اللَّيْثِيِّ:

جارية كانت للحسين (عليه السلام) خدمت زوجة الإمام الحسين الرّباب بنت امرئ القيس من أوائل زواجها أي من حدود ما قبل سنة ٢٠ إلى سنة ٦١ هجرية، وقد زوّجها الإمام الحسين (عليه السلام) برجل يقال له عبد الله بن أريقط الليثي^(١) الدّوّلي، فولدت لهما ولداً كان أحد شهداء كربلاء

(١) قد أشار الشيخ التستري في قاموس الرجال ٤٥٩/٨ إلى أن كونه مولى للحسين لا يجتمع مع كون والده عربياً! فهل أن ما ذكر من زوجية أمه لعبد الله بن أريقط غير =

واسمه (قارب)، وبناء عليه قيل: (قارب مولى الحسين)، فخرجت معه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء، وقد دفعته أمّه لأن يقاتل بين يدي الحسين، فتقدّم مبارزاً حتّى نال شرف الشّهادة في أرض كربلاء، واستشهد في الحملة الأولى قبيل ظهيرة عاشوراء بساعة ونال هذا الشرف العظيم حتّى جاء اسمه في زيارة النّاحية المقدّسة وهي الزيارة التي ذكر فيها أسماء الشّهداء حيث سلّم عليه الإمام قائلاً: «السّلام على قارب مولى الحسين بن عليّ»^(١)، أمّا أمّه فكيفه (رضوان الله عليها) فقد انضمت إلى ركب الأسارى الذين بعثهم ابن زياد إلى الشّام، حيث واست هذه المرأة النّجبية أهل البيت (عليهم السلام) بما جرى عليهم من الأذى.^(٢)

وقد ذكرت في بعض المصادر بعنوان (فاكهة).^(٣)

٣ / حُسنِيّة زوجة سَهْم:

وهذه جارية أخرى من جوارى الإمام الحسين (عليه السلام) وقد زوّجها من سَهْم فولدت منه غلاماً شهماً اسمه (مُنْجَح)، وقد جاءت به أمّه المؤمنة إلى واقعة كربلاء، وشهدت معه تلك المشاهد المهولة، فدعته إلى نصره إمامه الحسين، فلبّى ذلك ولا يأمل إلا الشرف الرفيع حتّى ناله، حيث نُقل في كتب المقاتل: خرج مُنْجَحُ بن سهم من المدينة في صحبة الإمام الحسين (عليه السلام)، ولما تبارز الفريقان في كربلاء، قاتل مُنْجَحُ قتال الأبطال، فعطف عليه حسان بن بكر الحنظليّ فقتله، وذلك

= سليم، أو ما ذكر من كون الابن قارب مولى للحسين غير تام؟ مع أنه مذكور كوصف له في زيارة الشّهداء؟

(١) ابن طاووس: الإقبال ص ٤٤ - ٤٥، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٧١/٩٨.

(٢) السماوي؛ الشيخ محمد: إِبصار العين في أنصار الحسين ص ٩٦.

(٣) مكتب طباعة الكتب المساعدة التعليمية: موسوعة الإمام الحسين (ع) ١٧ / ٣٨٤.

في أوائل المعركة يوم عاشوراء، وقد ورد السَّلام عليه أيضًا في زيارة النّاحية: «السَّلامُ عَلَى مُنْجَحِ مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ»،^(١) أما أمّه حُسَيْنَةُ، وهي المفجوعة بولدها، ثُمَّ بِإِمَامِهَا، كانت أيضًا من ضمن السَّبايا إلى الكوفة ثُمَّ الشَّام، حتّى عادت مع الركب الحسينيّ إلى المدينة، وعاشت في بيت الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وطوت حياتها على الحزن بعد أن شهدت تلك المصائب وواست آل المصطفى.

٤ / كَبْشَةُ زَوْجَةِ رَزِين:

وهي من الجواري التي انتقلنَ بهديّة من الإمام الحسين (عليه السلام) إلى زوجته أمّ إسحاق التَّيْمِيَّة، وهذه الجارية كانت عندها بمثابة معاونة ومساعدة لها، زَوَّجَهَا الإمام الحسين (عليه السلام) من رَزِين، وهذه من الأمور الَّتِي كان الأئمّة (عليهم السلام) يهتمّون بها فهؤلاء العبيد والجواري الَّذِينَ هم تحت أيديهم، على الرغم من أنّهم مملوكون إلا أنّ لهم احتياجات أيضًا فكانوا يساعدونهم في تكوين حياة وأسر لهم، وإذا أَحَبُّوا أن يُعْتَقُوا وينصرفوا فكان الأئمّة يصنعون لهم ذلك، لكنّ أغلب هؤلاء يَجْبَدُونَ أن يبقوا تحت رعاية الإمام لشدة ما يلقوه من الإكرام عند الأئمّة (عليهم السلام)، فهذه المرأة بعد أن تزوّجت برَزِين أنجبت له ولدًا اسمه (سُلَيْمَان)، وسُلَيْمَان هذا هو الَّذِي أرسله الإمام الحسين حين كان في مكّة بكتاب إلى رؤساء الأخماس والأشراف بالبصرة قبل انطلاقه إلى كربلاء، فجاء سُلَيْمَان بالكتاب إلى جميع أشراف البصرة، فرحبوا به ووعدوه بالنَّصر عدا واحد منهم وهو المنذر بن جارود العبيدي الذي وشى به إلى عبيد الله بن زياد حينما كان والياً على البصرة، فأمر بضرب عنقه،^(٢) وقد خصّ

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٩٨ / ٣١٧.

(٢) ذكرنا شيئاً من سيرته في كتابنا أصفياء الله عند حديثنا عن (الموالي في كربلاء).

سُلَيْمَان بِسَلَام فِي زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ: «السَّلَام عَلَى سُلَيْمَانَ مَوْلَى الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَوْفِ الْحَضْرَمِيِّ»^(١).

أَمَّا أُمُّهُ كَبْشَةُ فَقَدْ قَدِمَتْ مَعَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِلَى كَرْبَلَاءَ، وَشَاهَدَتْ كُلَّ مَا جَرَى عَلَى آلِ الرَّسُولِ مِنْ مَصَائِبَ وَرَزَايَا وَصَبْرَتْ وَاحْتَسَبَتْ وَانْضَمَّتْ إِلَى رُكْبِ السَّبَايَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَهَذِهِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي كُنَّ أَيْضًا فِي هَذَا الْإِتْجَاهِ.

فَكُونِ أَنْ الْمَرْأَةَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الظَّاهِرِيَّةِ (جَارِيَّةٍ أَوْ مَوْلَاةٍ أَوْ أُمَّ وَلَدٍ) لَا يُوَثِّرُ كَثِيرًا فِيهَا لَا فِي مَقَامِهَا فِي الْآخِرَةِ وَلَا تَقْدِيرُهَا فِي الدُّنْيَا، إِنَّمَا الَّذِي يُوَثِّرُ فِيهَا عَمَلُهَا وَفَعْلُهَا وَمُمَارَسَتُهَا.

(١) ابن طاووس: الإقبال ص ٤٤ - ٤٥، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٧١/٩٨..

من شهيدات النهضة الحسينية



أسماء شهداء النهضة الحسينية من الرجال والشباب هي غالباً محفوظة ومدونة، فالذي يذهب إلى كربلاء مثلاً يجد أسماء الرجال وأسماء الصبية والصغار من الشهداء محفورة ومنقوشة في أكثر من مكان، بل حتّى في بعض الحسينيات خارج العراق سلكت هذه السنة الحسنة بأن تدون أسماء الشهداء لتخليد ذكرهم وللتعريف بأسمائهم، غير أننا لا نجد نفس الأمر لمن كانت شهيدة في كربلاء من النساء، وقد أحصى المؤرّخون وكتب السيرة خمس شهيدات ما بين امرأة ناضجة وفتاة صغيرة، إلا أنّه لم يُسلطّ عليهنّ الضوء إلا بنحو قليل، وسنستعرض أسماء هذه النسوة اللاتي فُزن بدرجة الشهادة. ونقدم لذلك بمقدمة حول مصطلح الشهيد والشهادة والأحكام المترتبة على ذلك.

✦ الشهيد لغة واصطلاحاً

لغة: كلمة (شهيد) مشتقة من الفعل (شهد-يشهد)، ومعناه الحضور، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: مَنْ كان حاضراً، وتقول: شَهِدْتُ المعركة الفلانية، وشَهِدَ فلان الحادثة الكذائية يعني حَضَرَها، ويترتب على الحضور المباشر أن يكون للحاضر علم تفصيلي

دقيقٌ بما جرى، ثمَّ بعد ذلك لو أراد أن ينقل الخبر فهو يشهد بذلك، أي أنَّه يُخبر عن علم، فهي مراحل متتالية: شهود أوَّلاً بمعنى الحضور، ثمَّ علمٌ بما جرى، ثمَّ لو أراد الإخبار عنه والشَّهادة يكون ذلك عن علم.

اصطلاحاً: (الشَّهيد) في الاصطلاح تارة يُطلق ويراد به الَّذي يترتَّب عليه آثار فقهيَّة محدَّدة، وهو ما ذكره العلماء في باب تغسيل الميت، فإنَّ كلَّ إنسان مسلم يموت، يجب تغسيله وتكفينه والصَّلاة عليه ودفنه، ويُستثنى من مورد التَّغسيل والتَّكفين على نحو العزيمة والفرض (الشَّهيدُ)، فالشَّهيد من المستثنى في لزوم التَّغسيل والتَّكفين.

✽ الشَّهيد فقهيّاً

وهناك شروط محدَّدة للشَّهيد الَّذي لا يُغسَّل ولا يُكفَّن:

- أن يكون مقتله في داخل المعركة.
 - أن تكون المعركة لاتزال قائمة. فلو جرح فيها ومات بعد انقضائها فلا يعد شهيدا بهذا المعنى الخاص.
 - أن تكون الرأية راية معصوم أو راية عادلة كما ذهب إليه المتأخرون.
- فإذا اجتمعت هذه الصِّفات، وقتل الإنسان وفاضت نفسه فلا يصح تغسيله ولا تكفينه بل يصلى عليه ويدفن بملابسه هكذا وهي مرتبة من المراتب.
- هناك آثار أخرى للشَّهيد في كونه يشفع لفئام وجماعات كثيرة من النَّاس ويكون مع الصَّديقين بمقتضى الاقتران الموجود في القرآن الكريم^(١)، هذا الشَّهيد الَّذي ينظر إليه بالعنوان الفقهي.

(١) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ =

❖ سؤال وجواب

لماذا أطلقنا على الذي يُقتل في المعركة لفظ (شهيد)؟، رغم أن الشهيد بالمعنى اللُّغوي هو الحاضر، والعالم الذي يؤدي شهادة ويُخبر عن شيء، فهذا بحسب النظرة الظاهرية مات ولم يقدم علماً ولم يشهد؟.

الجواب:

١/ أطلق عليه (شهيد) لأنَّ (شهيد) هنا بمعنى المشهود له، لأنَّ صيغة (فعل) أحيانا تأتي بمعنى مفعول، مثل قتل بمعنى مقتول، وشهيد بمعنى مشهود له، لأنَّ الله سبحانه وتعالى وملائكته يشهدون له بالوفاء وأنَّه ذهب لآخر المشوار وهو على إيمانه، فهم يشهدون له بالجنة والثواب العظيم فهو شهيد بمعنى مشهود له.

٢/ أطلق عليه (شهيد) لأنَّه يشهد بمعنى يرى ويعلم، يرى ملكوت الله، ويرى الجنة والنَّعيم الذي وُعدَّ به، هو قبل شهادته إنسان عادي، فالحواجز الماديَّة تعيقه عن النَّظر إلى ملائكة الله، وإلى جنة الله، وإلى ثواب الله، لكن عندما يتشرَّف بالشَّهادة يُكشف له عن بصره، فيشهد هذه الأمور يكون عالماً بها ناظراً لها وبالتالي يستطيع أن يخبر عنها لو أُتيح له ذلك.

٣/ أطلق عليه (شهيد) لأنَّه يشهد على الخلائق من بعده، بمعنى أنه لا ينتهي دور الشَّهيد بموته، وإنَّما يبقى عنده نحوُ إشراف ونظر على النَّاس فيعرف من يُسيء ويعرف من يُحسن، وكأنَّ الله سبحانه أعطاه

هذه القوة والقدرة^(١) لا سيّما وهم ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢)، ثم تقول الآية: ﴿فَرَحِينْ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

هذه العلاقات هي التي جعلت إطلاق كلمة (شهيد) - التي في الأصل تعني الحضور والعلم وتقديم الشهادة - تنطبق على هذا الإنسان الذي يُقاتل في سبيل الله سبحانه بالشروط التي ذكرناها ويصل إلى مرتبة الشهادة، والتي هي كما وردت في حديث سيّد الأنبياء محمد (عليه السلام): «فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ حَتَّى يُقْتَلَ الْمَرْءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ»^(٤)، فكل شخص لديه أعمال خيرة، يوجد ما هو أعلى منها درجة، مثلاً: خدمة الناس برّ، الشفاعة بينهم في إصلاح خلافاتهم برّ، الإنفاق على المحتاج منهم برّ وهكذا، سواء في الكمية أو الكيفية، إلى أن يصل الأمر أن يُقتل الإنسان في سبيل الله (عز وجل) فليس فوقه برّ، كما قال الشاعر في حق أصحاب الحسين (عليهم السلام):

جَادُوا بَأَنْفُسِهِمْ فِي حُبِّ سَيِّدِهِمْ وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَسْمَى غَايَةِ الْجُودِ

يعني ليس وراء هذا شيء أكثر من النفس، فالشهادة هنا هي المرتبة العالية، وكما كان هناك شهداء رجال كان هناك شهداء نساء.

(١) بملاحظة الجهات المختلفة قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ص ٢٩٢: «لأن ملائكة الرحمة تشهد، أو لأن الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة، أو لأنه ممن يستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية، أو لسقوطه على الشاهدة، أي: الأرض، أو لأنه حي عند ربّه حاضر، أو لأنه يشهد ملكوت الله وملكه، ج: شهداء».

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) النساء: ١٧٠.

(٤) الكليني: الكافي ٥/ ٥٣.

مَنْ لَهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ

الجدير بالذكر أنَّه عُبِّرَ عن البعض بالشُّهداء، وهم لم يكونوا في المعركة وهذا موجود عند الفريقين، حيث جاء: «إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ»^(١)، والمرأة النفساء إذا مَاتَتْ فِي نَفَاسِهَا حِينَ تَمَخُّضٍ أَوْ بُعِيدَ بِقَلِيلٍ فَهِيَ بِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا أَيْضًا عِنْوَانُ الشَّهِيدَةِ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا جَاءَ فِي تَرَاثِ الْفَرِيقَيْنِ: «مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيدًا»^(٢)، فهذه عناوين مختلفة أُطْلِقَ عَلَيْهَا عِنْوَانُ الشَّهِيدِ، وَلَكِنْ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا آثَارُ عِنْوَانِ الشَّهِيدِ فِي الْمَعْرَكَةِ، فَلَوْ مَاتَ إِنْسَانٌ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ لَا بَدَأَ أَنْ يَغْسَلَ وَيُكْفَنَ وَيُجْرَى عَلَيْهِ جَمِيعُ السَّنَنِ، وَكَذَلِكَ النَّفْسَاءُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ النَّبِيِّ وَآلِهِ كَذَلِكَ، فَالْآثَارُ الْفَقْهِيَّةُ لَا تَتَرْتَّبُ عَلَى هَؤُلَاءِ، بَلْ رُبَّمَا يُقَالُ أَيْضًا بَعْضُ الْمَرَاتِبِ - كَمَرْتَبَةِ الشَّفَاعَةِ - الَّتِي يَنَالُهَا الشَّهِيدُ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَتَرْتَّبَ عَلَى هَذِهِ الْعَنَاوِينَ، وَإِنَّمَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَفَضُّلاً مِنْهُ وَمِنَّةً عَلَى عِبَادِهِ جَعَلَ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ تَنَالُ أَجْرًا كَأَجْرِ الشَّهِيدِ، بَحِثْ يَكُونُ (أَجْرُ الشَّهِيدِ) وَحْدَةً قِيَاسًا، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ نُزِّلُوا مَنْزِلَةُ الشَّهِيدِ يَنَالُونَ عَطَاءَ الشَّهِيدِ وَثَوَابَهُ وَأَجْرَهُ وَجَزَاءَهُ.

✽ شَهِيدَاتُ فِي كَرْبَلَاءَ

وبعد هذه المقدمة فإن واقعة كربلاء قد سجلت شهادة عدد من النساء فيها، وهن وإن لم يقاتلن بالمعنى الخاص للقتال إلا أنهن قضين نحبهن على يد الجيش الأموي الغاشم. نشير إلى بعض أسمائهن:

(١) الريشهري؛ محمد: ميزان الحكمة ٢٠٧٢/٣.

(٢) المصدر نفسه ١٥١٧/٢.

٢٠ / بنتان للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام):

ذكرت هاتان البنتان بعنوان (أمّ الحسن وأمّ الحسين) وأمّهما أم بشير فاطمة الخزرجية، وهي إحدى زوجات الإمام الحسن المجتبي وأنجبت له أبناءً ذكوراً وإناثاً، وما يلفت النظر - وهو أمر غريب إلى حدّ ما - أنّ ابنها الأكبر - و(اسمه زيد بن الحسن) والذي عمّر عمراً طويلاً حيث قالوا إنّهُ مات وعمره (٩٠) سنة، وفيه عقب الإمام الحسن (عليه السلام) - لم يأتِ إلى كربلاء لا مع عمّه الحسين (عليه السلام) ولا رافق أمّه وأُختيه فبقي على قيد الحياة، وكانت علاقته مع السّلطة الأمويّة هادئة، وكان رسمياً هو المتولّي على أوقاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) من جهة الأمويين، حيث من جهة أهل البيت (عليهم السلام) في بعض الفترات كان المتولّي الإمام زين العابدين، وفي بعضها الآخر كان الإمام الباقر (عليه السلام)، لكنّ الجهة التي يعترف بها الأمويّون كان زيد بن الحسن، وقد نُقل في أحواله كما ذكر الإمام الخوئي (رضوان الله عليه) في كتابه معجم الرجال، أنّه لم يدّع الإمامة ولم يدّعها له أحد ولم ينازعه أحدٌ عليها، ولا نعلم ماذا كانت ظروفه؟ هل كان يرى مثلاً أنّه ليس من الصّالح أن يُقتل أبناء الإمام الحسن والحسين فاحتفظ بنفسه؟ أو كان يسلك مسلك التّقية المشدّدة؟، أو أنّه كان متحالفاً مع الأمويين وفي صفهم؟ هذا غير معروف عندنا، لكن المعروف أنّه لم يأتِ إلى كربلاء مع أمّه وأختيه أمّ الحسن وأمّ الحسين.

أمّ الحسن وأمّ الحسين في كربلاء كانتا في سنّ (١١ و ١٢) سنة كما ذُكر، فلمّا هجمت الخيل على المخيمّ صارت هاتان الأختان تحت حوافر الخيل فماتتا، فإذا حصل هذا قبل شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) - لأنّ الهجوم على المخيمّ حصل مرتين قبل وبعد الشّهادة - فهل يطلق عليهن

أَنَّهِنَّ شَهِيدَاتٌ بِالْمَعْنَى الْفَقْهِيَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ تَغْسِيلُهُنَّ أَوْ تَكْفِينُهُنَّ لِأَنَّهُ مَنْ قُتِلَ فِي مَعْرَكَةٍ - وَلَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ مَقَاتِلًا - قَائِدُهَا مَعْصُومٌ أَوْ قَائِدُهَا عَادِلٌ سِوَاهُ كَانَ فِي وَسْطِ الْمَعْرَكَةِ أَوْ فِي حَوَاشِيهَا^(١) وَالْفَرَضُ أَنَّهُمَا قُتِلَتَا فِي الْمَعْرَكَةِ وَلَمْ تَنْتَهِ حَيْثُ لَا يَزَالُ الْحُسَيْنُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فَقَدْ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا شَهِيدَتَانِ بِالنَّظَرِ الْفَقْهِيِّ^(٢)، وَإِذَا كَانَ الْهَجُومُ عَلَى الْمَخِيْمِ بَعْدَ أَنْ اسْتُشْهِدَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَدْ انْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ حِينَئِذٍ، لَا تَدْخُلُنَ ضَمْنَ الشَّهِيدَاتِ كَحُكْمِ فَقْهِيٍّ هَذَا كُلِّهِ إِذَا تَمَّ تَوْسِيعَةُ دَائِرَةِ الشَّهِيدِ لِتَشْمَلَ غَيْرَ الْمُقَاتِلِ مِمَّنْ يَقْتُلُ فِي الْمَعْرَكَةِ. وَإِلَّا فَهِنَّ شَهِيدَاتٌ بِالْمَعْنَى الْأَعْمَى. وَنَفْسُ الْكَلَامِ يَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَتَأْتِي.

٣ / السَّيِّدَةُ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ:

جَاءَتْ مَعَ أُمِّهَا رَقِيَّةَ الصُّغْرَى بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمَعَ أُخْتِهَا حَمِيدَةَ وَمَعَ إِخْوَتِهَا، وَكَانَ يَتَرَقَّبْنَ بِلَا رَيْبٍ أَنْ يَلْقَيْنَ أَبَاهُنَّ مُسْلِمًا فِي كَرْبَلَاءَ أَوْ يَذْهَبْنَ إِلَيْهِ إِلَى الْكُوفَةِ، لَكِنَّ الَّذِي حَدَثَ أَنَّ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَدْ اسْتُشْهِدَ قَبْلَ وَصُولِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى الْكُوفَةِ..

هَذِهِ الْبِنْتُ سُحِقَتْ تَحْتَ حَوَافِرِ الْخَيْلِ مِنْ قَبْلِ جَيْشِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَكَانَ عُمْرُهَا (٧) سَنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا، وَحِينَ نَدَقَقَ نَجْدٌ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ قُتِلَ مِنْ

(١) فَقَدْ يَسْتَفَادُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ كَمَا عَنْ شَيْخِ الطَّائِفَةِ الطُّوسِيِّ فِي الْمَبْسُوطِ ١٨٢/١: كُلُّ مَنْ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ حُكْمٌ لَهُ بِحُكْمِ الشَّهَادَةِ عَمْدًا قُتِلَ أَوْ خَطَأً بِسِلَاحٍ أَوْ غَيْرِ سِلَاحٍ شَوْهَدَ قَاتِلَهُ أَوْ لَمْ يُشَاهَدَ .

(٢) هَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْبَحْثِ الْفَقْهِيِّ فِي أَنَّهُ هَلْ يَشْتَرِطُ أَنْ يَكُونَ الشَّهِيدُ مَقَاتِلًا بِنَحْوِ مَنْ الْأَنْحَاءِ وَأَنَّهُ «بَيْنَ الصَّفَيْنِ»؟ فَلَا تَدْخُلُ فِيهِ مِثْلُ هَاتَيْنِ الْبَنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُوجِمَتَا بِالْخَيْلِ، أَوْ أَنَّهُ لَا يَشْتَرِطُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الْقَتْلُ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ وَلَا تَزَالُ قَائِمَةً فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِمَا وَلَسْنَا الْآنَ فِي صَدَدِ هَذَا الْبَحْثِ. فَمَكَانُهُ فِي الْفَقْهِ.

فتيات وبالغات وأولاد ماتوا سحقاً تحت حوافر الخيل وهذا يُبين مقدار التَّعمد في المسألة، وإلا في الغالب لا يحصل هذا في الحالات العادية من الاحتياط والحذر، لكنَّ هؤلاء يهجمون دون مراعاة لأيِّ شيء.

فهذه ثلاث فتيات من الأسرة الطالبيّة ممَّن اسْتُشْهِدْنَ في كربلاء.

٤ وه / أم وهب بن عبد الله الكلبي وزوجته قمر بنت عبد النمرية:

وهاتان المرأتان من أسرة واحدة، وبحسب ما نقله الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه في أماليه^(١) أنَّ هذه الأسرة بأكملها اسْتُشْهِدَتْ في كربلاء، الزوج «وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي»، وأمّه «أم وهب»، وزوجته «قمر بنت عبد النمرية القاسمية»، وينقل الشيخ الصدوق أنَّ هذه الأسرة لم تكن على دين الإسلام، وإنَّما اتَّقوا بالإمام الحسين (عليه السلام) في منطقة (الثعلبية) - التي تبعد حوالي ٤٠٠ كم من كربلاء - قبل أسبوع أو ثمانية أيَّام تقريباً من وصول الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء، وهناك قذف الله في قلوبهم حبَّ الحسين (عليه السلام) وأهل البيت وبصَّروهم بما هم فيه، فأسلموا واتَّبَعُوا الحسين (عليه السلام) ونصروه، وكان الزوجان حديثي عهد بالزَّواج، وكان نصيب هذه الأسرة (الزوج وزوجته) أن يذهبا إلى الآخرة وأن يكون زواجهما في ذلك العالم وأن يحظوا بالشَّهادة.

هاتان المرأتان (أم وهب) والزَّوجة (قمر) وزوجها (وهب)، ساروا مع الإمام الحسين (عليه السلام) حتَّى إذا كان يوم العاشر برز وهب وجاهد وقاتل قتال الأبطال ورجع إلى أمّه، وقال لها: أرضيت عني؟، قالت: لا حتَّى ترجع وتُسْتَشْهِد بين يدي ابن بنت رسول الله (ﷺ)، فرجع وحمل حملةً أخرى فأخذوه أسيراً إلى عمر بن سعد - فأمر عمر بن

(١) الصدوق: الأمالي ص ١٣٧.

سعد بقطع رأسه! وهذا الأمر الصادر من ابن سعد على خلاف القوانين الدينيّة والأخلاقيّة من أنّ الأسير لا يُقتل في أرض المعركة، وهذا هو المتعارف في ذلك الوقت من النّاحية القانونيّة، لكنّ هؤلاء تجاوزوا كلّ الخطوط فلا يحترمون دينًا ولا قانونًا ولا عرفًا اجتماعيًا، ففُطِعَ رأسه ورُمِيَ به إلى جهة مخيم الحسين (عليه السلام)، في الرواية قامت أمّه وأخذت رأس ابنها وضربت به قاتله فمات، وجلست عند جنازة ولدها فأمر شمر بن ذي الجوشن غلامه بقتلها فجاء غلامه فضربها بعمود من حديد حتّى اسْتُشْهِدَتْ وكذلك حصل لزوجته، فهاتان امرأتان من تلك الأسرة، إضافة لربّ الأسرة، يعني أسرة كاملة تقدّمت للشّهادة بين يدي الحسين (عليه السلام).



جملة أسماء النساء الحاضرات في كربلاء

كما ذكرنا في أول الكتاب أن المؤرخين والباحثين قد اختلفوا اختلافاً واسعاً في عدد النساء اللاتي كنَّ في كربلاء، فمن قائل بأنهن كن خمس نساء كما عن ابن سعد البغدادي في الطبقات وعنه نقل الذهبي وغيره، إلى القول بأنهن كن نحو اثنتين وثمانين كما عن الشيخ الكرباسي في موسوعته دائرة المعارف.

وقد قلنا إن لذلك أسباباً متعددة؛ منها:

١/ ما أشرنا إليه في أول الكتاب؛ وهو تخفيف شناعة الحدث وعظمة المصيبة، ونسجل هذا الأمر بالنسبة للكتاب الذين يتماشون مع الخط الأموي، أو الخط العام غير الموافق لأهل البيت، لكيلا يجدوا حرجاً في موالة «من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت» وقد ذكرنا في كتابنا «عصبة الإثم» أن من جملة سياسات الاتجاه الأموي في تناول القضية الحسينية أنهم يخففون أحداثها، ويجعلون المقتل بعد ذلك «خالي الدسم» وقليل الشناعة، لكيلا يؤثر في قارئه وسامعيه أو يثير حفيظتهم وعواطفهم ضد قتلة الحسين ومن خلفهم وماذا يمثلون.

وقلنا في أول هذا الكتاب: إن الحديث عن «سفر خمس نساء»

يختلف كثيرا عن الحديث عن «سبي بنات رسول الله تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد» ولا سيما إذا قلنا بأن عددهن كان كبيرا.

٢/ ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى الاختلاف في العدد اختلاط المصادر القديمة بالم متأخرة، ومع أن المفروض أن يتم اعتماد المصادر القديمة كأساس، ويتم التفريع عليه في ما بعد، إلا أن الحاصل هو أن الكثير يتعاملون مع نصوص أبي مخنف الموجودة في تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) مثلا، كما يتعاملون مع نصوص منتخب فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، أو ناسخ التواريخ لمحمد تقي سبهر (ت القرن الثالث عشر) أو أسرار الشهادات للدربندي (١٢٨٥هـ) أو معالي السبطين للحائري المازندراني (ت ١٣٨٤هـ).

والمشكلة هي أنه مع جلاله أصحاب هذه الكتب إلا أنهم لا ينسبون إلى مصادرهما، فإذا قال أحدهم إنه كانت هناك امرأة من بنات أمير المؤمنين اسمها «أدمى» وأنها كانت كفيفة البصر وقد حضرت كربلاء، فإنه يرسل ذلك كمسألة لا تحتاج إلى تحقيق! مع أنه لم يؤثر أنه كان لأمير المؤمنين مثل تلك البنت، ولم تذكر في عداد بناته!

إن المنهج الصحيح يقتضي أن يتم الاعتماد على المصادر المتقدمة كأساس وإذا أريد البناء فيبنى على ذلك كحقيقة ويتم التفصيل والتفريع منها.

٣/ ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى الاختلاف؛ اختلاف الروايات فيما بينها أو عدم وضوحها في ذاتها، ومن مثال الأول أن بعض المصادر تثبت في قصة دلهم (ديلم) بنت عمرو وهي زوجة زهير بن القين والتي يعلم أنها رافقته إلى منتصف الطريق، وكان لها دور مهم في تحريضه على الالتحاق بالإمام الحسين (عليه السلام)، يبدأ الاختلاف في

الروايات من بعد هذه النقطة، فيبين من قائل إنها طلبت منه أن يذكرها عند رسول الله وفاطمة إذا صار شهيداً، وإنه سرّحها، وجعل أحدهم يأخذها إلى الكوفة، وبالتالي فهي لم تشهد كربلاء ولم تكن في ركب السبايا. وقائل آخر يقول إنها لم تقبل بأن ينفرد بهذا الشرف، وأنه كما يواسي هو الحسين في جهة الرجال، فلتكن هي مواسية لزینب وباقي النساء، وبالتالي التحقت بهن.

وأحيانا قد تكون رواية واحدة لكن لا صراحة كافية فيها، وإنما يستتج الباحث من خلال قرائن معينة، وجود أو عدم وجود هذه المرأة أو تلك. فمثلاً فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، وهي والدة الإمام الباقر وزوجة الإمام السجاد، لا يوجد ذكر صريح في حضورها كربلاء، ولكن مقتضى حضور زوجها السجاد وولدها الباقر (وكان له من العمر نحو ثلاث أو أربع سنوات) قد يفيد حضورها في كربلاء، إذ يصعب تصور أن تترك ابنها وزوجها يذهبان إلى كربلاء بينما هي باقية في مكة أو المدينة! وهكذا.

ومن عدم الصراحة، ما يروى من نداءات للحسين (عليه السلام) في وقت الوداع، فإنه قال في بعض الروايات: يا زينب يا ليلي يا أم كلثوم، يا عاتكة، يا صفية.. الخ. وهنا قد تختلف الأسماء بين مصدر وآخر خصوصاً في غير النساء الرئيسيات كزينب وأم كلثوم وبناء على ذلك قد يكون هذا النداء بناء على رواية مثبتة لحضور إحداهن، أو غير مثبتة لحضورها.

بل وأيضاً حتى في تفسيرها، فإن اسم عاتكة متردد بين عدة نساء، فهل المقصود كلهن، أو إحداهن، وهكذا مثل عنوان صفية!

٤/ ومن الأسباب في اختلاف العدد جهة الحساب؛ فقد يحسب باحث

عدد الهاشميات باعتبارهن المقصودات من السبي، وأنهن هن اللاتي تأكد سبيهن في طول الرحلة من كربلاء إلى الكوفة فالشام، ثم العودة إلى كربلاء والمدينة. أو يكون جهة الحساب على أساس ذكر النساء دون الطفلات، أو على أساس الحرائر دون الجواري المملوكات، ولا ريب أن هذا يؤثر في النتيجة.

٥/ قد يكون من أسباب الاختلاف أيضاً؛ ما نراه عند بعضهم من اعتبار أنه إذا استشهد شخص فمن الممكن أن تكون أمه معه في كربلاء، فقد ذكر مثلاً جعفر بن عقیل بن أبي طالب، أنه من شهداء الطف، فاستنتج بعضهم أن أمه وهي المكناة بأم الثغر أنها من أسراء الطف (عليها السلام) كما سيأتي ذكرها في موسوعة الإمام الحسين بعد قليل. هذا علماً بأنه قد ذكر أم الثغر باعتبارها بنت مسلم بن عقیل في مصادر أخرى!

٦/ ومن أسباب ذلك أن البعض قد يثبت حضور امرأة في كربلاء مع أنه لا ذكر لها في الأصل، أي لم يثبت وجودها أصلاً في عالم الدنيا، فكان ينبغي أن يتم إثبات وجودها في عالم الدنيا أولاً، ثم يتم بحث هل كانت حاضرة في كربلاء، ومثال ذلك ما ذكر في موسوعة الإمام الحسين، حيث ذكر فيها حضور سكينه بنت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في كربلاء^(١) وضمن أسارى كربلاء، مع أنه لا قائل بوجود ابنة للزهراء الصديقة (عليها السلام) باسم سكينه! والمفروض أنها غير سكينه بنت الحسين!

وهكذا ما ذكره في نفس الكتاب عن آخرين من كون صفية بنت الإمام الحسين في ضمن أسارى كربلاء، مع أنه لم يذكر في كتب الأنساب وجود بنت للحسين (عليها السلام) باسم صفية!

وعلى كل حال فقد تفاوتت الأعداد المذكورة للنساء اللاتي شهدن كربلاء:

(١) مكتب طباعة الكتب المساعدة التعليمية: موسوعة الإمام الحسين (عليها السلام) ١٧ / ٢٣٠.

ففي كتاب موسوعة عاشوراء ذكر أنهن ٦١ امرأة ؛

١٣ منهن بنات للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، و٨ زوجات له (عليه السلام)، والباقي ما بين نساء وجوار للنساء بل وفتيات دون البلوغ.^(١) لكنه لم يتعرض إلى ذكر تفاصيل هذه الأعداد وكامل أسمائها.

لكن ذكر في موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) والذي أصدره مكتب طباعة الكتب المساعدة التعليمية، في الجزء السابع عشر، بدءاً من صفحة ١٨١، ما مقداره ٥٤ اسماً من النساء اللاتي عنونت بأنها من أسرى الطف. وينطبق عليها بعض الملاحظات المذكورة آنفاً. وقد نشير عند ذكر الأسماء إلى بعض الملاحظات الخاصة، وقد رتبها الباحثون على أساس الفبائي كالتالي:

١- آدمى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام).^(٢)

٢- أمانة بنت أبي العاص زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطف (عليه السلام).^(٣)

(١) بيضون؛ ليب: موسوعة عاشوراء ٥٣٤.

(٢) بالرغم من إرجاع المؤلف أو المؤلفين إلى ما ذكر في أجزاء سابقة، إلا أنه لم يذكر علماء الأنساب والمؤرخون وجود بنت لأمر المؤمنين (عليه السلام) بهذا الاسم الغريب، إن لم يكن خطأً أو تصحيحاً!

(٣) بالرجوع إلى ما ذكره المؤلفون لا توجد قرائن على أن أمانة كانت من جملة الأسرى، بل لعل النصوص المنقولة ومنها نص يشير إلى أن زوجها الذي خلف عليها بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قد رجع في منتصف الطريق بعدما أصر عليه الإمام الحسين (عليه السلام)، بسبب حصول مرض طارئ عليه، فرجع ولم يشهد واقعة كربلاء، ومن المعلوم أن أمانة قد ماتت عند المغيرة بن نوفل، فإن كانت قد توفيت قبل سنة ٦٠ هـ فواضح أنها لم تحضر، وإذا فرضنا أنها بقيت لذلك التاريخ، فإنه مع فرض كونها مع زوجها ورجوعه على أثر ذلك المرض، لم تكن لتتركه يذهب وحده وتواصل مسيرها إلى كربلاء، وبناء عليه فلا نعتقد بكونها من جملة من شهد الواقعة أو سبي فيها.

٣- أمّ البنين الكلابية وهي زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي أمّ شهداء الطّف (عليه السلام).^(١)

٤- أمّ الثّغر من أسراء الطّف (عليه السلام). وهي أمّ جعفر بن عقيل بن أبي طالب، من شهداء الطّف (عليه السلام).

٥- أمّ الحسن بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام). وزوجها جعفر بن عقيل من شهداء الطّف (عليه السلام).^(٢)

٦- أمّ خديجة زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام).^(٣)

٧- أمّ خَلَف وهي زوجة مسلم بن عوسجة الأسديّ وهما [خَلَف ومسلم] من شهداء الطّف (عليه السلام).

٨- أمّ رافع من أسراء الطّف (عليه السلام). ومنهنّ (أمّ رافع) زوجة أبي رافع القبطيّ، واسمه هرمز مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).^(٤)

٩- امرأة وهب وهي زوجة وهب بن عبد الله بن جناب الكلبيّ.

١٠- أمّ رقية الصّغرى زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام).

(١) ذكر اسمها في ما تمّ عنوان أسرى الطف لا ريب أنه اشتباه. فإنها وإن كانت موجودة على قيد الحياة كما هو الرأي المحقق إلا أنها لم تحضر كربلاء.

(٢) هذا من نماذج ما قلناه في مقدمة هذا البحث من أن بعض النساء لا يوجد نص في حضورهن كربلاء، لكن قد يستنتج البعض من أن حضور أزواجهن في الواقعة يلازم كونهن موجودات أيضاً، وكما يعلم عزيزنا القارئ أن هذا أعم، فقد يكون شخص موجودا في الواقعة ولا تكون زوجته كذلك.

(٣) خديجة بنت أمير المؤمنين وزوجة عبد الرحمن بن عقيل، كانت مع أبنائها الذين استشهدوا في كربلاء، ولكن أمها التي يفترض أنها زوجة أمير المؤمنين لم نجد دليلاً على وجودها.

(٤) كأنّ اعتماد الباحثين في هذا على كتاب معالي السبطيين للمازندراني (ت ١٣٨٥ هـ)، وهو كتاب يذكر أحداثاً كثيرة من دون الاعتماد على مصادر واضحة.

١١- أم زينب الصّغرى زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام)، من أسراء الطّف (عليه السلام) (١).
وزينب الصّغرى زوجها محمّد بن عقيل بن أبي طالب، من شهداء الطّف (عليه السلام).

١٢- أم سلمة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام) .

١٣- أم فاطمة زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام) . (٢)

١٤- أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) (من غير فاطمة الزّهراء (عليها السلام))
من أسراء الطّف (عليه السلام). قيل: وُصفت بالصّغرى، وقيل: اسمها نفيسة.

١٥- أم كلثوم بنت زينب الكبرى بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام)
من أسراء الطّف (عليه السلام). أبوها عبد الله بن جعفر الطيار، وزوجها قاسم بن
محمّد بن جعفر بن أبي طالب من شهداء الطّف (عليه السلام).

١٦- أم كلثوم الكبرى بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام) من
أسراء الطّف (عليه السلام). (٣)

١٧- أم مسعود بنت عروة الثّقفيّ، زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء

(١) هذا أيضا نموذج من الاستنتاج من خلال حضور ابنتها، وهي زينب الصغرى مع زوجها محمد بن عقيل.

(٢) مع عدم وجود أخبار تفيد بحضور هذا العدد الكبير من نساء وزوجات أمير المؤمنين (عليه السلام) في كربلاء، يبقى إثبات حضورهن يحتاج إلى قرائن، وذلك أنه (عليه السلام) قبض وفي حبالته أربع حرائر والباقي توفين في حياته. وهذه الحرائر لم يبق منهن إلى زمان كربلاء سوى أم البنين الكلابية وقد مر أنها لم تحضر كربلاء، وهناك احتمال بقاء أمامة بنت أبي العاص والتي تزوجت بعده بالمغيرة، ومر الكلام حولها، وهناك احتمال بقاء ليلى النهشلية إلى أيام كربلاء، والتي تزوجها عبد الله بن جعفر الطيار وأما الجوّاري (وأمهات الأولاد) فلا بد من إثبات بقائهن إلى سنة ٦١ هـ، وأنهن جئن مثلا مع أبنائهن أو بناتهن، وهذا ما لا نجد في الغالب قرائن واضحة عليه.

(٣) تقدم حديث مفصل عن سيرتها في أوائل هذا الكتاب.

الطّف (عليها السلام) . وبنتهما رملة، وزوجها أبو الهياج، من شهداء الطّف (عليها السلام) .

١٨- أمّ وهب وهي أمّ وهب بن عبد الله بن جناب الكلبيّ. وهي مع زوجة ابنها ومع الابن شهداء كربلاء.

١٩- أمّ هاني بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليها السلام). زوجها عبد الله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب، وهل هو من شهداء الطّف ليس بمعلوم، وابناهما محمّد من شهداء الطّف.

٢٠- بحرية بنت مسعود الخزرجيّ أمّ الشهيد وأمّ عمرو بن جنادة، فإنّها على ما رُوي؛ أخذت بعد قتل ولدها رأسه، وضربت به رجلاً فقتلته، ثمّ أخذت سيفاً، وجعلت تقول:

أنا عجوز في النّساء ضعيفة بالية خاوية نحيفة

٢١- عاتكة بنت مسلم بن عقيل بن أبي طالب، التي كانت لها من العمر سبع سنين، وبين منّ أسرت مع الأسرى إلى الشام.

٢٢- جمانة عمّة الإمام الحسين (عليه السلام) (بنت أبي طالب) من أسراء الطّف (عليها السلام)؛^(١) ذكر في هذه الموسوعة أنّها: خرجت من المدينة عمّته معه اسمها جمانة - بضمّ أوّل وتخفيف الميم وبعد الألف نون - بنت أبي طالب، وهي أمّ عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، تزوّجها أبو سفيان بن الحارث، فولدت له عبد الله، وهي أخت أمّ هانيء بنت أبي طالب.

وعبد الله كان مع خاله عليّ بن أبي طالب بصفيّين، وقاتل حتّى قُتل بين يديه، كما ذكره نصر بن مزاحم المنقريّ الكوفيّ في كتابه، وأمّه جاءت مع الحسين (عليه السلام) بكربلاء.

(١) لم نجد قرائن تفيد وجودها في كربلاء.

٢٣- حسنة من أسراء الطف (عليها السلام): ومنهن حسنة على ما رواه صاحب ضياء العالمين عن كتاب ربيع الأبرار للزمخشري قال: حسنة جارية للحسين، اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، ثم تزوجها سهم، فولدت منه (منجحا) وهو شهيد كربلاء.

٢٤- خديجة الكبرى بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) من أسراء الطف (عليها السلام). وزوجها عبدالرحمان بن عقيل بن أبي طالب، وابناها سعد وعقيل، وهم من شهداء الطف (عليها السلام).

٢٥- ديلم [أو دلهم] بنت عمرو زوجة زهير بن القين البجلي^(١).

٢٦- رباب بنت امرئ القيس الكلبى، من أسراء الطف (عليها السلام). وهي زوجة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي أم عبدالله الشهيد وسكينة.

٢٧- رقية بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) (رقية الكبرى) من أسراء الطف (عليها السلام). وزوجها مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وابناها: عبدالله ومحمد، وهما من شهداء الطف (عليها السلام).

٢٨- رقية الصغرى بنت أمير المؤمنين (عليها السلام)، من أسراء الطف (عليها السلام).

٢٩- رقية بنت الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين (عليها السلام)، من أسراء الطف (عليها السلام).

٣٠- رملة بنت أمير المؤمنين (عليها السلام)، من أسراء الطف (عليها السلام). وزوجها عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب المعروف بأبي الهياج، من شهداء الطف (عليها السلام).

٣١- روضة من أسراء الطف (عليها السلام). (روضة) كانت مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما ذكره الطبري.

(١) قد تقدم ذكر الملاحظة الخاصة بها في أوائل هذا البحث.

٣٢- زينب الصّغرى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام) .
وزوجها محمّد بن عقيل بن أبي طالب.

٣٣- زينب الصّغرى المكنّاة بأمّ كلثوم بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام).^(١)

٣٤- زينب الكبرى بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام) . وزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

٣٥- زينب الوسطى المكنّاة بأمّ كلثوم بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام).^(٢) من أسراء الطّف (عليه السلام) .

٣٦- زينب بنت الحسين الشّهيد ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام).^(٣)

٣٧- سكينه بنت فاطمة الزّهراء وأمير المؤمنين (عليه السلام).^(٤)

٣٨- سكينه بنت الحسين الشّهيد ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطّف (عليه السلام) . وزوجها عبد الله الأكبر بن الحسن، من شهداء الطّف (عليه السلام).

٣٩- شهربانو أمّ غلامٍ خرجَ من تلك الأبنية وفي اذنيه درّتان.

(١) هي نفسها تقدم ذكرها بعنوان أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين وفاطمة (عليها السلام).

(٢) لم نجد دليلاً يشير إلى وجود (زينب وسطى) أبوها علي وأمها الزّهراء (عليها السلام).

(٣) لم نجد دليلاً على وجود بنت للإمام الحسين (عليه السلام) اسمها زينب. ولعل عدم وجودها متفق عليه بين المؤرخين.

(٤) موسوعة الإمام الحسين ٢٣٠/١٧. ونفس الكلام السابق ينطبق على وجود بنت باسم سكينه للصدّيقة الزّهراء (عليها السلام).

- ٣٩- صفية بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطف (عليه السلام).^(١)
- ٤٠- صفية بنت الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطف (عليه السلام).^(٢)
- ٤١- الصهباء التغلبيّة، وهي زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام)، من أسراء الطف (عليه السلام).^(٣) وولداهما عمر ورقية الكبرى، وزوجها (رقية) مسلم بن عقيل، وابنها عبد الله، وهما من شهداء الطف (عليه السلام)، وبنتها عاتكة.
- ٤٢- فاطمة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام)، من أسراء الطف (عليه السلام). زوجها أبو سعيد بن عقيل، أو أبو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، من شهداء الطف (عليه السلام).
- ٤٣- فاطمة بنت الحسن بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي زوجة الإمام السجّاد (عليه السلام)، وأمّ الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، وهم من أسراء الطف (عليه السلام).
- ٤٤- فاطمة بنت الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسراء الطف (عليه السلام). وزوجها الجريح بالطف الحسن المثنى.
- ٤٥- فاطمة الصّغرى بنت الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) التي كانت مع أم سلمة في المدينة.^(٤)
-
- (١) لعل الاعتماد فيه على ما ورد في بعض المصادر المتأخرة، من نداء الحسين حين الوداع: يا زينب... يا صفية. أو ما نقلوه من أن يزيد لعنه الله قد بدأ بالسؤال عن النساء حين أدخلوا عليه، فسأل.. من هذه؟ فقيل: صفية!
- (٢) الكلام فيها كالكلام في الهامش السابق بإضافة أنه لم ينقل بنحو معتبر وجود بنت للإمام الحسين باسم صفية!
- (٣) رقية زوجة مسلم وبنتها عاتكة وابنها عبد الله، احتمال حضورهن في الواقعة كبير، ولكن حضور الصهباء والدتها لم نجد قرينة عليه، لو لم تكن هناك قرائن على الخلاف.
- (٤) لم يتضح لي كيف يتم الجمع بين كون فاطمة هذه بقيت في المدينة مع أم سلمة وبين كونها من أسارى الطف؟

٤٦- فضة النوبية من أسراء الطف (عليه السلام).

٤٧- فاكهة من أسراء الطف (عليه السلام). (فاكهة) كانت جارية للحسين (عليه السلام)، وهي تخدم في بيت الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين (عليه السلام)، تزوجها عبدالله بن أريقط الدثلي الليثي.

٤٨- قفيرة من أسراء الطف (عليه السلام)، ويقال لها: مليكة بنت علقمة بن عبدالله بن أبي قيس، على ما رواه أبو علي الغسائي في ذيله على الاستيعاب أنه قال: أهديت لجعفر بن أبي طالب في بلاد الحبشة حين هاجر إليها مع المؤمنين.

٤٩ - كبشة من أسراء الطف (عليه السلام). ومنهن (كبشة)، كانت جارية للحسين (عليه السلام)، اشتراها بألف درهم، وكانت تخدم في بيت أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمية زوجة الحسين، ثم تزوجها أبو رزين، فولدت منه سليمان، فهو مولى الحسين (عليه السلام)، وله ذكر أيضاً في الناحية: «السلام على سليمان مولى الحسين».

٥٠- ليلي بنت مسعود النهشلية الدارمية التميمية، من أسراء الطف (عليه السلام). وهي زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام). وابنهما أبو بكر من شهداء الطف (عليه السلام).^(١)

٥١ - ليلي والددة علي بن الحسين الأكبر (عليه السلام) أم ليلي زوجة سيد الشهداء (عليه السلام) والددة علي الأكبر.^(٢)

(١) لم نجد ما يشير إلى حضورها واقعة كربلاء، فضلاً عن كونها من أسارى الطف، ولعل من أعد الموسوعة اعتمد على أنه ما دام ابنها أبو بكر قد استشهد في كربلاء في نصره الحسين (عليه السلام) فلا بد أن تكون معه! ولا ملازمة في ذلك، لا سيما أنها كانت في زوجة عبد الله بن جعفر الطيار الذي جمع بينها وبين زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام).

(٢) قد تقدم شيء من البحث عنها تحت عنوان زوجات الإمام الحسين (عليه السلام).

٥٢ - مليكة من أسراء الطّف (عليه السلام)، زوجة عقبة بن سمعان، كانت تخدم في بيت الحسن بن عليّ (عليه السلام)، ثمّ بعده انضمت إلى الحسين (عليه السلام)، وكانت في بيوته، وتارة في بيت عبدالله بن جعفر هي مع زوجها عقبة، لأنّه كان عبداً مملوكاً للرّباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين.

٥٣ - ميمونة من أسراء الطّف (عليه السلام)، وهي أمّ عبدالله بن يقطر، وكانت حاضنة للحسين في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن توفيت فاطمة، ثمّ بعدها انضمت إلى الحسين (عليه السلام)، وكانت تخدم في بيته إلى أن خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى العراق، فخرجت هي مع ابنها عبدالله بن يقطر.

٥٤ - نفيسة بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) قيل: إنّها أمّ كلثوم الصّغرى، من أسراء الطّف (عليه السلام) قيل: زوجها عبدالله الأصغر بن عقيل بن أبي طالب (عليه السلام).

كلمة شكر



للأخوات الفاضلات هديل الزبيدي، وسلمى بوخمسين،
وليلي الشافعي، وأم سيد رضا،
وباقى الأخوات اللاتي لم يحبن ذكر أسمائهن،
ولجميع من ساهم بنحوٍ من الأنحاء في ظهور هذا الكتاب.

المصادر



- بعد القرآن الكريم.
- تمت الاستفادة من تطبيق المكتبة الشاملة بالنسبة لكتب مدرسة الخلفاء، وأما كتب مدرسة أهل البيت (عليه السلام) فقد تمت الاستفادة من موقع مكتبة أهل البيت (عليه السلام) (ablibrary.net) ومكتبة مدرسة الفقاهة <https://ar.lib.eshia.ir/> بعض المواقع الألكترونية الأخرى، وهذه مواصفات تلك المصادر والكتب كما وردت في التطبيق والمواقع.
- إِبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام)، الشيخ محمد السّماوي تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبرسي، مركز الدراسات الإسلامية - ١٤١٩ هـ.
- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٦٢٠ هـ) تعليقات السيد محمد باقر الخرسان، منشورات النعمان النجف الأشرف .
- الاختصاص، المنسوب إلى أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٤ هـ.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، جمعية المعارف المصرية، القاهرة، ١٢٨٥ - ١٢٨٦ هـ
- الاستدراك على الاستيعاب، إبراهيم الطليطلي المعروف بـ ابن الأمين (ت ٥٤٤ هـ)، ت حنان الحداد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ١٤٢٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر الشافعي العسقلاني (ابن حجر) (ت ٨٥٢ هـ)، ت عادل أحمد وعلى معوض، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥ هـ
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢ م
- إعلام الوري بأعلام الهدى، للفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ.
- أعيان الشيعة، للسيد محسن بن عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، ت حسن الأمين، دار المعارف للطبوعات - بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني، ت ونشر دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤١٤ هـ
- إقبال الأعمال، علي بن موسى الحلبي (ابن طاووس) (ت ٦٦٤ هـ)، ت جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ١٤١٤ هـ.

- الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد ت ٤١٣هـ) ت حسين أستاذ ولي - علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ١٤٠٥.
- الأمالي، محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ) ت قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم ١٤١٧هـ.
- أمالي الصدوق، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة.
- أمالي الطوسي، لأبي جعفر محمد بن الحسن (الشيخ الطوسي) (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة - قم، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ.
- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ت سهيل زكار - رياض زركلي، دار الفكر - بيروت ١٤١٧هـ.
- البلدان، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت ١٤١٦هـ.
- بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) ت أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة ١٣٢٦هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ١٤٢٢هـ.

- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة (ت ٢٤٠هـ) ت د. أكرم العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت، ١٣٩٧
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ت محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٣٨٧ هـ.
- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) ت عمر بن غرامة، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ.
- تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (اليعقوبي) (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر - بيروت.
- تحقيق وبزوهشي يرامون حضرت رقية (فارسي)، الشيخ جعفر التبريزي، دار الصديقة الشهيدة، قم ١٤٣٣.
- جامع أحاديث الشيعة، الإمام السيد حسين البروجردي، المطبعة العلمية - قم
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
- جامع المسائل، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)
- جنة المأوى: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ت سيد محمد علي القاضي، نشر دليل ما ١٤٢٠هـ
- الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٤١٠ هـ.

- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ) ت جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ.
- رجال النجاشي، للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي قم .
- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد بن عبد الله الطنجي، ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧ هـ.
- رقية بنت الحسين، الشيخ نجم الدين الطبسي؛ أجوبة أسئلة وشبهات، نسخة الكترونية في المكتبة التخصصية للإمام الحسين (عليه السلام).
- زواج ام كلثوم الزواج اللغز، السيد علي الشهرستاني
- زينب الكبرى، الشيخ جعفر النقدي، منشورات مكتبة المفيد قم
- سلسلة النبي والعترة، فوزي آل سيف، دار المحجة البيضاء بيروت ١٤٤٥ هـ
- سيدات بيت النبوة، بنت الشاطي؛ عائشة عبد الرحمن دار الريان للتراث مصر ١٤٠٧
- السيدة سكينة ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم، دار الأضواء ١٤١٩
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان بن محمد

التميمي المغربي، ت السيد محمد الحسيني الجلاي، الناشر:
مؤسسة النشر الاسلامي، قم

• شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن محمد بن هبة الله المدائني
(ابن أبي الحديد)، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث
العربي - بيروت، ١٣٨٧ هـ.

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري
(ت ٣٩٨ هـ) تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين
- بيروت، ١٤١٠ هـ.

• صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، دائرة
المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٩٣ هـ

• صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية -
القاهرة ١٤٠٠ هـ.

• صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)
ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،
القاهرة ١٣٧٤ هـ.

• الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، ت د
علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢١ هـ

• العباس (عليه السلام)، للسيد عبدالرزاق المقرّم (ت ١٣٩١ هـ)، تحقيق: الشيخ
محمد الحسنون، منشورات الاجتهاد - قم، الطبعة الأولى - ١٤٢٧ هـ.

• عصبة الاثم، فوزي آل سيف، دار المحجة البيضاء ١٤٤٦ هـ

• العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ت

- أحمد الزين وإبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤ هـ
- عقيلة قریش آمنه بنت الحسين، السيد محمد علي الحلو،
 - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لأحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)، المكتبة الحيدرية - النجف العراق.
 - فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، ت محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية - مصر
 - الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ)، ت علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤١١ هـ.
 - قاموس الرجال، للشيخ محمد تقي التستري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٩ هـ.
 - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، ت ونشر مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٦ هـ.
 - قرة العين في أخبار السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليه السلام)، رائد الطريفي، مؤسسة طيبة لإحياء التراث. قم ١٤٣٥ هـ.
 - الكافي، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) ت علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية « طهران ١٣٨٩ هـ
 - الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي الجزري، ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧ هـ
 - كربلاء فوق الشبهات / السيد جعفر مرتضى العاملي المركز الإسلامي للدراسات ١٤٢٤ هـ

- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخزاز القمي، ت السيد عبد اللطيف الحسيني، انتشارات بيدار ١٤٠١ قم
- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، (الصدوق ٣٨١هـ) ت علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي ١٤٠٥هـ
- الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي، ت محمد هادي الأميني.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت صلاح عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ.
- اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، الأنوار - قم، الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ.
- مباني تكملة المنهاج - القضاء والحدود، الإمام أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي قم ١٤٢٢ هـ.
- المبسوط في فقه الإمامية، شيخ الطائفة محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ت السيد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ١٣٨٧ هـ.
- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، ت الشيخ عزة الله المولائي، مؤسسة المعارف الإسلامية ١٤١٣ هـ.
- المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهدي، ت جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩

- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن أبي يعلى التميمي (ت ٣٠٧ هـ)، ت سعيد السناري، دار الحديث - القاهرة ١٤٣٤ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل (١٦٤ توفي ٢٤١ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ -
- معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين، لمحمد مهدي المازندراني (ت ١٣٨٤ هـ)، منشورات الشريف الرضي، النجف.
- معجم أنصار الحسين «النساء» محمد صادق محمد: المركز الحسيني للدراسات لندن ١٤٣١
- معجم البلدان، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - ١٣٩٩ هـ.
- معجم رجال الحديث، لأبي القاسم بن علي أكبر الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٦١ هـ)، ت عبد العليم البستوي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ١٤٠٥.
- مقاتل الطالبين، / الشاملة لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: أحمد صقر، انتشارات الشريف الرضي - قم، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ.

- مقتل الحسين، للسيد عبدالرزاق المقرّم (ت ١٣٩١هـ)، دار الكتاب الإسلامي - بيروت.
- مقتل الحسين (عليه السلام)، الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ) ت الشيخ محمد السماوي دار انوار الهدى ١٤٢٣هـ
- من أعلام الاسرة النبوية، فوزي آل سيف، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٤٢هـ
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٧٦هـ.
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، علي بن محمد الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ)، ت تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار - صنعاء ١٤٢٤هـ.
- المنتخب من ذيل المذيل، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام)، مكتب طباعة الكتب المساعدة التعليمية، شركة الافست قم.
- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، لمحمد الريشهري؛ دار الحديث - قم، ١٤٢١هـ.
- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)، إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئيني، منشورات دليل ما، ١٤٢٨هـ
- موسوعة كربلاء، د. لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

- ميزان الحكمة، لمحمد الريشهري، دار الحديث - قم،
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- نسب قريش، لمصعب بن عبد الله الزبيري (ت ٢٣٦ هـ)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٩ م.
- نفس المهموم، للمحدث الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، المكتبة الإسلامية، طهران.
- نور العين في مشهد الحسين رضي الله عنه، أبو اسحق الاسفرايني، مطبعة ومكتبة المنار - تونس.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي [ت ١٣٣٩ هـ]، وكالة المعارف بإسطنبول، ١٩٥١.
- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، ت أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٢٠ هـ.

مواقع الكترونية :

- مركز الرصد العقائدي <https://alrasd.net/>
- محمود الغريفي في جواب له منشور في موقع المجيب

<https://almojib.com/ar>

فهرس المحتويات

٥	مقدمة
٩	النساء في القرآن الكريم
١٠	وحدة التكليف بين الرجال والنساء
١٢	قدوات في كل الأزمنة؟
١٤	عدد النساء في كربلاء
١٧	نساء الطالبين
١٧	عدد بنات الإمام عليّ في كربلاء
١٨	الأولى: زينب الكبرى بنت عليّ بن أبي طالب:
١٨	من الميلاد إلى الوفاة:
١٨	١/ ولادتها المباركة:
١٩	٢/ في أيام جدها النبي وأمها الزهراء:
٢١	٣/ زينب بعد شهادة أمها الزهراء:
٢٢	٤/ بنونا لبناتنا:
٢٤	٥/ أسرة عبد الله بن جعفر وزينب:
٢٦	٦/ العقيلة زينب في خلافة أبيها الظاهرية:
٣٠	٨/ ويرصد الباحثون في منزلها العلمية:
٣٢	٩/ العودة إلى المدينة بعد شهادة الوالد:
٣٤	١٠/ رحلة النصرة من المدينة إلى مكة فالعراق:
٣٧	١١/ قائدة الركب بعد مصرع الحسين:

- ٤١ ١٢ / العودة إلى مدينة رسول الله:
- ٤٢ ١٣ / كيف ماتت العقيلة زينب وأين دُفنت؟
- ٤٣ النظرية الأولى:
- ٤٦ النظرية الثانية:
- ٤٧ النظرية الثالثة:
- ٤٩ تأملات في خطابات العقيلة زينب (عليها السلام)
- ٥١ ففي الخطاب الأول في الكوفة:
- ٥٢ وفي الخطاب الثاني في الشام:
- ٥٤ خطبتها في الكوفة:
- ٥٨ الثانية: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب أو زينب الصُّغرى:
- ٦١ خطاب أم كلثوم في الكوفة:
- ٦٤ بعض ما ذكر عن أم كلثوم في قضية الحسين (عليه السلام)
- ٦٦ الثالثة: رقية بنت علي بن أبي طالب:
- ٦٨ الرابعة: خديجة بنت علي بن أبي طالب:
- ٦٩ الخامسة: فاطمة بنت علي بن أبي طالب:
- ٧٣ السادسة: ميمونة بنت علي بن أبي طالب:
- ٧٥ زوجات الإمام علي (عليه السلام) في كربلاء:
- ٧٥ الأول: تعدد زوجاتهم:
- ٧٧ الثاني: زواجهن نساء تنتمي لأسر غير موالية:
- ٨١ هل حضرت زوجات الإمام علي كربلاء؟
- ٨٣ أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية:
- ٨٣ أولاً: متى وُلِدَت أم البنين (عليها السلام)؟
- ٨٣ الأول: وُلِدَت قَبْلَ الهجرة بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ:
- ٨٤ الثاني: وُلِدَت بَعْدَ الهجرة بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ:
- ٨٤ وقفه مع الرأيين

- ٨٥ اختر لي امرأة ولدتها الفحولة
- ٨٧ وثانيًا: هل عقيل بن أبي طالب أعلم من الإمام علي (عليه السلام) في علم الأنساب؟
- ٨٧ ١/ إرشاد النَّاس للرُّجوع إلى المتخصَّص:
- ٨٧ ٢/ تعليم النَّاس مبدأ المشاورة:
- ٨٨ ٣/ الإخبَّار عن قضية كربلاء:
- ٨٨ ٤/ إظهار فضل أم البنين (عليها السلام):
- ٨٩ ثالثًا: هل كانت أمُّ البنين (عليها السلام) موجودة بعد كربلاء؟
- ٩٠ وقفتان مع العلامة المقرَّم
- ٩٠ الأولى: نقاشه في رجال السُّنَد:
- ٩٤ الوقفة الثَّانية: كلامه في المتن:
- ٩٦ رابعًا: لماذا نركِّز على قضية أم البنين (عليها السلام) وإحياء ذكراها؟
- ٩٧ أمُّ البنين (عليها السلام) الأسوة الحسنة
- ٩٨ أمُّ البنين (عليها السلام) بابٌ من أبواب رحمة الله

زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وبناته في كربلاء ٩٩

زوجات الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ١٠٣

- ١٠٣ الأولى: أم إسحاق بنت طلحة التَّيميَّة:
- ١٠٥ الثَّانية: الرِّباب بنت امرئ القيس الكلبيَّة:
- ١٠٩ الرَّوجة الثَّالثة: لَيْلى بنت أبي مرَّة بن عُرْوَة بن مسعود الثَّقفيَّة:
- ١٠٩ - اسمها
- ١٠٩ - ولادتها
- ١٠٩ - بيئتها الأسريَّة (جُدُّها - أبوها - أمُّها)
- ١١٢ - حضورها في كربلاء بين النَّفي والإثبات
- ١١٤ الرأْي الأوَّل: ينفي حضورها:
- ١١٤ - المحدث النَّوري:
- ١١٥ - المحدث القمي:

١١٥	- السيد المقرّم:
١١٦	- الشهيد مطهري:
١١٧	- الشيخ التّستري:
١١٧	الرأي الثّاني: يُثبت حضورها:
١١٧	- الشيخ الإسفراييني:
١١٨	- أبو الفرج الأصفهاني:
١١٨	- ابن شهرآشوب:
١١٩	- السيد جعفر مرتضى العاملي:
١٢٠	- الشيخ الكرباسي:
١٢١	٦/ مركز الرصد العقائدي:
١٢٢	خلاصة الكلام:
١٢٣	بنات الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء:
١٢٣	الأولى: فاطمة بنت الحسين:
١٣٦	الثّانية: سكينة بنت الحسين:
١٤٧	الثالثة: رقية بنت الحسين:
١٥١	نساء غير الطالبين:
١٥١	بحرّية بنت مسعود الخزرجية:
١٥٣	بطولة نساء قبل وبعد عاشوراء:
١٥٣	قبل واقعة كربلاء: طوعة جارية الأشعث:
١٥٧	وماريا بنت مُنقذ العبديّة:
١٥٨	بعد واقعة كربلاء: النّوّار بنت مالك الحضرميّة:
١٦١	القسم الثّاني: الجوّاري في كربلاء:
١٦٢	كربلاء مدرسة واسعة:
١٦٢	ماذا صنع الإسلام لمشكلة الرّقيق والعبيد؟

١٦٤	طُرق الإسلام في نفي الرّق والعبوديّة.....
١٦٨	أسماء بعض الجوّاري في كربلاء.....
١٦٨	١/ فِضَّة النّوبية.....
١٧١	٢/ فُكْمَة زوجة عبد الله بن أريقط اللّبيثي.....
١٧٢	٣/ حُسَيْنَة زوجة سَهْم.....
١٧٣	٤/ كَبْشَة زوجة رَزِين.....
١٧٥	من شهيدات النّهضة الحسينيّة.....
١٧٥	الشّهيد لغةً واصطلاحاً.....
١٧٦	الشّهيد فقهيّاً.....
١٧٧	سؤال وجواب.....
١٧٩	مَنْ له أجر الشّهيد.....
١٧٩	شهيدات في كربلاء.....
١٨٠	٢ و١ / بنتان للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام):.....
١٨١	٣/ السيّدّة عاتكة بنت مسلم بن عقيل:.....
١٨٢	٤ و٥/ أمّ وهب بن عبد الله الكلبيّ وزوجته قَمَر بنت عبد النّمرية:.....
١٨٥	جملة أسماء النساء الحاضرات في كربلاء.....
١٩٩	كلمة شكر.....
٢٠١	المصادر.....
٢١١	مواقع الكترونية.....

[illegible]

لكن لم يتم الحديث عن "نصيرات" الحسين إلا من باب الاستطراد والإشارة، مع أن دورهن كان لا يستهان به. وهذه الصفحات التي بين يديك مساهمة في هذا المجال، قد لا تكون وافية أو كافية، ولكنها مساهمة على أي حال.

www.daralmahaja.com

